

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

محمد كامل سليم

سكرتير سعد زغلول الخاص

أزمة الوفد الكبرى
بين سعد وعدلي



كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

رئيس مجلس الإدارة :
علي أمين

رئيس التحرير :
أمين محمد عدلي

نائب رئيس التحرير :
عبد العزيز عبد العليم

مدير التحرير :
حسين فريد

العدد ١٠٧
مارس ١٩٧٦
ربيع الاول ١٣٩٦

الادارة : دار أخبار اليوم ٦ شارع الصحافة ت ٩٧٧٧٧٧ سبعة خطوط

مطابع أخبار اليوم



ثقافة اليوم وكل يوم

أزمة الوفد الكبرى

سعد وعدلى

بقلم محمد كامل سليم

سكرتير سعد زغلول الخاص

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة

الغلاف والرسوم الداخلية
بريشة الفنان
محمود مصطفى

المقــدمة

من دواعى الاسى والاسف ان حياة الوفد فى أوربا كانت مضطربة أشد الاضطراب ، حافلة بالمتاعب والخلافات والمنازعات والانفعالات والازمات من أول يوم وصل فيه الوفد الى باريس فى ١٩ من أبريل ١٩١٩ ، الى أول يوم وصل فيه الى لندن يوم ٦ يونيو ، والى آخر يوم فى المفاوضات التى جرت بين الوفد ولجنة ملنر حتى انتهت فى ١٠ من نوفمبر • وقد سجلت تفصيلات كل هذه المــراحل فى كتابى « ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها » و « صراع سعد فى أوربا » وفيهما بيان مفصل لكل الخلافات والاعترافات والازمات واسبابها ونتائجها •

وفى هذا الكتاب الثالث « أزمة الوفد الكبرى » تاريخ مفصــل لكل ما حدث فى باريس بعد أن عاد اليها الزعيم ســـعد زغلول والوفد ثم عدلى اثر انتهاء المفاوضات المستطيلة المتعثرة مع لجنة ملنر •

استمرت الخــلافات والنزاعات والصراعات بين ســعد وأغلبية الأعضاء فى الوفد حتى عادوا فى ٢٦ من يناير ١٩٢١ الى مصر غاضبين منشقين وراغبين فى تاييد عدلى علنا •

وفى ابريل ١٩٢١ عاد الزعيم سعد زغلول الى مصر واستقبل استقبالا شعبيا رائعا لم يسبق له مثيل فى تاريخ البلاد •

سر هذه الازمات الخطيرة ان أغلبية الأعضاء فى الوفد حاولوا المستحيل هذه المرة ، حاولوا فى استماتة واصرار حمل الزعيم سعد زغلول على تاييــد عدلى في الوزارة الجديدة التى سيؤلفها بايحاء وتاييد من ملنر ، وقد الفها بعد أيام • وحاولوا حمــل الزعيم على ترك عدلى يتولى المفاوضات الرسمية وحده مع الحكومة الانجليزية عـــلى أساس مشروع ملنر كما هو وبدون تعــديله بالتحفظات التى جعلها الزعيم شرطا أساسيا لقبــول المفاوضات

الرسمية ، وأخيرا حاولوا ما هو أكثر استحالة ، وهو أن يتنحى الوفد والزعيم نفسه عن الاشتراك فى هذه المفاوضات المقبلة ، وترك الفرصة لعدلى كرئيس للوزارة يتولاها ويمارسها وحده عسى أن ينجح فيما سبق أن فشل فيه الوفد مع ملنر ·

ردود الفعل عند الزعيم سعد زغلول فى هذا الموضـــوع يمكن تصورها ولا يمكن تلخيصها ، ولكن يمكن قراءتها فى هذا الكتاب بكل تفصيلاتها ·

حسبى أن أسجل كلمة موجزة ، لقد اعتبر الزعيم اقتراحات الاغلبية سخافة وحماقة ، وأكد أنه لن يقبلها بحال من الاحوال ، ثم قال فى غضب وسخرية : « كيف يتنحى زعيم الامة ووكيلها عن مهمته الاصلية وممارسة واجباته ويتركها لعـــدلى ، وما أدراك ما عدلى ، مجرد دخيل وعميل للانجليز والاستعمار وموافق على « الحماية » · ثم قال : « من يتشكك فى ذلك انما هو خادع أو مخدوع » ·

هنا انفجرت قنبلة هذه الازمة الوفدية الكبرى ، انهـــا كانت القارعة الحاسمة القـاتلة التى قضت على الوفد قضـــاء مبرما وانهت حياته فى أوربا الى غير رجعة ·

والآن أرى من واجبى أن أميط اللثام عن حقيقة شخصية عدلى وطبيعته التى فطر عليها ، وأسلوب تفكيره ونظرته الى الحياة ، وفلسفته الخاصة الفريدة · سأحاول وقد عرفته مـــدة طويلة أن أرسم صورة قلمية له وللزعيم سعد زغلول ، للمقارنة بينهما وتفهم أهداف كل منهما وبيان رسالته فى الحياة كما حددها كل منهما لنفسه وسعى فى تحقيقها ، ولعل القارىء بعد هذه المقارنة يستطيع أن يحكم بين الرجلين ، أيهما كان أهدى سبيلا وأى الاثنين كان أصلح وأولى بخدمة القضية الوطنية للبلاد ·

سعد : رجل الشعب ، ديمقراطى ، فلاح ابن فلاح ، نبت فى بيئة المحكومين واشتعل قلبه وعقله بمشاعر المحكـــومين ، وكان يتحرق الى الحرية للشعب والاستقلال لمصر ·

وعدلى : رجل الديوان ، ارستقراطى ، فيه دم تركى أجنبى ، عظيم الثراء ، نبت فى بيئة الحكام ، وليس فى قلبه ما يضرم الشوق الى الحرية والاستقلال ·

سعد : ثقافته عربية أدبية دينية اسلامية ، تعلم الفرنسية على

كبر وأتقنها كلاما وكتابة ، وعرف الحضارة الغربية بكثرة اطلاعه وقراءاته وكثرة أسفاره الى الخارج ·

وعدلي : ثقافته فرنسية ، ونشأته وتربيته وعاداته فرنسية ، وتعلم الانجليزية على كبر ، وكان أقدر على الكلام بالفرنسية أضعاف قدرته على الكلام بالعربية العامية ، ولم يعرف العربية الفصحى ، ولم يقرأ كتابا من كتب الادب العربى ·

سعد : رجل أخلاق ومبادىء ، مطبوع على الصراحة والشجاعة والثقة بالنفس والصدق والامانة ·

وعدلي : رجل مصالح أولا وأخيرا ولا يعنى بسواها ، وكل وسيلة تحقق مصالحه هى مقبولة فورا مادامت لا تعرضه للمتاعب والاخطار ، ويرى أن المساومة وحدها هى سر النجاح فى الحياة ، والنعومة والمكر وانتهاز الفرص خير الوسائل فى الحياة ·

سعد : رجل عاطفى مشبوب العواطف يحب بكل قلبه مع العطف والحنان ، ويكره مع السخط والاحتقار ، ويغضب فى عنف على كل منحرف عن الصدق والامانة والفضيلة والاستقامة ، ويحزن فى عمق على ما يصيب أحبابه ومن يثق فيهم · لهذا كان حزنه أشد ما يكون سوادا وعمقا عندما علم بالقبض على عبد الرحمن فهمى ومساعديه من شباب المصريين الابرياء ، وبلغ من حزنه وغضبه وانفعالاته أن صمم على قطع المفاوضات مع ملنر سخطا واحتجاجا على غدر الانجليز وجرائمهم ضد الابرياء من مواطنيه ، وفى طليعتهم عبد الرحمن فهمى الذى اعتمد عليه كل الاعتماد فى الاشراف على الثورة والثوار ، وكان فى نظره مثلا أعلى فى الاخلاص والنشاط والاستقامة ومضاء العزيمة والقدرة على التنظيم · وقال لى سعد بعد أن قبض الانجليز على عبد الرحمن فهمى : « ان الفراغ الذى حدث بعد هذا القبض لا يمكن أن يملأه شخص ولا لجنة ، وان جريمة الانجليز مؤامرة لئيمة لا تغتفر »·

وعدلي : متكبر لا يترك أية عاطفة تسيطر عليه ، فهو يقلد الانجليز فى البرود ولا يسمح لاية عاطفة أن تفوت عليه مصلحة يريدها · وهو بحكم مزاجه البارد وطبيعته الجامدة وبيئته ونشأته لا يعترف بالمثل العليا ولا يعرف الفداء ، ولا يتأثر كثيرا بما يصيب الآخرين · سلوكه يتوقف على ما يراه ، فان كان مايراه صعبا جدا أعرض عنه وانصرف الى سواه ، وان كان ما يراه مفيدا

وممكنا بمجهود يسير أقبل عليه ودافع عنه وقام بالعمل لتحقيقه ، ومصلحته الشخصية هى الهدف الاول والاخير على الدوام ٠

لا يرى أى معنى للتمسك بالمبدأ أو الثبات على عهد أو مقاومة القوة القاهرة ، ويرى أن التمسك بذلك انما هو من مظاهر الغباء وقلة العقل وانعدام الروح المعنوية ، وأن المثل العليا والتضحية فى سبيلها عبث فى عبث وتصرفات خيالية لا تليق ٠

لهذا كان عدلى مثل رشدى يعتقد اعتقادا جازما بان الاستقلال الذى يطلبه سعد ويسعى اليه انما هو ضرب من المحال ، وأن مصر فى طورها الحالى وضعفها المتناهى لا قبل لها بمقاومة بريطانيا ، وهى فى ذروة قوتها وسلطانها وغناها ونفوذها بين الدول ، وكان يرى كذلك أن تعريض الانسان حياته لاخطار السجن أو النفى أو الموت فى سبيل الاهداف الوطنية جنون فى جنون ٠

عدلى ورشدى فى هذا كله توأمان متفقان ومنسجمان ٠٠

ولكن عدلى وسعد : كيف يتفقان ويتفاهمان وينسجمان ؟ ٠٠

وأخيرا لا بد من كلمة عن أسلوب سعد فى الكلام والخطابة ، وأسلوب عدلى فيهما ٠

كان أسلوب سعد فى الكلام أسلوب المحامى القدير ، يصغى أولا فى صبر وأناة الى من يحدثه ويسجل فى ذاكرته كل ما يسمع لا سيما النقاط الضعيفة والحجج الهزيلة ، ثم يبدأ فى الرد بكل هدوء وتؤدة ، يفند المزاعم والحجج الواهية ويرد على مطالب الخصم وأسانيده وأهدافه ومراميه ويظهر ما فيها من فساد وبطلان وكثيرا ما يسخر منها قبل أن يسحقها سحقا وبعد ذلك يدلى بردوده القائمة على الحق ، ويعرض قضيته فى سلسلة من الحجج القوية المرتبة المتماسكة المتدفقة فى جد صارم وفى وضوح عجيب يدعمه المنطق ويزينه جمال الاسلوب وروعة الفصاحة فى الاداء والادلاء

وفى فن الخطابة كان سعد المثل الاعلى يهز المنابر وبفصاحته وأسلوبه البديع الأخاذ يسحر الملايين ٠

أما أسلوب عدلى فكان من طراز آخر يختلف كل الاختلاف عن أسلوب سعد فى الكلام ، هو أسلوب السياسى الناعم الملمس الذى لا يؤذى ولا يجرح ، وكان يفضل الكلام بالفرنسية ، كما سبق أن ذكرت ذلك عنه ، حتى اذا اضطر الى الكلام بالعامية فان الايجاز كان ميزته الظاهرة ، وهو على عكس سعد لايتناول أية حجة ضعيفة

من خصمه ليرد عليها ، وانما كان يبدأ بتلخيص ما سمعه من خصمه مما يهمه ويعلق عليه فى رفق وابتسام بغير كلمة نقد أو تجريح فيرضى بذلك صاحبه · وكان يتكلم دائما فى هدوء وصوت خفيض ·

وكان ملنر يحب الاصغاء الى عدلى ويستريح الى أسلوبه الخالى من كل انتقاد ، وكان ملنر يشكو من سعد ويتهيب الاجتماع والاشتباك معه فى مناقشة ، ويتبرم من أسلوبه الناقد الجرىء القوى الصريح ·

وأما فى فن الخطابة فعدلى صفر ولا يرتجل أبدا ، وكان اذا اضطر الى القاء خطبة أعدها له عبد الخالق ثروت أو الاستاذ محمود عزمى ، يضع له الشكل على كل كلمة حتى لا يخطىء فى النحو أو فى النطق الصحيح للكلمات ، ولعله بذلك كان السياسى الوحيد فى مصر الذى لا يعرف الخطابة ولا يحبها ويتفاداها بقدر الامكان ·

بقيت ملاحظة على أعظم جانب من الاهمية ، فالوفد لم يخطر بباله أن يدعو عدلى الى الحضور الى باريس الا بناء على الحاح عدلى نفسه وطلبه ، وعدلى فى الواقع لم يكن رسول الوفد لدى ملنر ، بل كان على العكس رسول ملنر الى الوفد ، مهمته أن يقنع الوفد بالدخول فى المفاوضة مع ملنر ، وهو يعلم أو كان يجب أن يعلم أن ملنر ولجنته لم يذهبوا الى مصر للمفاوضات ، وانما للتحقيق فى أسباب الثورة واقتراح نظام جديد لحكم مصر فى دائرة الحماية · فى حين أن سعد يهدف الى الغاء الحماية وتحقيق الاستقلال والجلاء ، ومع ذلك أراد عدلى من الوفد أن يعود الى مصر ليساعد ملنر على انجاز مهمته على أحسن وجه حتى يتمكن من وضع تقرير شامل بعد سماع ذوى الرأى من المصريين ، فلما فشل عدلى فى هذه المهمة أراد الحضور الى باريس ليقنع الزعيم والوفد بمفاوضة ملنر فى أوربا تحقيقا لرغبة ملنر فى سماع الوفد حتى يخرج تقريره شاملا كاملا ·

وان جميع مراسلات عدلى الى الزعيم فى باريس كلها ناطقة بأنه حاول اقناع الوفد بوجهة نظر ملنر ، وحتى جريدة التيمس نفسها نشرت فى ذلك الحين أن عدلى سيسافر الى باريس لا للراحة « كما زعم عدلى » ولكن لاغراء سعد والوفد للاتصال والمفاوضة مع ملنر ·

وكان عدلى بذلك ينشد الحظوة لـدى ملنر وقد نجح فى نيلها واستمتع بها ، ولم يكترث مطلقا بصداقة الزعيم ولا بتوكيل الامة للوفد فى تحقيق المطالب الوطنية ٠

ولهذا يمكن القول بأن عدلى كان مجرد سمسار فى قضية مصر بينما كان سعد وكيل الامة ، هو صاحب قضية مصر ، يحيا ويموت من أجلها ، ويحتمل الاهوال فى سبيل تحقيقها ٠

ولم يكن لعدلى رسالة فى الحياة الا أن يصل الى كرسى الوزارة ثم يصبح رئيس الوزراء ، وقد نجح فى ذلك وتحققت شهوته ٠٠

واما الزعيم ســـعد زغلول فكانت له رسالة ، ورسالته كانت ذات شعبتين :

الشعبة الاولى ـ ذات طابع سياسى له اربعة اهداف اساسـية وهى : الغاء الحماية البريطانية ٠ الإعتراف لمصر بالاستقلال التام٠ انهاء الاحتلال وتحقيق الجلاء ٠ وأخيرا اقامة نــظام ديمقراطى برلمانى يضمن حرية الفرد ويحدد سلطة الحاكم ، فتقوم الوزارات وتسقط بناء على الثقة البرلمانية ٠

والشعبة الثانية ـ ذات طابع اجتماعى وهو توحيد صـــفوف الامة ، وخلق اتحاد بين المسلمين والاقباط ، وكان هدفه اتحـاد اندماج وحب وثقة ، وتجلت عملية الانصهار والاتحاد فى بوتقة الجهاد فى الثورة العارمة سنة ١٩١٩ ، كما عمل على تحرير المرأة بعد قاسم أمين ودعاها وشجعها على النزول الى ميدان الجهاد الوطنى فاشتركت النساء مع الرجال فى المظاهرات وفى اجتماعات اللجان ، وبهذا تم تحرير المرأة المصرية وزال الحجاب بعـــد أن كانت المرأة سجينة وراء الابواب ٠

ونجحت رسالة الزعيم سعد زغلول فى النهاية بعد أن ذاق الامرين ودفع الثمن غاليا ، وكان الثمن هو العذاب والنفى من وطنه ثلاث مرات وهو فى شيخوخته وكثرة أمراضه ، مرة الى جزيرة مالطة ، والثانية الى جزيرة سيشل على خط الاستواء حيث الحر القاتل ، والثالثة الى جبل طارق بعد أن اشتد عليه المرض فى جزيرة سيشل٠

ولو سئلت مصر الثائرة عن المقارنة بين سعد وعدلى لقالت :

ان المقارنة بين سعد وعدلى كالمقارنة بين الذهب والرماد ٠

محمد كامل سليم

الفصل الأول

سعد وعدلى

باريس فى ١٢ نوفمبر الى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٠ :

لم يعقد الوفد جلســـــة واحدة • وكان الاعضاء أعطوا لانفسهم اجازة للاستجمام •

والاعضـــــاء الذين حضروا لزيارة الرئيس والاجتمـــــاع به كل يوم هم :

واصف غالى ومصطفى النحاس وعلى ماهر وويصـــــا واصف والدكتور حافظ عفيفى •

وبقية الاعضاء زاروا الرئيس واجتمعوا به مرتين فى هذه الفترة •

لم يحضر عدلى من لندن الا بعد اربعة أيام من سفرنا منها • والظنون حوله وحول تأخيره كثيرة حائمة هائمة : فالرئيس سعد يظن أن سبب تأخره راجع الى ما يجرى بينه وبين ملنر الآن من رغبة فى التفاهم والاتفاق بينهما على ما ينبغى احـــداثه من التغيرات التمهيدية فى مصر وذلك بمناسبة قرب عودة عدلى الى مصر قبل نهاية هذا الشهر ، والرئيس لا يشك لحظة واحدة فى أن عـــدلى سيؤلف الوزارة القادمة •

بينما عبد العزيز فهمى واخوانه يظنـــون أن عدلى قد يكون متوعكا منحرف المزاج ، وبين هذين الظنين الرئيسيين ظنون كثيرة صغيرة ولا أرى فائدة من تسجيل الهواجس والظنون •

ولما حضر عـــدلى الى مســكن الرئيس مســـاء ١٥ نوفمبر (وكان عنده أعضاء الوفد جميعا وكأنهم كانوا على علم بوصول عدلى وزيارته) ، لم يتحدث عن أسباب تأخره فى لندن فى هذه المدة ، ولم يسأله أحد كذلك ، ما دام أنه لم يتطوع بالاخبـــار من تلقاء نفسه • اذ ليس عدلى عضوا فى الوفد ولا هو ملزم بتقديم

ببيان عن تصرفاته الشخصية ، ولكن الحقيقة التى لا مرية فيها أن الرئيس سعد قد استاء أشد الاستياء من سكوته هذا ومن امتناعه المريب عن الادلاء ببيان ـ ولو موجزا ـ عن سبب تخلفه فى لندن

نداء الى الامة

أملى على الرئيس نداء موجـــزا الى الامة يهدف الى دعم الصفوف وشحذ الهمم وهذا نصه :

أيها المواطنون الاعزاء :

« لقد رفعتم منذ عامين عن كبريائكم القومى ذلك العبء الذى كان يثقل كاهله • وبصيحة الاستقلال أعلنتم فى وجه العـــالم بأسره حقكم فى الحياة • وما زلتم منذ ذلك اليوم تثبتون انكم جديرون بأمانيكم الوطنية • وجاءت نتيجة الاســـتنارة برأيكم فى مشروع الاتفاق مثبتة أن الاستقلال ليس فى نظركم كلمة تردد فى الفضـــاء بغير معنى ، بل أنتم تريدونه استقلالا حقيقيا خليقا بكم وبمستقبلكم الذى سيرسل غدا أشعته الوضاءة على مصر الحرة •

وهذا الاستقلال سنحصـــــل عليه باتحادنا وبروح التضـــحية والايمان بأنفسنا وبعدالة قضيتنا المقدسة ايمانا هادئا عميقا صادقا» •

(سعد زغلول)

انفجار قنبلة نجيب

١١ نوفمبر ١٩٢٠ :

حدث اليوم ما هو أفظع مما توقعت ، وانى لحزين •

ولكن مالى أتعجل الحوادث فأحكم على اليوم كله ؟ يجب أن أبدأ من البداية •

فى الساعة الثامنة صباحا خرجت من البنســيون وأنا منشرح الصدر عظيم الشعور بجمال باريس وجمال الحياة وشاعرا بأن المتـــاعب خلفناها وراءنا ، وان هــذا اليوم على الاقل سيكون يوما هادئا ناعما سعيدا اذ لا عمل لدى الرئيس أو الاعضاء ، والجميع سيستريحون فى هذا اليوم المشمس وسيخرجون جميعـا للرياضة بعد متاعب العمل وطول العناء ، وفكرت فى الذهاب الى فرساى أو قضاء اليوم فى غابة بولونيا الجميلة •

كانت هذه خواطرى حتى وصلت الى مكتبى فى الشـــقة التى يسكنها الرئيس ، وفى الساعة التاســـعة نادانى الرئيس فدخلت



زعيم الامة : سعد زغلول

عليه ، فكلفنى بأن أتصل بالاعضاء تليفونيا لكى يحضروا جلسة للوفد تعقد فى مركز الوفد فى الساعة العاشرة والنصف صباحا ، فذهلت ودهشت وخرجت ..

كنت مستعدا منذ دقائق معدودات أن أراهن على أن الوفد لن يجتمع اليوم وها هو على وشك الاجتماع .. وبعد أقل من نصف ساعة أبلغت الرئيس أن اجتماع الوفد سيتم فى الموعد الذى حدده ولكن كل عضو سألنى عن سبب الاجتمـاع فقلت : لا أعلم ، ثم

استطردت فقلت فى شىء من الايحــــاء (يظهر يا باشا انهم كانوا ينتظرون الاستراحة ٠٠ هذا اليوم كأجازة)

فأجاب الرئيس متجاهلا ما رميت اليـه : « لقد تسلمت صـباح اليوم برقية من محمود سليمان باشا رئيس اللجنة المركزية جـاء فيها أن أخبارا لم تنشر سببت قلق الخواطر بسبب الخلاف القائم بينى وبين عدلى ، ويرجو ملحا حسم الخلاف محافظة على وحدة الصفوف » ٠ فقلت : « كيف تقلق الخواطر بسبب أخبار لم تنشر ؟» فسكت الرئيس ولم يرد فخرجت مسرعا وتذكرت برقيه نجيب ٠

وفى الموعد المحدد اجتمع أعضاء الوفد وفتحت الجلسة فأطلعهم الزعيم على البرقية فسكتوا جميعا ولم ينبس احـــدهم بكلمة ، فاستغرب الرئيس هذا السكوت المريب فخرجت الى مكتبى ، وبعد قليل حضر عدلى ووجهه مغبر مكفهر ، لونه مزيج من الصـــفرة والسواد ، وملامحه تصرخ بالعبوس والتجهم والغضب المكتـــوم الظاهر ، ودخل قاعة الجلسة فى سرعة مضطربة (على غير عادته)، فلما استقر به المقعد تلا الرئيس مرة ثانية برقية محمود سليمان باشا ، فقال عدلى فى هدوء متكلف : « انه تسلم كذلك برقية أفظع منها » ٠ وقدم صورة طبق الاصل للبرقية التى أرسلها أحمد نجيب مراسل الاخبار الى أمين الرافعى ، ثم قال :

« ان مراسل الاخبار الذى يدفع الوفد له مصاريف أســـفاره واقامته وبرقياته يتهمنى ويقول ان عـدلى قسم الوفـــد وعرقل المفاوضات وسعى فى عدم قبول تحفظات الامة ، وهذا كله كذب بهتان » ٠

ثم قال فى مرارة ظاهرة : « اننى منذ أربعة أيام فقط كنت مع ملنر وقلت له ان الشعب المصرى لا يمكن أن يقبل مشروعه بدون النص على الغاء الحماية ، فهل هذه البرقية جزائى ؟ »

فأجاب الرئيس ٠ « لا علم لنا بهذه البرقية ، وليس فى الوفد أحـد يعلم بها ٠

« ولقد نشرت جريدة التيمس يوم سفرنا من لندن فى ١١ نوفمبر رسالة لمراسلها جاء فيها : ان الامة المصرية قابلة لمشروع ملنر وان كل ما طلبته هو مجرد رغبات ، ولكن زغلول هو الذى قلبها الى تحفظات ، وأن أعضاء الوفد وعدلى باشا لا يؤيدون ذلك ٠ فما حيلتنا اذا كانت أخبار الوفد أصبحت معـروفة للجميع ، ونحن نتألم اشد الالم لهذه الحال » ٠

وقال عبد العزيز فهمى : « ليس هذا هو الموضـــوع ، وانما الموضوع هو كيف يجرؤ أحمد نجيب مراسل الاخبار على ارسال برقية كاذبة مضللة كهذه البرقية من غير علم أحد فى الوفد » .

وقال المكباتى : (موجها الكلام الى الرئيس سعد) ان محمد على بك علوبة أمين الصندوق كثيرا ما شكا من أنه يدفع أجور برقيات الى مصر دون أن يطلع عليها ، وقد أخبرنى الآن أنه دفع أجرة هذه البرقية الخطيرة الى نجيب رأسا دون أن يطلع عليها » .

فصرخ الرئيس فى وجهه : « ما دليلك ؟ أنت توجه التهم الخطيرة جزافا ومن غير تفكير » .

وهنا حاول لطفى السيد أن يشرح قصد المكباتى . فقاطعـــه الرئيس قائلا : « لماذا تحـاول شرح شىء واضح وقصـــده من الاتهام ظاهر » ؟

فقال لطفى السيد : « اننى كعضو ويمكننى أن اتكلم ومن حقى أن أبدى الرأى » .

وقال محمد محمود : ان المكباتى لم يقصد شيئا .

فقال الرئيس فى غضب : انك تتكلم ضد ضميرك .

فصرخ محمد محمود وانفعل قائلا : « كيف تنسب الى ذلك ، أنا لا اقبل هذا الكلام ولا هذا الاسلوب ، وهذه المعاملة الجافة » .

فوقف الرئيس سعد وخرج من الجلسة وهو فى أشـــد حالات الغضب والانفعال . واستمرت المناقشـــات حوالى عشر دقائق والاصوات مرتفعة والالفاظ الجارحة تتناثر يمينا وشمالا تخرج من هنا وهناك ، وتصيب هذا أو ذاك ، ثم تبعثر المجتمعون وانصرفوا ، خرجوا افرادا وجماعات ، ثم فتحت النوافذ بعــد خروجهم حتى تخرج الزوبعة التى شهدتها هذه القـــاعة والتى ملأت جوها فى شكل خانق أليم .

هكذا انفجرت قنبلة نجيب فى دوى هائل ، والله وحــــده يعلم نتائجها المستورة الاخرى .

هكذا قامت الزوبعة وهكذا انتهت ، ولكن هل هى حقا انتهت ؟

وما كاد الرئيس ينسحب من الجلســة غضــبا واحتجاجا حتى صـــحبه الدكتور حامد محمــود الذى كان جالســـا بجوارى ، واضطررت الى البقاء حتى أرى نهاية هذه المأساة .

قلما خرج الاعضاء جميعـــا جمعت أوراقى وذهبت فورا الى مسكن الرئيس لاطمئن عليه لان وجهه كان محتقنا شديد الاحمرار ، وخشيت أن يصـــاب بمكروه وهو مريض بقلبــه وارتفاع الضغط ومرض السكر • دخلت عليه ومعه الدكتور حامد فأخذ يحدثنا بما دار فى الجلسة بما لا يخرج عما كتبت آنفا ، وبعد قليل حضر على ماهر والنحاس وسينوت حنـــا وواصف غالى وويصـــا واصف وتكلموا فى شأن التفاهم مع عدلى ومع كل واحد من جمـــاعته ، وذكروا أنهم خمسة والآخرون أغلبية ، وذلك تلافيا للانقسام •

الاعتراف الخامس عشر

فقال الرئيس : انى أفعل ما تطلبون ولكن عليكم أن تعلموا من الآن أن هذا الترقيع لا يجدى ولا يفيد لان عدلى قد جربته طويلا وخرج على وسعى فى اسقاطى لغير ما سبب أتيته • ولقد مكنته من نفسى • ودافعت عنه ضد خصومه ، ومن غير طلب منه ، وهو يجد الآن نفسه فى مأزق ويريد الاستعانة بى للخروج منه ، حتى اذا خرج قلب لى ظهر المجن ، وفعل ما لا يفعله أعداؤنا الحقيقيون •

« خذوا ذلك منى واحفظوه عنى • ان أصحابه مهما حصـــل الاتفاق معهم لا تخلص نياتهم ولا تصفو سرائرهم ولا يتأتى العمل معهم لخير البلاد بل يكونون دائما حجر عثرة فى طريقنا ، ولقد تحملت من الآلام كثيرا ، والعمل مع المخالفين من أشق ما يكون وأخطر مما يتصوره الانســـان ، ومع ذلك فانى لا أريد أن أخيب رجاءكم هذه المرة » • فانصرفوا شاكرين •

الاعتراف السادس عشر

بعد خروجهم قال لى الرئيس :

« والله ان فراقهم خير وأولى ، وان الفرصة سانحة الآن ولكن الاعداء يشمتون ، والاتحاد يتثلم • فما الذى أنا صانعه ، ودوام الحال على هذا المنوال مسئولية كبرى ، ومع ذلك لا أعجل ، وعلى بالصبر الجميل فلله تدبير وهو أحكم الحاكمين • »

وفى المساء حضر لطفى السيد وعبد العزيز فهمى وحمد الباسل ومحمد على علوبة ؛ كمـــا حضر الاعضـــاء الخمســـة المناصرون للرئيس ، ولم يحضر المكباتى ومحمد محمود وعدلى •

وكانت جلسة هادئة أريد بها تسوية الامور وازالة ما فى النفوس من آلام لا خير فيها ، أعادت الحياة الى مجاريها الطبيعية ٠

وانفض الاجتماع فى الساعة الثامنة مساء والاعضاء باسمون٠

حديث بينى وبين محمد على علوبة

وبعد العشــاء نزلت الى « كافيه فوكيه » فى الشانزليزيه كالعادة فحضر صدفة صديقى محمد على علـــوبه ، وعلمت منه أن أمين الرافعى أراد نشر برقيـــة نجيب ولكن الرقيب منع نشرها ٠ وأمين الرافعى هو صاحب جـــريدة الاخبـــار وسكرتير لجنة الوفد المركزية فى غياب مصطفى النحاس ، وأن اسماعيل صدقى باشا اطلع على البرقية وأخذ صورتها وأرسلها الى عدلى ٠

محمد على علوبة

ثم التفت الى صاحبى وقال فى جد ظاهر : « يا أستاذ كامل ٠٠ انى أريد أن أوجه ســؤالا الى ضميرك وأن اسمع جوابك الصريح وأنت مطلع على كل الدقائق من سياسة الوفد وأعضائه ومسلك عدلى ، ماذا كان رأيك وشعورك لاول وهلة عندما علمت ببرقيـــة نجيب الحاملة لهذه الاتهـــامات الخطيرة ضد عدلى ؟ »

فقلت : يا ســيدى لست فى حاجة الى أن تستنجد بضـــميرى وتناشده لكى أعطيك الجواب الصريح ، أن هذه البرقية قد صدمتنى وأحدثت فى نفسى دهشة وألما لانها خطيرة ونشرها يؤدى حتمـــا الى توسيع هوة الخلاف فى الوفد وفى الامة » ٠

فقال : حسن جدا ٠ ولكن ما رأيك الآن اذا كان سعد باشا لم يشعر بدهشة ولا بألم عندما عرضها عدلى فى الجلسة ٠ بل نفى علمه بها وأخذ يتكلم فى موضوع آخر ٠

فقلت : أتريد أن تستدرجنى ببراعة المحامى المحقق الى الاعتراف بأن الرئيس يعلم بأمرها سلفا ٠

فقال : « ما فى ذلك شك ٠ والا كان يشعر بالدهشة مثلك » ٠

فقلت : « هذا ليس بدليل ، وان من يعرف ســعد باشا يدرك لاول وهلة أنه رجل أخلاق ، بل لعله يسرف فى اقحام الاخلاق فى

السياسة ويحكم على السياسيين أحـــكاما خلقيـة قبل أن تكون سياسية ٠ وأنا اجزم بوازع من ضميرى أن سعد باشا لا يمكن أن يحارب عدلى فى الظلام ببرقية كهذه ، لان سعد باشا قوى جســدا وصريح جدا وشجاع جدا ويشعر بلذة ما بعدها لذة فى الكفاح . فاذا اراد أن يحارب عدلى فستكون حربا صريحة علنية وهو المنتصر لا محالة وعدلى هو المهزوم لا محالة فى اية حرب تقوم بينهما ٠ »

فقال محمد على علوبة : « هذا صحيح ٠ وأنا كذلك أستبعد الدس على سعد ، ولكن أغلب الظن أن مصطفى النحاس هو الذى أوحى بها وشجع على ارسالها ٠ »

فقلت : « ولماذا تريد توجيه التهم بمجـــرد الظن ، ولا تصب التهمة كلها على رأس نجيب وحده ٠ انه رجل مثقف وناضج وقد جاوز الخمسين وعليه وحده تقع المسئولية كامـــلة ، ومع ذلك ما رأيك أنت فيما حدث فى جلسة الصباح من تهور المكباتى ؟

فقال : « ان جلسة الصباح كانت محمومة . والمكباتى رجـــل متهور ومجنون ٠ وأنا الذى اطلقت عليه اسم « المدباتى » عندما كنا أعضاء فى الجمعية التشريعية » ٠

فقلت : « ولماذا حضرتم لمقابلة الرئيس فى المساء ، ولماذا خرجتم باسمين ؟

فقال : « ان الخصام لا معنى له ولقد اعتذرنا لسعد عما حـدث فى جلسة الصباح وأرضيناه ووعد هو من ناحيته ان يزور محمـــد محمود باشا ٠ أما المكباتى فسعد لا يريد أن يجتمع به أو يراه أو يسمع عنه كلمة واحدة ٠ ثم اتفقنا كذلك على أن يحضر عدلى غدا لزيارته ٠ »

ثم استطرد قائلا : « ان عدلى هذا رجل نبيل حقا وهو عائد الى مصر بعد أيام ٠ ولا يريد أن يعود الا وهو وســـعد على وفاق وسلام ، وقد رحب سعد بزيارة عدلى له غدا وقال لنا انه سيعمل على تصفية الجو واعادة مياه السلام الى مجاريها ٠ »

فشكرناه وخرجنا باسمين كما تقول ٠٠

۱۸ نوفمبر ۱۹۲۰ :

فى الساعة العاشرة والنصف من صـــباح اليوم حضر عدلى لزيارة الرئيس ســعد وظل معـــه ساعتين كاملتين ٠ وعلمت من الرئيس قبيل حضوره بأن على ماهر لعب الدور الاكبر فى التوسط بين عدلى وسعد للصلح بينهما .



سعد زغلول .. وعدلى يكن

محادثة غاية فى الصراحة بين عدلى وسعد

قال لى الرئيس بعد ظهر اليوم :

« ان عدلى اراد اول الامر ان يظهر عدم اهتمامه بكل ما حصل فعاملته بالمثل . واتجه الكلام بعد ذلك الى خطته مع الوفد . فقلت انها خطة تفريق ، وانه لم يكن ينبغى له أن يضع نفسه على رأس قسم من الوفد بعد العمل على تقسيمه . وسردت له وضعه لمشروع مع بعض أعضاء الوفد وارساله الى ملنر من غير اطلاعى عليه أولا ، ثم كثرة اجتماعه بمن ليسوا مثلى فى صداقته اجتماع تآمر ، وتصرفه فى الكلام مع ملنر بالانجليزية مرتين وعدم اخبارى بما دار بينهما .

فقال عدلي : « ان ملنر قال فقط (هل ضاع ما املنـــاه وسقط ما بنيناه) » •

فقال الرئيس : « المريكن هذا مهما لتعرف مقدار حرصه وضرورة تشبثنا بما هو فى الواقع حياتنا » •

فقال عدلي بعد أن (مط بوزه) ان ذلك كله لا اهمية له •

سعد : عظيم جدا ، ولكن جاء في كلامك أو في لهجتك ما يدل على انك تظن أن لي دخلا في هذه البرقية •

عدلي : لا بل أعتقد أنك غير أهل لذلك ، ولكن كنت أنتظر منك عندما تطلع على البرقية أن تستنكرها أو تقول ان عدلي غير أهل لهذه التهم • »

(وهنا دخل عبد العزيز فهمي ولطفي السيد ثم خرجا بعد دقيقة واحدة) • وبعد خروجهما قال عدلي :

ـ انى أريد ان أوضح الحالة فى هدوء ومن غير غضب أو انفعال •

سعد : انى اسمع بكل ارتياح •

عدلي : انى خدمت القضية المصرية باخلاص • واذا كان لى رأى يخالف رأيك أو رأى الوفد فلا ضرر فى ذلك ، وما الزمت أحدا برأيى ، ولا عطلت على الوفد رأيه ولا ذنب لى أن يكون بعض الاعضاء من رأيى • ولكنى شكرت محمد محمود امتداحه لى فى بعض الحفلات • وما أشرت عليه وعلى اخوانه بزيارة السراى الا لان الكتابة منك اليهم تعتبر تعليمات ، وعدم اخبارى اياك بموعد عودتى من (فيتل) لم يكن تقصيرا منى فى حقك ، وانما كان لما علمته من مصادر مختلفة من انك عائد من (فيشى) فى ١٦ سبتمبر ووجدت ان هذا الوقت يناسب انتهائى من العـــلاج ، وجاء فى كلامك معى فى أول مقابلة بعد العلاج أن الامة أبدت رغبات وأمانى وفوضت لكم الراى لتحقيق ما تستطيعون تحقيقـــه لها وانكم أنتم جعلتموها شروطا وتحفظات • ومع هذا كله فقـــد قلت للملنر فى المقابلة الاخيرة ان الامة المصرية لا تريد المفاوضات الرسمية الا بعد الغاء الحماية ، وجلست معه ساعة كاملة لاقنعه بأهمية ذلك . فلم يقتنع • وقال لى ملنر « انك اذا كلمتنى عشر ســـنين لتقنعنى بذلك فانى لا اقتنع » ، فسكت كمدا ولم أخبرك بذلك حتى لا تغضب وتثور ، وتركت لك الامر حتى تعالجه أنت بما تراه مناسبا ولعلك تكون أكثر توفيقا منى فى ايجاد حل لذلك مع ملنر وما كنت أحضر عندك فى الاغلب الا تفاديا من المناقشة والجدل العقيم مع أولئك الاطفـــال » .

سعد : انى ألاحظ عليك أنك اطلعت على برقية ملنر الى اللنبى بواسطة الاعرج فى ٣٠ يونيو ، واجتمعت بى بعد ذلك ولم تحدثنى عنها مع أن ذلك كان ضروريا جدا على الاقل للاتفاق على ما يجب علينا عمله ازاءها • وعلمت من محمد محمـــود أنك قلت له ادك ستؤلف الوزارة القادمة ، وأنك ولطفى السيد متفقـــان على ألا يكون للوفد رأى فيمن تختارهم العمل معك • ثم توالت الاجتماعات بينك وبين فريق من الاعضاء ووضعتم مشروعا قدمتموه الى ملنر ولم تطلعونى عليه ، وكان ذلك بالاشتراك مع رشدى ولطفى السيد • ولم أطلع عليه الا بعد ارساله الى ملنر بخمسة أيام • فهل هذا يليق ؟ ثم انى قلت لك مرارا ان مشروع ملنر مشروع حمـــاية ولا يمكننى تأييده • كما أنك لم تفعل شيئا لازالة الخلاف والتوفيق بين الطرفين بل بالعكس ازددتم التصاقا بفريق من اعضاء الوفد • وروج المندوبون المشروع بعد أن اتفقــوا معى على عرضـــه على الامة بالنزاهة وعدم التحيز ، وكتبت انت الى بعض اصـــدقائك فى مصر بالسعى الى حمل الامة على قبوله كما يطلب ملنر ، وبدأت التفكير والعمل فعلا لتاليف وزارة لاجل الدخول فى المفاوضات الرسمية ، وفى الجلستين اللتين عقدتا مع لجنة ملنر بحضورك لم تشترك فى المفاوضة بكلمة واحدة ولم تساعد بشىء ، بل قلت لى فى الاولى عندما كنت أعارض وظائف المستشارين البريطانيين «انك رضيت بالمستشار المالى » فلم أرد عليك •

« وفى الثانية سألتنى عما اذا كان فى الامكان أن اقول للامة ان الغاء الحماية محتمل احتمالا كبيرا • فاجبتك بانى لا أستطيع أن أقول هذا ، اذ ليس لدى ما يؤيده •

« كل هذا جعلنى أعتقد أنك فى طريق آخر ، وكنت تأخذ صور بعض البرقيات من علوبه وتبلغها للاعـــرج بقبول الامة للمشروع مع بعض الرغبـــات والامانى حتى اقتنع ملنر كل الاقتنـــاع بأن التحفظات آتية منى وحدى لا من الامة ولا من باقى أعضاء الوفد • وكان هذا هو السر فى عناده وعدم مسالمته وتشبثه برفضها ، فلو انك أعلنت انك لا تعمل الا بالاتفاق مع الوفد ••

وهنا قاطع عدلى الزعيم قائلا : « ان هذا الزام مما لا يلزم » •

فقال سعد : ((انك الآن منهم • ووطنيتك قد وضعت موضع الشك)) •

فقال عدلى باسما : « أمن أجل هذا أرسل مراسل الاخبار برقية باتهامى فى وطنيتى ؟ »

سعد : « ان الواجب عليك أن تدافع عن نفســـك وأن تعلن انك متضامن مع الوفد » .
(وهنا سكت عدلى قليلا ووعد بالتفكير) .
وافترق الصاحبان على ان يجتمعا فى المساء .

برقية عدلى وبرقية سعد

وفى الساعة السادسة مساء حضر عدلى لمقابلة الرئيس سعد ، ومعه البرقية الآتى نصها ، أعدها لارسالها الى محمـــود سليمان رئيس اللجنة المركزية :

« منذ تاليف الوفد وأنا ابذل كل ما فى وسعى لمســـاعدته فى جهوده وسابقى محافظا على هذه الخطة ، وساعمل بالاتفاق معه، وليس فى اعمالى ولا فى أقوالى ونياتى ما يبرر تلك الاشاعات السيئة»

اغتبط الرئيس سعد بهذه البرقية كل الاغتبـــاط ولا أخاله الا اعتبر نفسه منتصرا . وهل بعد ذلك انتصار ؟ ولعله لهذا الاعتبار وحده أرسل من ناحيته البرقية الآتية الى محمود سليمان :

« الاشاعات الخاصـــة بعدلى لا اساس لها . وان الاتفاق تام بينه وبين الوفد ، وأنه لا يعمل عملا الا باتفاق سابق معه » .

وهكذا وضعت الاوراق على الجدار المشقق مرة أخرى لكى يبدو سليما للعيان ، متين البنيان . وهو فى الواقع متـداعى الاركان مزعزع الكيان والله المستعان . ومهما يكن من أمر فان الجو قد صفا فجاة وتحسن تحسنا ملحوظا .

وقد علمت اليوم أن عدلى سيسافر يوم ٢٠ نوفمبر عائدا الى مصر . ولعل هذا هو السر فى حرصه على تحسين الجو بهذه السرعة ، وعلى ارضاء الرئيس سعد باى ثمن . وقد دفع الثمن باهظا فيما أعتقد ، والمضطر يركب الصعب من الامور وهو عالم بركوبه .

مادبة غداء لتوديع عدلى

باريس فى ١٩ نوفمبر :

حضر على ماهر مبكرا فى الصباح وخلا بالرئيس نصف ساعة اقترح فيها عليه أن يقيم مادبة غداء توديعا لعدلى ويدعو اليها جميع اعضاء الوفد ، فرفض الرئيس أول الامر ولكن على ماهـر رجا

والح فقبل الرئيس أخيرا وكلفه بابلاغ الدعوة ، وعلمت أن عدلى قبل الدعوة مغتبطا وبغير تردد كما قبلها الاعضاء جميعا ما عدا محمد محمود الذى اعتذر بسبب مرضه ·

وبدأت المادبة ، واستمرت وانتهت فى جو من البشر والانشراح. كان الرئيس يوجه بعض الكلمات الطيبة والنكات الى من كانوا بالامس القريب مخالفين ، وكان يمازحهم جميعا كأن لم يكن شىء · ثم زار بعد الوليمة محمد محمود فى فندقه للاطمئنان على صحته ، ومكث عنده ساعة كاملة تعاتبا فيها طويلا وافترقا بسلام وابتسام، وقبيل خروج الرئيس حضر عدلى فدهش الرئيس لهذه الزيارة واللقاء الثانى على غير انتظار · وقال لعدلى : « سأراك مرة أخرى غدا فى المحطة » ·

فأجاب عدلى : « انك كريم أرجوك ألا تكلف خاطرك بالحضور فان الجو شديد البرودة » وقدم الشكر جزيلا ·

عدلى يسافر من باريس عائدا الى مصر

باريس فى ٢٠ نوفمبر :

اليوم سافر عدلى من باريس عائدا الى مصر ، وحضر لتوديعه فى المحطة جميع أعضاء الوفد وعلى رأسهم الرئيس سعد · وقد لاحظت أن جو التوديع ومظهره كان باردا ومتكلفا ، اذ وقف الرئيس فى ناحية ومعه بعض الاعضاء ، ووقف عدلى فى ناحية ومعه البعض الآخر وكان القطبان يلتقيان من آن لاخر فى شىء من التكلف ولا يطول لقاؤهما · ولم ينتظر الرئيس حتى تحرك القطار لاشتداد البرد فاستأذن وانسحب مع واصف غالى · وسمعت عدلى يقول لعبد العزيز فهمى « ان نكران الجميل متأصل فى النفوس · وها هو فنزيلوس قد سقط بعد أن جعل اليونان قوية وأصبحت مساحتها ضعفين » · قالها وعلى وجهه كل سمات الحزن والانقباض والكآبة ·

تمنيت أن أسترق السمع لاعرف رد عبد العزيز فهمى ، ولكنى جفلت وامتنعت وتحركت من مكانى ·

ويا ليت شعرى ، ما الذى كان يعتمل فى نفس عدلى حين قال قولته ، ورمى فى حسرة جملته ؟

ما الخاطر الحزين الذى دار فى رأسه وكشف لى عن يأسه ؟

هل ذكر الماضى القريب فانقبض وجزع ، ام ذكر المستقبل القريب فخاف وفزع ؟

الم يفارق سعدا وهما على صفاء ، أم استوى عنده الصفاء والجفاء لانه يعلم أن الظاهر غير الباطن ؟

هل ظن أن ما بينهما طلاء فى طلاء ، وأن ما خفى فيه البلاء كل البلاء ؟

الحقيقة واضحة

وأخيرا تحرك قطار الشرق السريع فى الساعة الثامنة قاصدا البندقية ، انطلق القطار يطوى الارض طيا وفى جوفه (عدلى) كنزه الثمين ٠

وجلس عدلى وحيدا يطوى الذكريات طيا ، وفى جوفه همه الدفين ٠

وانصرف المودعون وهم بين رجلين لفراقه : رجل يساوره الالم ويداعبه الامل ، ورجل يشعر بالغبطة ويتنفس الصعداء ٠

أما أنا فلست أحد الرجلين ، وانصرفت شاعرا بأن صفحة من تاريخ مصر الحديث قد طويت ، وان صفحة جديدة قد فتحت ، ومشيت مفكرا فيما كان وما يكون ٠

وذكرت قول الشاعر :

سهرت أعين ونامت عيون   لامور تكون أو لا تكون
فاطرد الهم ما استطعت عن   النفس فحملانك الهم جنون
ان ربا حماك فيما مضى   سيحميك فى غد ما يكون

باريس فى ٢١ نوفمبر ١٩٢٠ :

خرجت من البانسيون هذا الصباح الباكر وفى رأسى سؤال حائر وجملة محيرة ٠ أما السؤال فهو :

لماذا كانت حفلة الغداء لتوديع عدلى خالية من التكلف وغلب عليها المزاح والانشراح ، وكانت حفلة التوديع فى المحطة غاية فى التكلف ، وغلب عليها البرود والجفاء ؟

أما الجملة المحيرة فهى التى قالها عدلى لعبــد العزيز فهمى « ان نكران الجميل متأصل فى النفوس » هل أنقلها الى الرئيس سعد ؟ هذا محال ، فان هذه الجملة لم يقلها عدلى ليسمعها سعد ·

ان الجملة وقعت على أذنى على الرغم منى ، وبغير قصــــد من عدلى وهو رجل مكروب أراد أن يفرج عن نفسه بالقائها فى أثناء همساته الى صديقه الحميم عبد العزيز فهمى ·

ما كدت أصـــل الى مكتبى حتى نادانى الرئيس وطلب الى ان اجلس كعادته معى كلما أراد ان يتحدث الى طويلا ، أو ان يملى على شيئا اكتبه ، سألنى عما اذا كنت بقيت فى المحطة أمس حتى تحرك القطار بعدلى ، فأجبت بالايجاب ، وحدثته فى كل شىء الا عن « نكران الجميل المتأصل فى النفوس » فسكت سعد · وأطرق · ثم رفع رأسه وقال :

الرئيس يأسف على ارسال برقيته

« لعــــلك تدهش يا كامل اذا قلت لك انى آسف على ارسال التلغرافى الذى دافعت به عن عدلى · ذلك لانه تلغراف حاسم وجازم ولا يتفق مع الحقيقة والواقع » ·

فقلت : ان عدلى سبقك بارسال برقية حاســـمة جازمة وهى تنطوى على تعهد منه باستمرار العمل والتضامن معك ومع الوفد ، وجاءت برقيتك ردا طبيعيا يتفق مع الحقيقة الجــديدة والواقع الجديد ·

فقال سعد : ان الترقيع لا يفيد ، وسيعمل عدلى ما يريد فى جو اكثر ملاءمة له الآن ، وبدلا من أن يلقى استنكارا على تصرفاته وشكا فى نياته ، سيلقى عند وصوله حسن الاستقبال من الشعب، وسيفهم ملنر والانجليز انه الحصان الرابح فى الكاسب بالبرقيتين : برقيته وبرقيتى · ومتى بدأ بداية حسنة فسيقلب لى ظهر المجن عن قريب · اننى عندما حادثته وعاتبته على بعض تصرفاته معى لم أسمع منه اعتذارا عنها ، ولا اقرارا بجميل بذلناه ، وخرجت بعد كلامه بانه فعل ما فعل عامدا متعمدا وانه غير آسف على ارتكاب ما ارتكبه مما يخالف الصداقة الخاصة والامانة العامة ، ولعله لم ينكسف الا على افتضاح عمله ، وخيبة امله ، ولا يخالجنى شك فى انه لا يتأخر عن متابعة خطته اذا تهيأت له الوسائل والظروف »·





مصطفى النحاس　　ويصا واصف　　حافظ عفيفى

ثلاثة من الاعضاء يقررون العودة الى مصر

هنا حضر لزيارة الرئيس مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى الذى ظهر اخيرا انه فى غاية الاعتدال ، وأنه يميل ميل علي ماهر في حب الوساطة لاصلاح العلاقات وازالة الخلافات ، وتصفية الجو من المعكرات • وقال الدكتور حافظ عفيفى :

« يا باشا اننا نعتمد على حكمتك فى اصلاح الحال ودوام صلاحه وفى استمرار الوحدة والوئام ، واننا عائدون الى مصر بعد اسبوع وكلنا أمل فى قدرتك على ذلك وندعو لك بدوام الصحة والتوفيق » •

فأجاب سعد : « لقد عزمتم انتم الثلاثة على العودة الى مصر مع انى سبق أن راجعتكم فى ذلك • ولكن محمد على علوبه اخبرنى بانكم اشتريتم التذاكر وازمعتم السفر فى ٢٧ نوفمبر فشعرت بان هذا تصرف غير لائق من جانبكم لانكم لم تخبرونى به قبل البت فيه • واذا كنتم تريدون مساعدتى حقا فلماذا تتعجلون العودة فى هذه الظروف قبل أن نتعاون معا على تسوية كل الخلافات الموجودة الآن فى الوفد ؟ »

فسكتوا قليلا • ثم أظهروا الاسف ، وقدموا الاعتذار ، ولكنهم مصممون على السفر •

نبتت للرئيس فكرة !

وبعد خروجهم أخبرنى الرئيس أنه يتوقع أن كثيرين من أعضاء الوفد سيعودون الى مصر مثلهم . فانه قد فكر فى الامر وقرر الا يعارض أحدا له رغبة فى العودة . وأما هو فسيظل يجاهـــد فى أوربا بكل ما لديه من وسائل حتى تنال مصر استقلالها التـــام . ويكفيه فى هذه الحالة أن يكون معه اثنان فقط (واصف غالى وأنا) كمساعدين له . وأما باقى الاعضاء فمن الخير أن يعودوا كلهم توفيرا للمال وحسما للخلاف .

سمعت هذا الكلام من الزعيم فآثرت السكوت .

جلسة لتحديد موقف الوفد

٢٣ نوفمبر ١٩٢٠ :

حضر الى مقر الوفد لطفى السيد ومحمد محمود وعلى ماهر والمكباتى وحمد الباسل ، ثم حضر الرئيس ومعــه واصف غالى ومصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى وسينوت حنا ، وبعد نصف ساعة حضر عبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة .

وكان موضوع الجلسة « تحديد موقف الوفد ازاء من يقـــوم بالمفاوضات الرسمية قبل الغاء الحماية بنص صريح » . وانقسم الاعضاء كما هى العادة الى فريقين :

الاول فريق الرئيس الذى رأى وجوب استنكار كل من يتعرض للمفاوضات الرسمية .

الثانى ـ فريق أنصار عدلى الذى رأى أن من مصلحة البلاد أن يتركه الوفد حتى يأتى بما لا يتضمن هذا الالغاء ، ثم يستنكره الوفد ويحاربه .

فأجاب الرئيس : « بل يجب منعه محافظة على وحدة الامة . وما دامت الامة قد أقامت الوفد وكيلا لها فلا يجوز له أن يتخلى عن وكالتــه وواجبه ويترك أى شخص يتفــاوض من غير اتفاق سابق معه على القواعد والاسس والاهداف ، فاذا لم يتم هذا الاتفاق مع الوفد وجب على هذا الشخص أن يتنحى عن هذه المسئولية . »

وهنا قال المكباتى : ((وما الرأى اذا كانت مع هـــذا المفاوض الرسمى كتابة تشتمل على وعد بالغاء الحماية ؟ » فاجاب سعد : ((ننتظر فى هذه الكتابة ومضمونها ثم نسير حسب ما نفهمه منها)) .
قال عبد العـــزيز فهمى : ان واجب الوفد الاول فى الظـــروف الحاضرة هو أن يتلافى انقسام الامة ، أما انقسام الوفد فان من الممكن تلافيه وذلك بأن تعلن الاغلبية التى كانت تعارض الرئيس بانها أصبحت الآن من رأيه ، وأن الوفد بالاجماع موافق على عـدم الدخول فى أية مفاوضات رسمية الا بعد قبول التحفظات معهـــا بالمعنى الذى يبينه سعد باشا . وبهذا لم يعد فى الوفد اى انقسام، وأما انقسام الامة فالسبيل الى تفاديه هو عدم محاربة عدلى لافى السر ولا فى العلن . ثم تكلم المكباتى فقال : « اذا كان عدلى على رأس هيئة أخرى ويتولى المفاوضات الرسمية لكى يبذل جهـــوده ويستخدم كل وسائله لكى يحصل على قبول التحفظات ، فكيف يسمح للوفد ضميره أن يخذله ويحاربه ؟ »

فابان الرئيس فى شىء من الانفعال خطأ هذه الفكرة وقال :

« لا يمكن للوفد أن يقف مكتوف اليدين ازاء هيئة كهذه تغتصب مهمته ووكالته ، ثم يؤيدها على زعم الباطل بانهـــا تجـــرى على خطته وتهدف الى غايته . ان هذا التصرف (لو تم) يكون نوعا شنيعا من خداع النفس وخداع الناس)) .

وانتهت الجلسة الى غير قرار والاعصاب متوترة .

والعجيب أن كل عضو فى الوفد تكلم وأطال وأسهب . وكان كل منهم يدور فى حلقة مفرغة ، وليس فيما قيل فكـــرة جديدة جديرة بالتسجيل ، بل حجج مكررة فى عبارات متباينة ، وهدف كل فريق هو نفس الهدف من غير تعديل ولا تبديل .

المكباتى يكشف عن النية لتنحية الرئيس عن المفاوضات المقبلة :

بعد العشاء نزلت كالعادة الى « كافيه فوكيه » فى الشانزليزيه، وهى قريبة جدا من البانسيون الذى أسكن فيه ،وذلك لاقضى ساعة فى الهواء الطلق وأتفرج على الناس الذين يروحون ويغـــدون ، ويجلسون ويقومون ويتهامسون . والرجال والنساء فى ســـعادة ظاهرة لا يبدو على أحد منهم ولا على واحـــدة منهن غير البشر والابتسام . وأن الانسان ليسعد اذا عاش وسط السعداء ويكتئب اذا عاش وسط الاشقياء ، والابتسام يعدى وينشر جوا من الراحة

والسكينة والسلام • وكنت عظيم الامل فى هذه الراحة والسكينة والسلام ، ولكن لم يتحقق أملى • فقد حضر المكباتى وحمد الباسل وجلسا معى فاستدرجتهما الى الحديث عن الباعث الحقيقى الذى يدفعهما الى هذا الاتجاه المخالف لوجهة نظر الزعيم سعد فى نفس الوقت الذى يعلنون فيه أنهم متضامنون معه كل التضامن فى وجوب عدم دخول الوفد فى اية مفاوضات رسمية الا بعد قبول التحفظات أولا وقبل كل شىء •

فقال المكباتى « المدباتى » فى صراحة عجيبة « انهم يريدون فى الحقيقة تنحية الرئيس سعد عن المفاوضات فلا يعالجها فى المستقبل ولو حرموا انفسهم من ذلك ايضا وانهم يريدون فى الوقت عينه أن يتولى أمر المفاوضات عدلى ومن يختارهم • لان عدلى فى نظرهم أكثر مرونة وسياسة من سعد » ثم قال ضاحكا « لقد حاولنا تهدئة سعد بزعمنا أننا على رأيه ولا نريد الدخول فى المفاوضات الرسمية الا بعد قبول التحفظات ، ولكن سعد ((ثعلب)) لم ينخدع بما قلناه » • قالها ضاحكا مغرقا فى الضحك ، وسمعتها حزينا غارقا فى الحزن •

افترقنا بعد ذلك وعدت الى مسكنى وعاودتنى الفكرة القديمة او السؤال القيم :

هل ابلغ الرئيس ما سمعت ؟ ولكن ما فائدة ذلك ؟ كلا . لن أبلغه لانى أخشى أن تزداد العلاقات فسادا وسوءا بينه وبينهم ، وما انا بناقل أخبار ، تضر ولا تنفع ، والجهل بها خير الف مرة من الوقوف عليها ، وفى العلم بها بعض الشقاء وزيادة البلاء •

٢٤ نوفمبر ١٩٢٠ :

أدهشنى الرئيس اليوم اذ أخبرنى أنه عزم على الانقطاع عن الذهاب الى مقر الوفد (فى شارع باريف) اتقاء لشر المكباتى وسفاهته ، فقد أدرك بفطنته وفراسته ما يريدون وما يبيتون وما يتآمرون عليه فكيف لو أبلغت ما سمعته من المكباتى ليلة أمس • ثم قال لى فى حزن غامر يمازجه ايمان عامر :

الاعتراف السابع عشر

« لا أظن أن الامة اصابها هزال يجعلها ترضى بما كانت ترفضه ، وتقبل هذه الحماية بعد ان تشبعت بروح الاستقلال • انى لن أهبط

مع الهابطين • وأدعو للحماية بعد أن كنت رسول الاستقلال ، ولان يتركني قومي خير من أن أتركهم • ولان أبقى وحدى وهم ينزلون، خير لملامة من أنزل مع النازلين ، ولان يقال تخلى عنه قومه خير من ان يقـــال ركنوا اليه فغدر بهم ائتمنوه فخانهم ، ورفعوه فخفضهم ، نعم لم يعد امامى أمل كبير أو صغير للعمـــل ، ولكن العجز خير من الغدر » •

٢٥ نوفمبر :

حضر لزيارة الرئيس فى مسكنه الاعضاء الذين اعتادوا مقابلته وزيارته يوميا ، وهم واصف غالى وسينوت حنا ومصطفى النحاس وعلى ماهر والدكتور حافظ عفيفى •

وفى الساعة ١١ صباحا حضر على غـير انتظار عبد العـزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد محمود ومحمد على علوبة وحمـــد الباسل ولم يحضر المكباتى لحسن الحظ حتى لا يعكر الجو بآرائه وأساليبه الخشنة المثيرة • وفى هذا الاجتمـــاع القى الرئيس بفكرته التى نبتت فى رأسه اذ قال :

« بماأن عمل الوفد الآن قد أصبح قليلا ، وتقرير ملنر سيظهر قريبا ، ولا ينتظر منه أن يأتى بما هو خير من مشروعه ، أظن أن الاحسن أن يعـــود الى مصر عدد من الاعضـــاء ليراقبوا الحالة العامة هناك ويبقى آخرون هنا على قدر الحاجة » •

فوافق لطفى السيد وعبد العزيز فهمى على هذه الفكرة فورا ، ورغبا فى أن يكونا من المسافرين ،ولكن محمد على علوبة قال :

« ان الاولى انتظار تقرير ملنر وتاجيل البحث فى اقتراح الرئيس الى وقت آخر • » فلم يعترض الرئيس على ذلك •

ويخيل الى أن هذا الاجتماع الذى حضره بعض أنصار عدلى لم يكن المقصـــود منه فى نظرهم الا التاكد من أن الزعيم سعد ملتزم جانب السكوت والهدوء بالنسبة لعودة عدلى الى مصر •

وفى أثناء تناولى الشاى معه أخبرنى الرئيس انه أرق الليلة البارحة طويلا وكان دائم التفكير فى الانحلال الموجود فى الوفـــد وتعذر البقاء عليه ، واستحالة علاجه وشماتة الاعداء فيه ، وهو اليوم فى أشد حالات الحزن ثم قال :

« ان الله عودنى خيرا كلما ضاق بى الامر واشتد الكرب » •

وفى المساء حضر على الشمسى من جنيف لزيارة الرئيس ، فلما سمع من الرئيس بياناته وآراءه فى انقسام الوفـــد ، اقترح على الرئيس أن يخرجهم من الوفد وان يعين غيرهم ، فلم يوافق وقال: « ان فى هذا صدمة كبرى للامة » .

حالة الرئيس الصحية

٢٦ نوفمبر :

علم الرئيس صباح اليوم أن لجنة الوفد المركزية تفكر فى اقامة حفلة كبيرة لتكريم عدلى وتعبئة الجهود استعدادا لحسن استقباله . فغضب الرئيس غضبا شديدا وقال : « انها رعونة تسوق الناس هذه الايام الى فعل ما يخالف مصالحهم . »

وأنه لمن دواعى الاسى والاسف الشـــديد أن ألاحظ بدء الانهيـــار فى صحة الرئيس . فقد امتنع منذ ايام عن أكل اللحوم ، وهو كثير الارق مصاب بالسكر ، وبه ضعف ظاهر وهزال شديد ، ولونه يميل الى الصفرة ، وهو كثير الخفقان لان به ضعفا فى القلب ، الله يلطف به ويرحم مصر المسكينة الفقيرة فى الرجال .

ويا عجبا كل العجب . هل قضى علينا أن نعيش كاكباش ناكل من مرعى واحد ثم نتناطح بعد الاكلة ؟

ولكن هى الطبيعة البشرية فاما حبا أو كرها واما وئاما أو خصاما

وحضر مصطفى النحاس والدكتور حافظ عفيفى وويصا واصف مستأذنين فى السفر غدا ومودعين الرئيس ، وكان منظر الرئيس مؤثرا مثيرا للاشجان والاحزان .

عودة الاعضاء الثلاثة الى مصر

٢٧ نوفمبر :

ذهبت الى المحطة لتوديع الاعضاء الثلاثة العائدين الى مصر ، وقد دهشت اذ لم أجد أحدا من الاعضاء الآخـــرين ذهب الى المحطة لتوديعهم . فكنت الوحيد المودع لهم ، وقلت مازحا لمصطفى النحاس : « الرئيس يمثل الوفد سياسيا ، وأنا أمثل الوفـــد فى القيام بمراسم التوديع » . وهنا ضحكنا جميعا وتبادلنـــا بعض النكات التى جعلت جو التوديع جو مرح وابتسام .

مواعيد عملى وشاى الرئيس

٢٨ نوفمبر ـ ٥ ديسمبر :

هذه فترة سكون وركود وجمود وهمود وخمود . ولم يسبق أن مر على الوفد فترة مثلها فى طولها (ثمانية أيام معا) لم يحدث أى اجتماع رسمى أو غير رسمى للوفد ، والاعضاء يأتون الى مقر الوفد ويخرجون افرادا أو مثنى وثلاثا ، بلا نظام أو اطراد ، يستفهمون عما عندى من الاخبار المنشورة فى الجرائد الانجليزية أومجلس العموم البريطانى فأخبرهم بما يكون ، ولم يذهب الرئيس مرة واحدة الى مقر الوفد بل لم يخرج من مسكنه قط ، وأهم ما نشر خبران موجزان لا يتجاوز كل منهما أربعة أسطر:

الاول : أن عدلى وصل الى مصر واستقبله بعض الانصار .

والثانى : ان تقرير ملنر ينتظر أن يصدر فى شهر ديسمبر الحالى .

ومواعيد مكتبى ومقابلاتى للرئيس هى من الساعة التاسعة صباحا الى الواحدة بعد الظهر ، ومن الساعة الرابعة بعد الظهر الى السابعة مساء ، ومن التاسعة مساء الى العاشرة والنصف ليلا .

ثم أخرج لاقضى نصف ساعة فى كافيه فوكيه أتنسم فيها الهواء الطلق ، وأنسى فيها متاعب اليوم برؤية الحياة اللاهية الهادئة فى هذه البقعة الجميلة من الارض .

هذا هو النظام الرتيب طوال الاسبوع كله ، لا أعرف يوم جمعة أو أحد للراحة ، اذ ليس لى يوم للعطلة والراحة فى أى اسبوع أو فى أى شهر .

ولعل أجمل فترة عقب اليوم كله هى التى أقضيها مع الرئيس بعد الظهر حين أتناول الشاى معه ، وشاى الرئيس غريب بسيط طريف :

١ ـ شاى باللبن .

٢ ـ أربعة بريوش .

٣ ـ عين الجمل المقشر .

والرئيس يحب عين الجمل المقشر لما فيه من مواد غذائية عظيمة تتناسب وحالته الصحية المعطوبة بمرض السكر .

خطاب رابع من أحمد أمين

٦ ديسمبر :

تسلمت اليوم خطابا من مصر تاريخــــه ٣٠ نوفمبر وهو من صديقى الشيخ أحمد أمين . يقول فيه :

« ان الحالة فى مصر هادئة هدوءا تاما ولكنه لا يرى أهى كما قال القائل :

أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام

أم هو سكوت من اعياه التعب . وفيه يقول :

« لا تنس يا كامل أن السواد الاعظم من الامة غير مثقف ، وانه كان يساق الى الوطنية سوقا فان لم يكن بجانبهم من يقـــويهم ، ويصلب عودهم ويرفع فيهم الروح المعنوية ، عادوا الى سـيرتهم الاولى . ولا تنس اننا وليدون فى الوطنية قريبو عهد بالمبادىء الجديدة ، وان الخميرة فى الامة هم الشباب المتعلم وهؤلاء قليـــل عددهم اذا نســــبوا الى الامة . وأن توالى الضغط على الامة قرونا طويلة من فرس وروم وعرب وترك وانجليز أفقد الامة صراحتهـــا وشجاعتها وأضعف قوتها وشهامتها . ولكن ما يعزينـــا هو أننا أصبحنا نرى التطور يسير سريعا وشعورنا بشخصـيتنا وقوميتنا ينمى نموا حثيثا يبعث على الارتياح ، ولكن مما يؤسف له هــذه الايام أن السواد الاعظم من الامة يبيت ويصبح هو لا يفكر الا فى مشكلته الاقتصادية الناشئة من انخفاض أسعار القطن ، فهو يبنى أعماله ومشروعاته على أن يبيع القطن بأربعين جنيها فاذا بثمنه الآن دون العشرة . والقطن كما تعرف معبود الفلاح والمالك على السواء .. لقد استقبل عدلى باشا استقبالا طيبا بعد أن حامت حوله شكوك كثيرة حتى جاءت برقية الرئيس وكان لا بد منها ليستعيد عدلى باشا مكانته .. فرجعت القلوب الى عهدها الاول .. تعد له اخلاصه وتقدر له حسن مسعاه . وما النتيجة يا كامل وما المنتظر؟ والى ماذا نحن صائرون ؟ أنت الآن فى مستوى أعلى ، فأنت أوسع منا أفقا وأقدر منا على رؤية ما لا سبيل لنا الى رؤيته ، فهل تشركنا فيما ترى ؟ وسلام الاخوة الصادقة اليك منى ومن سائر أصدقائك الاوفيـــاء » .

أطلعت الرئيس على هذا الخطاب بأن قرأته عليه .. ثم نظرت

الى الرئيس فوجدته مطرقا مفكـــرا فى شىء من القلق الواضح والحزن الملموس ٠ وهو الآن يعرف تمام المعرفة أن صديقى الشيخ أحمد أمين من أكثر الناس تدقيقا وأعمقهم تفكيرا وأعظمهم اخلاصا ٠

ولولا أن دخل فى هذه اللحظة على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، لاستمرت جلستى مع الرئيس ٠ ولعرفت منه خوالج نفســه وأفكاره ازاء ما ورد فى ذلك الخطاب ٠

اشتداد أزمة القطن

٧ ديسمبر :

وردت الجرائد من مصر وأعمدتها طافحة بأخبار أزمة القطن ، وأهم ما لفت أنظارنا أن تشكل وفد من كبـــار المزارعين الممثلين لجميع المديريات ، وأن وفودا عديدة صغيرة أخذت تتكون كذلك مع أنها ليست لها طلبات خاصة ، فقال لى الرئيس :

« يحسن أن يمثل الحالة الاقتصادية ويعالج الازمه الحالية وفد واحد كما يعمل فى المسائل السياسيه ، وفد واحد يمثل البلاد ٠ ثم استطرد قائلا : ان أخوف ما أخافه من كثرة هذه الوفود وكثرة اتصالها بالحكومة أن تســـتغل استغلالا سياسيا اى ســـتخدمها الحكومة لتحقيق أغراض سياسية لا تتفق معقضية الاستقلال ٠ »

أما الوفد الكبير الذى تكون من كبار المزارعين الممثلين لجميع المديريات فقد تقدم باقتراحات ثلاثة هى :

أولا ــ تحديد زراعة القطن بثلث الاراضى فى العام المقبل ٠

ثانيا ــ الغاء اتفاقات الحكـــومة فى استجلاب الحبـــوب من الخارج ، وذلك للمحافظة على أسعار الحبوب الوطنية فى الســـنة المقبلة ، وحتى لا تقع البلاد فى أزمة حبوب كما وقعت الان فى أزمة قطن ٠

ثالثا ــ تشترى الحكومة مليون قنطار من صـــغار الفـــلاحين المضطرين للبيع ٠

وذلك حفظا لاسعار القطن من التدهور ٠ وثمن هذا المليون يأتى من مبلغ المليونين من الجنيهات التى حصلتها الحكومة من الضريبة المفروضة على القطن ، والتى لا ينتظر أن تستعمل الآن لان الحكومة لا تشترى حبوبا من الخارج ٠ ثم ان الباقى تدفعه الحكـــومة من

وفورات الميزانية . واذا باعت الحكومة المليون قنطار من القطن فيما بعد وخسرت ، فانها تستطيع أن تعوض الخسارة بضريبة جديدة مؤقتة تفرضها على مجموع الاراضى الزراعية فى مصر .

وقال لى الرئيس : « هذه اقتراحات معقولة ومقبولة . ولعل الصعوبة الوحيدة فيها هى فى معرفة السعر الذى تشترى به الحكومة قنطار القطن من المليون المراد شراؤها . »

فقلت : « ألا يمكن تحديد هذا السعر على أساس تكاليف الانتاج لقنطار القطن مضافا اليه الربح المجزى المعقول . »

فقال الرئيس : « تكاليف الانتاج تختلف باختلاف المناطق والمديريات وتختلف باختلاف المزارعين والملاك ، والربح الذى تراه أنت مجزيا ومعقولا قد يراه غيرك لا مجزيا ولا معقولا . وهذه هى المصاعب » .

وهنا أطرق قليلا ثم استطرد قائلا :

« ان الناس يجب أن يفهموا أن شهوة الغنى لا يجوز ان تنسيهم كرامتهم المسلوبة واستقلالهم الذى ضحوا بالكثير من أجل تحقيقه. وانه لمن دواعى الاسف انى لم أجد فى اية جريدة مصرية كلمة واحدة فى هذا المعنى تبصر الناس وترشدهم سواء السبيل ، بل لم أجد فى أية جريدة مصرية اقتراحات عملية مفيدة لحل الازمة القطنية ، بل كل الجرائد لجأت الى الطريق السهل : وهو التشنيع على الحكومة واتهامها بالتقصير وبانها لم تفعل شيئا للتخفيف ويلات الازمة دون أن تقترح من جانبها خطة العمل الواجب اتباعها ، فسياسة الجرائد والحالة هذه سياسة هدم ونقد وتدمير لا سياسة بناء واقتراح وتعمير » .

حيرتى الآن

باريس فى ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

جالت فى نفسى اليوم خواطر فى شكل أسئلة وغير أسئلة :

هل أستمر فى كتابة هذه اليوميات مهما تكن حوادث بعض الايام؟

هل يحسن أن أتفادى اليوميات بأن كتب ((أسبوعيات)) أى أى أكتب مرة واحدة كل أسبوع ؟

هل يحسن أن أكتبها « شهريات » أى شهرا شهرا .

لقد نضب معين الحوادث الكبرى التى ينطوى العلم بها على متعة أو فائدة .

فانتهت مفاوضات الوفد مع لجنة ملنر الى غير رجعة .

وانتهت كل المشاكل اليومية أو جلها التى كانت تثور بسبب تلك المفاوضات أو المحادثات .

وانتهت قصة عدلى وتدخله فى شئون الوفد بعد عودته الى مصر .

وانتهت اجتماعات الوفـــد لقلة العمـــل وكثرة السأم وانتظارا لظهور تقرير لجنة ملنر .

وانتهت حتى زيارات كثرة الاعضـــاء للرئيس واصبح بينهم وبينه جفاء وشبه قطيعة .

وأصبح لا يقابل الرئيس يوميا الا ثلاثة اعضـــاء هم ، على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا يزورونه فى مسكنه .

والرئيس لا يذهب الى مقر الوفد فى شارع مارببيف .

— وأعضاء الوفد يذهبون الى مقر الوفد بغير نظام ولا اطراد .

وأنا أقضى ساعتين كل صباح فى مكتبى بمقر الوفد ثم انتقل الى مكتبى الاخر بمسكن الرئيس حيث أحمل اليه ما عنـــدى من أخبار الجرائد الانجليزية ومقالاتها بعـــد ترجمتها الى العربيـــة ، ثم أقضى بقية ساعات العمل صباحا وبعد الظهر ومساء مع الرئيس فى مسكنه .

وأكثر الاعضاء حضورا الى مقر الوفد اربعة هم محمد على علوبة وحمد الباسل ومحمد محمود والمكباتى .

وأما عبـــد العزيز فهمى ولطفى السيد فلا يحضران ، ولا أعرف من أنبائهما شيئا غير ما أسمعه من محمد على علوبة وبودى أن أزورهما ، وأتحدث اليهما ولكن ذلك عسير أو مستحيل لانى لا أملك من وقتى غير ساعات قليلة أقضيها فى الطعام والراحة ، وقلمـــا تكفى للراحة والطعام .

والآن أعود مرة ثانية الى موضوعى الاصيل حتى لا ابتعد عنه بالشرود والاستطراد ، هل اكتب يوميات أو أسبوعيات أو شهريات؟

ولكن لماذا يجب أن أبت فى هذا الموضوع ؟ ولماذا التزم بخطة معينة لا احيد عنها ؟

ولماذا لا أكون حرا فى أن أكتب ما أشاء • ومتى أشاء ؟
اذا كان المعين الحالى قد نضب فهناك معين جديد ينتظر ظهوره وتفجره وتدفقه •

وقد نشرت جريدة التيمس صباح اليوم أن تقرير لجنـــة ملنر سيرفع غدا الى الحكومة البريطانية التى ستدرسه بكل عناية وينتظر نشره واذاعته مع قرار الحكومة بعد شهر أو شهرين على الاكثر أى فى فبراير ١٩٢١ •

وستتفاقم الازمة داخل الوفد يقينا ..

وسيعود أكثر الاعضـــاء الى مصر حتما كما فهمت ذلك من عبد العزيز فهمى ومحمد على علوبة •

وسيتولى عدلى رئاسة الوزارة القادمة بغير شك .

وسينقسم الوفد على نفسه • ما فى ذلك أدنى شك ، فان دوام الحال الراهنة من المحال •

وستنقسم الامة على نفسها لا محالة ..

وسيضطرب سعد وسيفكر ويكافح فى شدة وعنف ، وهو فى هذا يجرى على سليقته •

وسيعود الى مصر حتما عاجلا ولا أقول أجلا ..

كل هـــذا أراه من البداهة بمكان . وكل ذلك فى حاجـــة الى تفصيل وتسجيل •

فلن ينضب المعين لمـــن يريد أن يكتب ويصـــور أطوار النفس البشرية ويسجل الاحداث التاريخية ونحن نعيش الآن فى فترة حاسمة فى تاريخ البلاد • بل نحن الآن من صناع التاريخ ، وحرام أن تمر هذه الحقبة من الزمن بدون أن تسجل تفصـــيلا وتعرف معرفة صادقة لا لبس فيها ولا غموض ، ولا تزييف فيها ولا تحريف، ولا نقص فيها ولا اسراف فلاستمر فيما أنا فيه والله المعين •

تقرير لجنة ملنر

باريس فى ٩ ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

اليوم قدم ملنر تقرير لجنته ــ الى حكومته ــ التى تعتبره أعظم وثيقة رسمية مدروسة لاعظم/مشكلة سياسية تواجهها فى الوقت الحاضر وسينشر التقرير وتعرف كل تفصيلاته مع قرار الحكومة

البريطانية بشان مقترحاته فى النصف الثانى من فبراير سـنة ١٩٢١ • وأن السبب فى تأخير نشره هذه المدة الطويلة هو الرغبة فى ترجمته الى اللغة العربية لكى ينشر فى لندن والقاهـرة فى وقت واحد ، وسترسل بعض النسخ من التقرير الى اللنبى فى مصر ليتولى المترجمون تحت اشراف رجاله القيام بالترجمـة فى سرية تامة ، حتى اذا تمت الترجمة وطبع التقرير باللغة العربيـة أمكن نشره واذاعته •

قصة عجيبة

أصبح الزعيم سعد حبيسا فى مسكنه لا يستطيع الخـروج منه لاشتداد برد الشتاء الى خمس درجات تحت الصفر ونزول الثلج هذه الايام • وفى أثناء تناولى الشاى معه عصر اليـوم أخبرنى بتصرف غريب مثير من عبد العزيز فهمى • قال :

((عندما كنا فى لندن حضر عنـدى عدلى وكان غاية فى التودد والتواضع ، وكان معى عبد العزيز فهمى ومحمد محمود ومصطفى النحاس وواصف غالى ، فرويت لهم حادثة وقعت لى ، وهى شروعى فى شراء أطيان من الدائرة السنية وعدولى عن الشراء لان صديقا حميما لى أخبرنى عند توجهى لشرائها بأن البيع قد تأجل فى هذه الاطيان ، وقال « لا تتعب نفسـك بالذهاب » فرجعت واشتراها هو فى الحال)) •

ثم استطرد الرئيس فقال : « ان هذه جريمة تستحق العقـاب لانها نوع من النصب والاحتيال • » فقال عبد العـزيز فهمى : « ان القانون لا يحمى العبطاء » •

فاجاب الرئيس : «لا عباطة هنا • وانما هى ثقة صديق بصديقه»

فقال عبد العزيز فهمى : « لا تؤاخذنى ، وأورد مثلا ثم ختمـه بقوله : « ان العبطاء لا تحميهم القوانين » • هنا سكت سـعد وأطرق قليلا ثم قال لى :

« لاحظت وشعرت أن عبد العزيز فهمى كان يقول هذا الكـلام مجاهدا شعورا فى نفسه يحاول منعه من هذا القول • ولكن شعورا آخر كان يدفعه اليه • وكأنه أراد أن يقول لعدلى : « انظر كيف استخف بمكانة هذا الرجل وأعده من العبطاء » • ثم سكت الرئيس مرة أخرى وأطرق كأنه يعالج خواطر أليمة تزعجـه أو شعورا بالغيظ يحاول كتمانه • ثم رفع رأسه وقال لى فى ألم ظاهر:

الاعتراف الثامن عشر

« لقد كظمت غيظي وقلت فى نفسى سبحان الله ما أضعف نفوس بعض الرجال وما أسخف عقولهم ، لقد عجبت من أمر هذا الرجل الذى يطفح الحقد من صدره ، ولكنى عدت فحمدت الله اذ رأيت أن هذا من العلامات الطيبة على أن الفضيلة التى يحسدنى عليها راسخة فى . ثم رثيت لحاله لان الحسد سيأكل نفسه حتى يهلكها ، بينما الحقد يضنيه ويشقيه ويذوبه ثم يفنيه » .

وانما رجل الدنيا وواحـــدها   من لا يعول فى الدنيا على احد

سمعت هذا الكلام الذى فيه من الحزن والكمد أضعاف ما فيه من الغيظ والغضب ، وبدا على التأثر الشديد والانفعال الـــذى اغالبه فيغلبنى . واقاومه فيهزمنى . ولم يخف ذلك كله على عين سعد النافذة . فقال باسما ابتسامة فلسفية : « ما رأيك يا كامل : فقلت وكأنى صحوت من غاشية « أنا يا سيدى فى دهشة وذهول : ان هذا الرجل ظالم . فما فى الامر بلاهة أو عباطة . وما كنت أتصور فيه سلاطة اللسان والتهجم الى هذا الحد أو الى أى حد ، بل كنت أعتقد أنه رجل عالم فاضل عظيم التواضـــع جم الادب متزن ينكلم بحساب شأن كل رجل قوى واثق من نفسه » .

فقال سعد : أرأيت الآن مبلغ خطئك فى رأيك وعقيدتك فى هذا الرجل ، ومن يدرى فلعل كثيرين مثلك يرون رأيك هذا فيه .

ثم سكت دقيقة أو دقيقتين قضاهما فى اطـــراق وتفكير . ومن عادتى أن أسكت ولا أتحرك أقل حركة كلما رأيته مطرقا ومفكرا فى هدوء وسكون ، وذلك حتى لا يشعر بوجـــودى فينصرف الى تأملاته كما يشاء : ثم رفع رأسه ، ونظر الى وقال :

« ما رأيت رجلا مغرورا بنفسه فى تواضع ولا خبيثا فى صالح ، ولا عسوفا فى عادل ، ولا كذوبا فى صادق ، ولا جبانا فى شجاع ، ولا متغلبا فى ثابت ، ولا مرائيا فى صريح أكثر من هذا الرجل ، عبد العزيز فهمى » .

وهنا أخرجت مسرعا القلم من جيبى ـ وسجلت هـــذا الحكم الفريد ، فى هذا الاسلوب الجديد ، كتبته ثم تلوته عليه لاستوثق من صحة كل كلمة قلها . فابتسم وقال : « أنت أشبه بالفونوغراف سجلت كل كلمة ولم تفتك كلمة واحدة .. ما أقوى ذاكرتك ... »

سعد زغلول وعبد العزيز فهمي في الميزان

١٠ من ديسمبر ١٩٢٠ :

سعد زغلول وعبد العـــزيز فهمي أقوى شخصيتين مصريتين عرفتهما فى حياتى حتى الآن ، ولا يقارن بهما أى مصرى آخر فى مصر الا رجحت كفتهما واثبتت المقارنة افضلية هذين الرجلين ، وامتيازهما البارز على كل من عداهما ٠

والعجيب أنى أحبهما حبا جمـــا رغم ما بينهما من تفاوت فى المذهب ، واختلاف فى النظرة وفى السياسة ٠

ان أوجه الشبه بينهما كثيرة :

فكلاهما ذكى مفرط فى الذكاء ، فصيح اللسان بليغ البيـــان الى أقصى درجات الفصاحة والبلاغة ٠

وكلاهما صريح لا يتردد فى التعبير عن رأيه والدفاع القوى عن وجهة نظره ٠ ولعل سعدا أصرح وأقوى منه ٠

وكلاهما قوى الشكيمة قوى الشخصية عنيف الكفاح ولعل سعدا أقوى وأعنف ٠٠

وكلاهما محام بارع ضليع درس القانون وتفقه فيه وتعمق ، ولعل عبد العزيز فى ذلك المحق ٠

وكلاهما حاضر البديهة شديد السخرية فتـــاك المنطق عظيم الاعتداد بنفسه وهما فى ذلك فرسا رهان ٠

وكلاهما مناقش لا يمل ، ومجادل لا يكل ، ومحـــــاور مداور بالمنطق المتين والعقل المكين ، ولا يلين ولا يستكين ٠

وكلاهما متعصب لرأيه لا يحيد عنه قيد أنملة ، حبه للاقنــــاع أضعاف أضعاف استعداده للاقتناع ٠

وأوجه الخلاف بينهما قليلة العدد : ولكنهـــــا كبيرة فى الوزن والشأن والخطر وبعد الاثر ٠

فسعد خطيب مصقع يهز المنابر ٠ ويؤثر فى النفـــوس أبلغ تأثير ، فى المتعلمين والجماهير على حد سواء ، وعبد العزيز فهمى لا يسمو الى هذه المرتبة بل هو دونها بمراحل فليس له سمته ولا صوته ولا روعته ٠

وسعد زعيم أمة وصاحب رسالة ورئيس رجال ثورة واسمه يفعل في مصر مثل السحر وزيادة ، وعبد العزيز فهمي زعيم أغلبية من اعضاء الوفد ·

وسعد يرفض مشروع ملنر وينـادى بالتحفظات ويتمسك بالاستقلال ·

وعبد العزيز فهمى يقبل مشروع ملنر ويستخف بالتحفظات ويعتبر الاستقلال محالا فى الظروف الراهنة ·

وسعد يريد تحقيق ما يريد تنفيذا للتوكيل الذى حصل عليه من الامة ، فيجد فى عبد العزيز فهمي وأصحابه وعدلى العقبة الكأداء والصخرة الصماء ·

وعبد العزيز فهمى يريد تحقيق ما يريد فيجد فى سعد المارد الذى يستحيل التغلب عليه ·

من هنا نشأت الكراهية بين هذين الرجلين العظيمين ·

كلا الرجلين العظيمين النابهين (سعد زغلول وعبد العزيز فهمى) يريد التخلص من صاحبه اللدود اللجوج حتى يخلو له الجو فيحقق ما يريد ، ولكن ليس الى الخلاص من سبيل حتى الآن·

حديث الرئيس مع عبد الملك حمزة واسماعيل كامل

١١ من ديسمبر :

حضر لزيارة الرئيس صباح اليوم عبد الملك حمزة واسماعيل كامل ، وبعد خروجهما مرا بمكتبى وبقيا معى نصف ساعة · وعرفت منهما أنهما من رجال الحزب الوطنى ولا يعجبهما حال الوفد ورجاله · وفى أثناء تناولى الشاى مع الرئيس فى الساعة ٣٠ر٤ بعد الظهر سألته عما وقع فى نفسه من أمرهما فقال الرئيس :

« ان الشك يخامرنى فى أمر هذين الشابين لانى مع كونى أطلعتهما على كثير من الادلة الكتابية وغيرها التى تدل على ضعف عدلى واستخفافه بالاهداف الوطنية ، وميله الى تعضيد ملنر ، فانهما لم يتأثرا ، واستمرا يتكلمان عن ضرورة الاتفاق معه رغم الفوارق السالف ذكرها » ·

ثم سكت الرئيس فى حزن بالغ وبعد قليل استأنف كلامه فقال :

« لقد تكلمت معهما طويلا ، وقلت لهما أليس من الغريب بأن أعارض المشروع الذى ينسب الى ملنر ، وأن يدافع عدلى عنه ،

ولم ينسبه أحد اليه • وقلت لهما ان عدلى ضعيف جدا ، ولا يمكن ان يركن اليه فى مهمة تقتضى صداما وكان يروج أفكار ملنر عندما، بدل ان يروج افكارنا عند ملنر •

« ومع ذلك فانهما لم يتأثرا وسكتا •

« ثم قلت لهما فى كمد وضيق ظاهر ان زملائى الذين كان من المنتظر أن يكونوا معى فى خدمة قضية الاستقلال يريدون اليوم ابعادى عن المفاوضات المقبلة • ولكنهم لا يجرأون على التصريح بذلك خشية أن ينكشف أمرهم أمام الامة ويظهـروا على حقيقتهم مؤيدين للمشروع فتلفظهم الامة وتلبسهم ثياب العار والشنار • قلت لهما ذلك ، ومع ذلك لم يتأثرا أو على الاقل لم يظهر عليهمـا التأثر الذى كنت انتظره وآثرا السكوت والاطراق •

« فلما سألتهما رأيهما صراحة قال أحدهما ان الحالة محزنة ، وقال الآخر يجب عمل الممكن والمستحيل لتلافى وقوع أى انقسام فى الامة أو فى الوفد • فقلت : « وماذا تقترحـان ؟ » فعجـزا عن الجواب ، فقلت لهما : « أرجو أن تفكرا فى الوسيلة والسـبيل لتحقيق استمرار الوحدة وتلافى الانقسام ثم تشرفانى بزيارة أخرى لاعرف منكما الجواب » •

فوعدا بذلك وانصرفا ..

الاعتراف التاسع عشر

١٢ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

دخلت على الزعيم سعد صباح اليوم ومعى كالعادة ما ترجمته الى العربية عن المنشـــور فى الجـــرائد الانجليزية (التيمس والوستمنستر جازيت والديلى هيرالد) عن « الازمة القطنية فى مصر » فوجدته مكبا على الكتابة بيده ، وهذا نادر جدا ، لانه لا يحبه ويفضل أن يملى على ما يريد تسجيله كتابة أو يريد ارساله الى من يختار ويشاء •

فلما استقر بى الجلوس دقيقة رفع رأسه والتفت الى وقال :

« هل تريد أن تعرف ماذا أكتب الان ؟ » • وعقل الرئيس فى التفكير أسرع من يده فى التحرير •

فقلت : « اذا أطلعتنى عليه كان ذلك منك تفضلا كبيرا » .

فقال : « اذن فاسمع بعض خوالج نفسى · وقرأ على ما يأتى :

« عجيب أمرى ، أكون رئيس أمة بأسرها وجميع أبنائها يمجدون اسمى ويعظمون قدرى ، ويشيدون بذكرى ، ويهتفون بحياتى ، ويهتزون لكلماتى ، وينفذون رغباتى ، ولا أجد فيمن حولى من اصطفيه الا من بعد عنى فيوافيني وأوافيه · غريب جدا أن يكون أغلب من يجتمع بى ويشتد قربهم منى أبعد الناس عن موافقة رأيى · ولقد كثرت ملاحظتى لهذه الحالة ، وطال بحثى عن سببها وما اهتديت اليه · فحصت نفسى فحصا جيدا لاقف فيها على ما ينفر الغير منها وما يعميه عما يصدر عنها فوالله ما عرفته · وأعتقد تمام الاعتقاد أن هذا الفحص كان فى غاية الاخلاص وبقصد الوقوف على حقيقة الامر حتى أعمل على تلافيه ، لان الغاية التى أرمى اليها هى المصلحة العامة ، والوسيلة اليها هى كل طريقة تكون شريفة » .

اثر الاعتراف فى نفسى

تاثرت غاية التأثر من هذا الكلام الصادر من أعماق أغوار قلبه · ونظرت اليه فوجدته ساهما مطرقا فى كمد ظاهر ، وفى حيرة لا يعرف الخلاص منها · فاثرت السكوت · وماذا عساى أن أقول وأنا فى حيرة مثله ؟ ان قلت انه على حق فى دقة بحثه وفى فحصه وتحليله وتعليله لخوالج نفسه ، كان ذلك غباء منى لانى بذلك أقرر أنه على صواب فى رأيه من أن البعيدين عنه يحبونه ويوافقونه ، والقريبين منه يكرهونه ويخالفونه ·

وان قلت انه على خطأ ووهم ، كان ذلك استعلاء منى وكأنى أدرك للامور وأكثر فهما لها وأنفذ بصيرة منه · ومعنى هذا أيضا أن البعيدين عنه والقريبين منه على السواء فى حبه وتقديره والاعجاب به ، وهذا ما يخالف الحقيقة والواقع .

لم أجد كلاما أقوله فسكت ، ولم يجد سعد غير الحسرة والكمد فسكت ·

ولكن السكوت اذا طال كان مزعجا للاعصاب ، فنطقت بكلام على البديهة ومن غير سابق تفكير · فقلت : « يا سيدى لا تتشاءم

ولا تحزن . ماذا يضيرك اذا خالفك عشرة أو مائة ووافقك وأحبك الملايين ، انت زعيم أمة فمن الطبيعى جدا أن يكون لك حساد وكارهون » .

فأجاب الرئيس : « يا كامل انت لم تفهم قصدى ، ان المسألة ليست مسألة عددية حسابية بين الموافقين والمخالفين ، وانما المسألة ظاهرة نفسية : القريب منى يخالفنى وقد انفر منه وينفر منى ، والبعيد عنى يوافقنى ، فنتزامل ويصطفينى واصطفيه .

« اجد الراحة والطمانينة مع البعيدين ، وأجد المتاعب والضيق مع القريبين . لا شك ان فى النفس البشرية عيوبا كامنة فيها ، وأريد الاهتداء اليها ، والخلاص منها فأريح وأستريح . »

أى والله ما أصدقه وما أنفذ نظره ، ما أرهف حسه وأدق بصره . آثرت السكوت لان الله لم يفتح على بكلام مفيد فى هذه اللحظة .

والسكوت من ذهب احيانا عندما يصعب على المرء الكلام الصادر عن روية وتفكير .

واستمر سكوت الرئيس وأطراقه : اطراق الفيلسوف المفكر ، لا اطراق الخائر الحائر .

ثم قفز الى لسانى سؤال أماط اللثام عن بعض النواحى :

قلت : ((ان أنصار عدلى من أعضاء الوفد مفهوم أمرهم ، فهل صدر من أحد أنصارك شىء يريبك أو يكدرك ؟)) .

الاعتراف العشرون

فقال الرئيس سعد : ((عندى كثير مما لا تعرفه . ومما أكتمه على مضض .

((فواصف غالى سريع الانفعال عظيم الكبرياء .

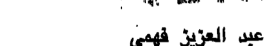
((وسينوت حنا رجل خطر وداهية .

((وعلى ماهر ميال للمسالمة ولكنه يكثر من انتقادى ولا يوافق على شىء فى صراحة ، فهو مسالم مساوم ويحب إمساك العصا من الوسط .

((ولا ينبغى لى أن أعول على مثل هذه الحال ودوامها من المحال))







عبد العزيز فهمى　　　　واصف غالى

لم أدهش لشىء لما قاله عن واصف غالى ، لانى كنت أعتقد حتى هذه اللحظة أنه أشد الناس ولاء له واخلاصا ، وأنه أعظم الناس هدوءا وتواضعا ·

رأى الرئيس في واصف غالى

فقلت : يظهر يا باشـــا أنى لا أفهم الناس على حقيقتهم ، وأن الظواهر ما زالت تخدعنى ، كل شىء ممكن ومحتمل الا واصف غالى ، فهو عندى أقل الناس طمعا وأكثر الناس تواضعا ولا أعرف بين المصريين من هو أكثر منه وداعة ورقة وأدبا واخلاصا وتفكيرا · وهو الى الفيلسوف أقرب منه الى الرجل العادى ·

فسكت الرئيس وأطرق كعادته ، وفكر وأطال التفكير ثم قال :

((واصف غالى متواضع فى كبرياء · ساكن فى حركة · شديد الحساسية · قوى فى عاجز ، ماكر فى بساطة ، قليل الكلام ، كثير التفكير ، واسع الخيال ، بليغ القلم والبيان ، متسامح فى متعصب ، وعنده فى نفسه أحسن رأى)) ·

هنا فقط أدركت مبلغ حيرة الرئيس وعزلته ووحشته ·

وهنا فقط أدركت مدى خيبة أمله فيمن حوله من الانصار ·

وهنا فقط أدركت مصدر حرجه وكمده وسر رغبته فى البحث والتنقيب عن الحقيقة فى طوايا نفسه وفى خبايا أعماقه ، عسى أن يهتدى بعد البحث والدرس والتنقيب عن العيب الكامن فى نفسه فيصلحه فينصلح الحال ·

ولكن الرئيس الحائر عاجز عن الاهتداء وهذا سر أساه ومصدر بلواه .

معركة كلامية بين عبد العزيز فهمي وسعد

١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

صحوت اليوم والجو بارد شديد البرودة ، على أني ما كدت أترك البانسيون في طريقي الى مقر الوفد في الساعة الثامنة والنصف صباحا حتى واجهت بردا لا عهد لى به ، فهذه هي ((صبارات الشتاء وعنبراته)) كما يقول العرب . وقد نزل الثلج بغزارة أمس وأول أمس كالقطن المندوف أو العهن المنفوش ، وكسيت أسطح المنازل والابنية والشرفات والشوارع بطبقات ثلجية بيضاء تسر الناظرين .

واليوم تهطل الامطار وتدوى الريح ، وبوارق الرعـــد تخطف الابصار ، والسماء تتكاثف غيومها تارة وتتمزق ، وتومض تارة أخرى، والسكوت شامل لا يعكره غير جلجلة الرعد وخشخشة المطر وهو ينهمر على النوافذ والشرفات ، ولكن هيهات هيهات أن تملأ الطرقات .

وفى الساعة العاشرة صباحا حضر محمدعلى علوبة الى مقر الوفد، وسألنى عما فى جرائد لندن هذا الصباح فقلت : ((فيها صفحة كاملة عن الالعــاب الرياضية ومبارياتها فى التنس وكرة القدم والرجبى ، وليس فيها سطر واحد عن مصر والسودان ، ولا عن سعد أو عدلى ، أو المحاكمات العسكرية الجارية فى مصر هذه الايام)) .

وهنا حضر عبد اللطيف المكباتي وعلى ماهر وعبد العزيز فهمى ومحمد محمود ، ثم وافاهم حمد الباسل وسينوت حنا ، حتى اذا وصل الزعيم سعد زغلول جرى حديث شامل أبرز ما فيه ما وجهه عبد العزيز فهمى الى الرئيس سعد عندما قال .

((أسقطت يا سيدى من حسابك ومن تفكيرك أمورا أربعة على أعظم جانب من الاهمية :

١ ــ قوة بريطانيا الهائلة ونفوذها الطاغى وسلطانها الواســع بعد أكبر انتصار أحرزته فى تاريخها وتأثيرها فى الدول جميعا .
٢ ــ ضعف مصر الهائل وسيطرة الانجليز عليها سيطرة تامة شاملة .

٣ ــ عدم وجود المعين لمصر فى أية دولة فى الارض ، ومصر فى عزلة تامة ٠

٤ ــ ان مشروع ملنر مفيد لانه على الاقل ينقذ مصر من حالتها الحاضرة التعسة الشنيعة ويمنحها شيئا من القوة والقدرة على استئناف الجهاد والقيام بثورة فى المستقبل)) ٠

فأجاب سعد فى احتقار ظاهر :

((كيف يجوز لك أن تزعم انى أسقطت كل هذا من حسابى وتفكيرى ٠ أنت تتكلم فى بديهيات بعضها ظاهر وبعضها مضالل ، انما أنت واخوانك الذين أسقطتم من حسابكم ومن تفكيركم أمرا واحدا على الاقل وهو على أعظم جانب من الاهمية والخطورة وبعد الاثر ٠ وهو ((ان فى أعناقكم أمانة ، وهى السعى والجهاد للحصول على الاستقلال التام ٠ وليس لكم أن تقبلوا أول شىء أو أى شىء يعرض عليكم مادام أنه دون الاستقلال بمراحل ٠ أنتم تتلمسون المعاذير ، وتستطيلون طريق الجهاد وتريدون خيانة الامانة عن عمد وسبق اصرار)) ٠

وهنا ضج الاعضاء بالغضب وقال عبد العزيز فهمى : ((ياريس، حاسب فلست أنت الوطنى الوحيد الذى أنجبته مصر)) ٠

فقال سعد فى انفعال : انتم تغضبون وتثورون لانى وصفت أعمالكم وسلوككم بالاوصاف الصحيحة ، ثم تعجبون لغضبى وثورتى على أعمالكم نفسها ، وعلى سلوككم الشاذ)) ٠ فاضطربت الجلسة ، وخرج عبد العزيز فهمى ساخطا فخرج الاعضاء وراءه وانتهت الجلسة ٠

وفى المساء نزلت كالعادة بعد العشاء الى كافيه فوكيه ، وبعد قليل حضر محمد علي علوبة وجلس معى ثم قال : ((أرأيت يا أستاذ كامل هذا الاسلوب فى المناقشة والمعاملة ، ان سعد باشا يرمى فى وجوهنا أشنع التهم ويستخدم أقسى الكلمات والعبارات ٠ وينتظر منا أن نحتمل كل ذلك ونسكت عليه ، بينما هو لا يحتمل منا حتى مجرد ذكرنا للحقائق كما نراها ، ولا يحتمل منا أخف الكلمات والعبارات حين نصف البواعث والملابسات لتصرفاتنا ، هل يرضيك هذا ٠٠ ؟))

واستطرد صاحبى وقال :

((خذ مسألة أخرى ٠ كتب واصف غالى مقالة فى مجلة فرنسية

حلل فيها مشروع ملنر واعتبره حماية سافرة حقيقية ، واستقلالا لفظيا مزيفا • ولا شك أن المقالة موحى بها من سعد باشا بدليل أنها نشرت فى اليوم التالى فى جريدة الديبا •

((وبعد يوم واحد من نشرها أقام الرئيس مادبة غداء فى فندق الكونتننتال للمسيو ديناليس رئيس تحرير جريدة الديبا وحضرها جميع أعضاء الوفد ، وأعلن الرئيس فى صراحة أنه موافق على كل ما جاء فى هذه المقالة ، هذا مع العلم بأنه يعارض أشد المعارضة فى مبدأ أن للاعضاء الحق فى الإدلاء بأحاديث للصحف أو كتابة مقالات فى الجرائد والمجلات وهكذا يكيل بكيلين •

((ينتظر منا أن نقبل كل ما يرضى عنه ويهواه •

((ولا يقبل منا أقل اعتراض أو مخالفة •

((فهو ينتظر الكثير • أكثر مما نحتمل ، ولا يحتمل منا القليل وهو أقل ما ننتظر))

وهنا سكت صاحبى •

فقلت هذه ((هذه أروع خاتمة ومن يدرى فلعلها كلمة الحق قد خرجت من لسانك فى هذه الخاتمة البديعة • وان فيها سر المتاعب والبلاء • فاغتبط صاحبى بما قلت وافترقنا بسلام وقلت لنفسى حذار أن تصغر انسانا فى عين نفسه بكلمة جارحة أو نظرة ساخرة أو فعل ينم عن إستخفافك بشأنه •

الفصل الثانى

سـعد يقول : لا أثق فى أعضـاء الوفـد

باريس فى ١٩ من ديسمبر :

ورد اليوم تلغراف بالشفرة من مصر بامضاء مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى وهذا نصه :

((ان الحكومة الحاضرة تبذل جهودها فى اسـتمالة الامة الى السلطات بكل وسائل الترغيب والترهيب واحضـار الوفود من الاقاليم لزيارة قصر عابدين ، وفى البلاد تيارات قوية استعدادا للدخول فى مفاوضات رسمية ، وعلى رأس العاملين لذلك محمود سليمان باشا وأولاده ولفيف من أعضاء اللجنة المركزية · ولاخبار الانقسام فى الوفد أسوأ الاثر فى الامة نرجوكم تلافى الانقسام ، وانتهاز فرصة المفاوضات الرسمية بما يليق مع الكرامة والشرف)) ·

ما كدت أفرغ من حل رموز هذه البرقية وما كاد الرئيس يطلع عليها حتى قال فى غضب :

((انهم يقدمون الى النصح والارشاد مع علمهم بكل التفصيلات الخاصة بالمفاوضات التى كانوا شهود انقطاعها ، وهم اما جاهلون بحقيقة الخلاف والانقسام فى الوفد ، واما عارفون ولكنهم عاجزون عن تقدير الاحوال قدرها · وهنا يستوى الجهل والمعرفة ولست أدرى أيهما شر من الآخر)) ·

وكان حاضرا مع الرئيس كل من على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، فحاولوا التماس الاعذار لاصحاب تلك البرقية ، فازداد الرئيس غضبا ، وبعد انصرافهم قال لى الرئيس :

((ان عجبى من هؤلاء الثلاثة لا يقل عن دهشتى من أولئك الثلاثة

أصحاب البرقية ، ولا يدرى الا الله مقدار ما نفعله فى نفسى هـذه التصرفات ، وهذه الصغائر . وانا الآن بين أعوان أكثرهم مشاكسون يخالف مبدؤهم مبدئى ولا يصـدر منهم الا كل تعطيل للعمل ، ونحن امام خصوم أقوياء أشداء نهازين للفرص)) .

خطاب من عدلى باشا

٢٠ من ديسمبر :

ورد خطاب من عدلى يقول فيه :

((انه وجد البلاد فى حالة عسر شديد ، وأن الوزارة الحاضرة تسـير على سياستها القديمة من الارهاق والاعنات ، والحكومة الانجليزية على ما يظهر جاهلة مصير الاتفاق بين الامتين المصرية والانجليزية ، وفى البلاد الآن حركة شديدة بعضها ظاهر وأكثرها خفى للتأثير فى الرأى العام وتوجيهه وجهات أخرى)) .

فلم يشأ الرئيس أن يرد على هذا الخطاب بخطاب منه ، وبعد تفكير وتردد فضل ان يرسل اليه برقية موجزة هذا نصها :

((كل البرقيات الواردة الى من شتى الجهات تدل على روح عالية فى البلاد ، وأن الانجليز لا ينبغى لهم أن يجهلوا ان الامة لا تقبل أى اتفاق يؤيد الحماية أو لا يحقق الاستقلال)) .

ولا يخالجنى شك فى أن هذه البرقية لطمة لعدلى سيشعر بعدها بشىء من الخنق أو الضيق ، ولهذا حملنى فضولى الى سؤال الرئيس وأنا أتناول الشاى معه : ((لماذا فضل ارسال برقية الى عدلى بدل أن يرسل اليه خطابا ردا على خطابه)) فقال : ((ميزة البرقية أنها موجزة ولا تظهر فيها عواطف الانسان وتعبر عن القصد تماما بغير أن تكشف الحالة النفسية ، فضلا عن خلوها من زيف المجاملات والتحيات)) .

مقال فى جريدة المورننج بوست !

٢١ من ديسمبر :

نشرت جريدة المورننج بوست صحيفة المحافظين فى افتتاحيتها ما يأتى :

((ان الشعب المصرى قد أصبح الآن منقسما على نفسه : فريق يؤيد زغلول باشا، وفريق يؤيد عدلى باشا، وبعد أن كان الشعب المصرى كله واقفا خلف زغلول باشا يناصره ويؤيده ويهتف بحياته فانه ماحدث الآن يعتبر ظاهرة كبيرة المعنى . والملاحظ أن أنصار عدلى باشا أخذوا يتزايدون قوة وعددا وبسرعة تلفت الانظار فى الشهرين الاخيرين ، وأن المتطرفين من أنصار زغلول باشا بدأ نفوذهم فى الضعف . ونجمهم فى الافول ، ولا يمكن أن تنجلى الحالة جلاء واضحا الا بعد الوقوف على رأى الحكومة البريطانية . وقد تنقل مراسل الجريدة فى الريف المصرى وتحدث الى كثير من الاعيان فوجدهم كما وجد الفلاحين ، غير مبالين بالسياسة وقضية الاستقلال أقل مبالاة ، وأزمة القطن هى شاغلهم الشاغل وهى موضوع أحاديثهم فى الصباح والمساء)) .

رسائل من مصر الى بعض أعضاء الوفد

وحضر فى المساء عدد من أعضاء الوفد لزيارة الرئيس فى مسكنه ، وهم لطفى السيد والمكباتى ومحمد على علوبة ومحمد محمود وعلى ماهر وحمد الباسل وواصف غالى وسينوت حنا ، وبعد ساعة واحدة انصرفوا متفرقين .

ودخلت على الرئيس بعد خروجهم فوجدته مطرقا ظاهر الاسى والكمد ، فلما جلست ليملى على خطابا ينوى ارساله الى سعيد زغلول . بدأ حديثه معى بقوله :

الاعتراف الحادى والعشرون

((انى أصبحت لا أثق بأحد من أعضاء الوفد ولا أعتمد الا على الله ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها)) .

فقلت : ((ماذا جرى . هل رأيت جديدا ؟)) .

فقال : ((أطلعنى بعض الاعضاء على خطابات وردت اليوم من مصر ، ارسلها اليهم أصدقاؤهم وكلها ترسم صورة سوداء تدعو لليأس ، فالشعب فى نظر كاتبيها ضعيف متخاذل ، والحكومة مستبدة والسلطان أخذ يتنقل فى المديريات ويستقبل بالحفاوات ، والركود الاقتصادى وازمة القطن وأخبار انقسام الوفد كلها قد

بلبلت الافكار ، وما الى ذلك من الهراء والخزعبلات التى يراد منها التأثير فى ، وعلى أمل أن أؤيد علنا عدلى ، والجميع هنا يتكلمون بلسان واحد ، ولا فرق الآن بين من كانوا معى على الدوام ومن كانوا مع عدلى حتى الآن . ولا أستبعد أن تكون هذه الخطابات موحى بها من أصحابنا هنا فى باريس للتأثير على)) .

فقلت : ((يظهر أن نفس البريد الذى حمل خطاباتهم . قد حمل خطابا من صديقى الشيخ احمد أمين ، وكنت مترددا فى اطلاعك عليه لانه هو الآخر يرسم صورة قاتمة عن الحالة فى مصر ولكن من منظار آخر)) .

فقال الرئيس : اقرأ خطاب صاحبك أحمد أمين فانى فى حاجة للاستماع الى مصدر لا أشك فى اخلاصه ، ولا أشك فى الباعث على ارسال خطابه ، كما لا أشك فى المرسل اليه .

تلوت الخطاب فى تؤدة ووضوح ، وهذا نصه :

خطاب من أحمد أمين

١٥ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

أخى كامل ..

((سلام عليك ــ سأكتب اليك مهما قصرت فى الكتابة الى .. فقد كنت تكتب الى مهما قصرت فى الكتابة اليك ، أرجو أن تكون بخير .

استولى على الناس فى أيامنا هذه حالة نفسية تشبه حالة اليأس ، واكثر الناس الا المفكرون راذ يرون أننا اقتربنا الى الغاية وبقليل من الجد والتلاحم ندركه ثم لا جد ولا تلاحم، فأسفهم كأسف من يسابق فى الجرى وقد كان يسبق كل من معه فلما قرب من الغرض أدركه الاعياء فسبقه من كان يتأخر عنه. ويرجع هذا يا كامل الى أسباب ثلاثة على ما أفهم :

١ ــ جد الحكومة فى مناهضة الحركة واستعمال الشدة المتناهية وتضييق القول والفعل على الناس بكل ما أوتيت من قوة ، ومن أكبر مظاهر ذلك التشديد على المديرين بسوق الناس الى السلطان ليظهروا له الولاء فيذهبون الى ذلك مضطرين أو طامعين وينتج من هذا المنظر يأس المخلصين .

٢ ــ خلو المكان الذى كان يشغله عبد الرحمن فهمى فلم يملأ أحد مركزه ، ولم تقم جماعة بما كان يقوم به وحده ، وقد كان الرجل

فى الحقيقة قوة عاملة كبيرة وأهم مميزاته العزم والتعجيل باماتة الشر وهو وليد ، وجعله نفسه مركزا للعاملين حوله ٠

٣ ـ طبيعة المصرى الملل وحبه للنتيجة السريعة ، فهو اذا تاجر أراد أن يفتنى دفعة واحدة ، والا لا يتاجر ، وهو فى وطنيتهوليد الامس فشأنه فيها شأن الوليد ٠

ما اكثر ما اتمنى أن يتساهل الانجليز فيقبلوا النص على الغـاء الحماية ونتخلص مما نحن فيه من الشرور ٠

فى البلد اليوم حـــركة يراد منها التعجيـــل فى الدخـــول فى المفاوضات قبل النص على الغاء الحماية ولسان القائمين بها محمود عزمى صاحب جريدة الافكار ، ويعرف الناس أن من هذا الرأى عدلى وثروت واسماعيل صدقى وتوفيق دياب ونحوهم ولهم حجج على ذلك خلابة لا حاجة الى ذكرها ، وقد سمعت انضمام محمود باشـا سليمان الى هذا الرأى ـ لست أؤمن ايمانا تاما بسنخافة رأيهم ولكن أؤمن أنها ثلمة فى الاتحاد ٠

فى هذه الايام يسعى بعض الناس فى ضم الاحزاب جميعها الى الوفد وخصوصا الحزب الوطنى وهو شىء مفيد لان الحزب الوطنى مع أن تاريخه خير منه لا يزال له أثر فى نفوس البعض بحكم تاريخه ، فكل شخص نكسبه الى جمهور الامة يزيد من قوتها . أصلح الله الحال وأمد الامة بروح منه حتى لا تفشل فى آخر لحظة من جهادها والسلام)) ٠

اخوك أمين

تعليق الرئيس على الخطاب

وقع هذا الخطاب فى نفس سعد موقعا أليما ، وكان مظهر الالم فى نظراته ، لا فى كلماته ، وفى سكوته وعدم اشراقه ، لا فى تعقيبه وانطلاقه ٠

ثم التفت الى بعد قليل وقال :

((لا شك أن فى مصر أزمة قطنية وأزمة اقتصادية ، وللانجليز يد فى هذه وتلك لانهم يشترون عادة ثلاثة ارباع القطـــن المصرى

وبالاسعار التى يحددونها هم ، وهم يسـيطرون على الحالة الاقتصادية فى البلاد تمام السيطرة ، فاذا كفوا أيديهم عن الشراء أو هبطوا بالاسعار الى الحضيض وقعت أزمة قطنية لا محالة وصاحبتها فى الحال أزمة اقتصادية . هذه احدى وسائل الاستعمار وحيله الشيطانية لكى يبلبلوا الافكار ويصرفوا الناس عن التفكير فيما هو أجدى وأنفع وهو الحياة العزيزة الكريمة فى ظل الاستقلال الذى لا تجوز فيه هذه الحيل والالاعيب ، والمسألة الآن مسألة صراع بيننا وبين الانجليز فى ميدان آخر : الميدان الاقتصادى الى جانب الميدان السياسى ، ويجب أن يفطن المصريون الى ذلك ، ويدركوا الحقائق على وجهها الصحيح . أما القلق والضيق والشكوى والتطير والالم فهى مظاهر تدخل على قلوب الانجليز السرور أقصى السرور .. وتشعرهم بأنهم نجحوا فيما هدفوا اليه وهو تدويخ المصريين وصرفهم عن قضية الاسـتقلال ، وأنا من ناحيتى لا أعتقد أنهم سينجحون فى هذا السـبيل ، وما أنا من المنتظرين ولكنى من المؤمنين)) .

فقلت : ((اذن هذه أزمة مفتعلة خلقها الانجليز خلقا لينالوا بها مأربا فى الازمة السياسية ، هذه حقائق رائعة وسأبلغها الى صديقى الشيخ أحمد أمين فورا ، وأنا واثق من أنه سيعمل على نشرها فى الصحف وفى المجالس بعد التوسع فيها والتعليق عليها)) .

فأجاب الرئيس : حسنا تفعل .

ولم تمض ساعة واحدة حتى فرغت من تحرير خطاب الى صاحبى بكل هذه المعانى .

برقيات احتجاج من مصر بمناسبة ذكرى اعلان الحماية

٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

فى اليومين الاخرين تسلم الرئيس عددا كبيرا من البرقيات الواردة من مصر ، وكلها تحمل الاحتجاج الشديد بمناسبة ذكرى اعلان الحماية البريطانية على مصر فى ١٨ من ديسمبر سنة ١٩١٤ ، واكثرها يحمل الموافقة على خطة الوفد فى تشبثه بعدم الدخول فى اية مفاوضات رسمية قبل النص على الغاء الحماية . وقد اغتبط الرئيس بذلك أشد الاغتباط ، ومما زاد فى اغتباطه وانتعاشه أن أمثال هذه

البرقيات أرسلت الى لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية . وملنر والجرائد الانجليزية الكبرى ، وقد نشرت بعض الجرائد الانجليزيه خلاصات من تلك البرقيات وهذه الجرائد هى (التيمز والديلى نيوز والوستمنستر جازيت والمورننج بوست والديلى هرالد) .

خطاب من سعد الى ملنر

واليوم أرسل الرئيس سعد خطابا الى ملنر يلفت نظره الى أهمية هذه البرقيات وختمه بتهنئته بعيد الميلاد .

وثلاثة خطابات من مصر ..

٢٤ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

تسلم الرئيس اليوم ثلاثة خطابات من مصر : من مصطفى النحاس وطاهر اللوزى وسعيد زغلول وكلها تنطوى على شىء غير قليل من القلق والسخط لان السلطان أصبح كثير التنقل الآن فى المديريات، والاعيان والفلاحون ملزمون باستقباله استقبالات حافلة بالزينات يرفعونها ، والهتافات يرسلونها عالية مدوية،والمدير الذى يعجزعن أرسال الوفود الى سراى عابدين لدعوة السلطان الى زيارة مديريته لايرضى عنه ، وقد رفت فعلا أحدهم وهو قطرى باشـــــا مدير الدقهليه وعين بدله وكيل الداخلية .

ويظهر أن وزارة توفيق نسيم طويلة العمر وليس فى نية الانجليز حتى الان حملها على الاستقالة ، ويقولون فى خطاباتهم ان الاشاعات رائجة بأن وزارة توفيق نسيم هى التى ستتولى اجراء الانتخابات وايجاد هيئة يقال عنها انها تجمع ممثلى الامة الحقيقيين ، وهؤلاء يقبلون مشروع ملنر على علاته وبهذا تقبل الامة الحماية ، ويسقط الوفد بحجة أنه أقل تمثيلا من هذه الهيئة الملفقة التى يراد خلقها على صورة تمثيلية وبمؤامرات شيطانية . يتنبأ بذلك كثيرون فى مصر ويزعم كثيرون من أنصار عدلى أن السبب الوحيد لهذه الحالة التعسة هو أن الوفد أو بعبارة أدق (الرئيس ســـعد) قد أعلن صراحة أنه لا يؤيد أية وزارة تدخل فى مفاوضات رسمية قبل الغاء الحماية ، وان هذا هو السر فى أن الانجليز لا يفكرون الآن فى طرد توفيق نسيم من الحكم واقامة وزارة برياسة عدلى .

هذا وقد جاء فى خطاب مصطفى النحاس أن الرقابة منعت نشر شكر الرئيس للامة على ما اظهرته من الوطنية الطاهرة الصادقة الدافقة ، بالبرقيات التى ارسلتها الى جميع الجهات المختصة احتجاجا على بقاء الحماية وبمناسبة ذكراها الاليمة . وتأييد الوفد فى قراره الذى يقضى بعدم الدخول فى أية مفاوضات رسمية قبل أن تقبل التحفظات وفى طليعتها النص على الغاء الحماية .

٢٥ من ديسمبر ١٩٢٠ :

اخبرنى الرئيس فى اثناء تناولى الشاى معه ، انه تناول الغداء مع حمد باشا الباسل ومحمد محمود باشا وعبد اللطيف المكباتى، وكانوا يظهرون له كثيرا من الاحترام والتزلف على غير العاده . وزعموا جميعا انهم اصبحوا من رأيه ومذهبه بالنسبة لمقاطعة المفاوضات الرسمية ما لم تقبل تحفظات الأمة سلفا ، وان حمد الباسل قال له بعد انصراف صاحبيه : ((ان فيك صفات باهرة لا توجد فى غيرك ، ولا يمكن لاحد انكارها)) . فشكره الرئيس على تحيته وأن كان قد اعتبرها اونا من الملق والدهاء .

الامير يوسف كمال يقيم

مادبة غداء لعدلى :

٢٦ من ديسمبر :

قرأ الرئيس فى بعض الجرائد المصرية التى وصلت صباح اليوم خبرا لفت نظره وهو منشور فى جريدة الاهرام الصادرة بتاريخ ١١ من ديسمبر ويتلخص فى أن الامير يوسف كمال سيولم وليمة غداء غدا أى فى يوم ١٢ من ديسمبر تكريما لعدلى بمناسبة عودته الى مصر ، وانه قد وجه الدعوة لحضور هذه الوليمة الى فتح الله باشا بركات ومصطفى النحاس وغيرهما ، وفى اثناء تناولى الشاى مع الرئيس بعد ظهر اليوم تحدث الى فى شأن هذا الخبر . وقال :

((أنا لا استبعد أن تكون لهذه الوليمة علاقة بالبرقية الشفرية التى ارسلها الى مصطفى النحاس وحافظ عفيفى وويصا واصف بتاريخ ١٩ من ديسمبر . واغلب الظن عندى ان هذه الوليمة ان لم

تكن مدبرة لاستمالة البعض ، فان هذه الاستمالة لا شك واقعة او انها ستكون من نتائجها المنتظرة)) .

وبعد ان سكت دقيقة فى اطراق وتفكير ، قال فى شىء من المرارة: ((ان استمرارى هنا مع كون من معى اغلبهم ضدى ، ضرب من الحمق ولا يترتب عليه اقل فائدة ، بل هو تعذيب لى ، وليست فيه خدمة للامة)) .

رأى سعد

فى الصحافة المصرية

٢٧ من ديسمبر ١٩٢٠ :

فرغ الرئيس من قراءة اكوام الجرائد المصرية التى حملها الينا البريد اخيراً من مصر ، وفى اثناء تناول الشاى سألته عن رأيه فيها فقال :

((فى مصر جرائد تخدم الانجليز ومصالح الانجليز ، وهذه الجرائد قسمان : قسم يستخدمه الانجليز صراحة ، مثل جريدة الوطن وجريدة المقطم ، ويزودهما الانجليز بالمال وبالاخبار والتوجيه فيرسمون لهما خط السير فى الكتابة ويحددون لهما نوع الموضوعات التى تنشر وتبحث ويدافع عنها او تهاجم .

((وقسم يخدم الانجليز ومصالحهم عن غير قصد ، وذلك بالتطرف فى الطلبات المستحيلة والسخرية بالعاملين المجاهدين ، ومن هذا القسم جرائد الحزب الوطنى وجريدة الاهالى . وهذه الجرائد لا هم لها الا مهاجمة الوفد وتقويض ثقة الامة فيه ، واتهامه يومياً بانه متهاون فى حقوق البلاد ومقصر فى الدفاع عنها ومنافق ومخادع ومنقلب فى طلباته من الانجليز وما الى ذلك من الهراء .

((والقصد من كل ذلك تجريح الوفد ورئيسه ومحاولة اسقاط توكيله بدون أن يتقدم فرد آخر او جماعة للحلول محل الوفد . فعمل هذه الجرائد هدم لا بناء ، وهل بعد هدم الوفد خدمة للانجليز ؟)) .

ثم سكت الرئيس دقيقة او اكثر حتى ظننت انه انتهى من كلامه ولكنه استطرد فقال : ((وفى مصر الآن جريدتان تتناطحان يومياً : جريدة الاخبار وجريدة الافكار ، الاولى تدافع عن الوفد وخطته،

والثانية تدافع عن عدلى وسياسته ، يحرر الاولى أمين الرافعى، ويحرر الثانية محمود عزمى .

((جريدة الاخبار تستنكر الدخـــول فى اية مفاوضات رسمية الا بعد قبول التحفظات وبغير ذلك لا تقوم المفاوضات الرسمية الا على أساس مشروع ملنر وهو مشروع حماية لا مشروع استقلال ، وترد جريدة عدلى بان هذا التزام بما لا يلزم ، وأنه لا ضرر مطلقا فى الدخول على أساس مشروع ملنر ، ثم العمل اثناء المفاوضات على تعـــديله بالتحفظات وما على الامة الا الانتظار فى أمل ، فان نجحت المفاوضات فيها ونعمت ، وان فشلت فان الاتحاد يبقى سليما بين صفوف الامة ، ويمكن حينذاك استئناف الجهاد ضد الانجليز .

وتعود جريدة الاخبار فتفند هـــذا الكلام وتبين ما فيـــه من سخف وهراء وتقول : ((ان أصحاب هذا الرأى مخطئون)) . . :

((أولا : لانهم يحبذون الدخول فىمفاوضات رسمية علىأساس مشروع ملنر والتحفظـــات هادمة لكثير من أركان هـــذا المشروع وليس من المعقول أن يدخـــل الانسان على أسس تهـــدم هـــذا الاساس .

((ثانيا : لا معنى لترويج مشروع وفى الوقت عينه اعلان النية عن تعديله .

((ثالثا : ليس لدى أصحاب هـــذا الراى وعـــد ولا شبه وعد يستندون اليه فى الزعم بامكان قبول التحفظات فيما بعد .

((وتعود جريدة عدلى تتهم أصحاب هذا الرأى بالتطرف وسوء الظن وتطلب التريث وعدم التسرع لان السياسة العملية تقتضى ذلك وظروف الاحوال فى بريطانيـــا تستلزمه ، وما الى ذلك من الخزعبلات والمهاترات التى تنغمس فيها جريدة الافكار .

((وجريدة الاهالى يوميا تهاجم الجريدتين وتتهمهما بالخداع والتظاهر بالمشاجرة فيما بينهما والخلاف على مسألة النص على الغاء الحماية ، وتصرخ منادية ((وأين باقى التحفظات . وما هى لا وتزعم متحمسة بأن بقية التحفظات لا تقل أهمية عن مسألة النص على الغاء الحماية ، وأن الوفد اهملها . ثم تهاجم هذه الجريدة — التى يشرف عليها محمد سعيد باشا — الوفد ورئيسهواللجنة المركزية والاعضاء الثلاثة الذين عادوا أخيرا من باريس)) .

فسألت الرئيس عن اسم المدير المسئول عن تحرير هذه الجريدة (أى جريدة الأهالى) فقال : ((عبد القادر حمزة)) وهو يكتب بوحى من محمد سعيد باشا ورجاله ، ثم سألته : هل يكتب فى جريدة الاهالى كتاب بارزون تعرفهم ؟ فقال : كثيرون يكتبون فيها مجندون لمشروع ملنر ومروجون لسياسة عدلى ، وفى طليعة من كتبوا اسماعيل صدقى باشا وعبد الحميد بدوى وصالح يونس)) .

لم اشأ أن أستمر فى ازعاجه بهذه الاسئلة الصغيرة فسكت . ولكنه آثر الكلام فى مسألة كبيرة فقال : ان مستوى الصحافة فى مصر لم يصل بعد الى الرضا والاطمئنان . وأبرز العيوب التى اراها فيها خمسة :

١ ــ ان بعض الصحفيين لا يمتازون بثقافة عالية ولا هم متخصصون فى موضوعات معينة ، ولكنهم كتاب يجيدون اللغة العربية الى حد ما ، ويعتمدون على ذكائهم أكثر من اعتمادهم على علمهم عندما يكتبون . والاصل فى الكاتب أن يكون استاذ القارىء ينوره ويوجهه ويرشده وما الاستاذ هنا بخير من التلميذ .

٢ ــ وبعض الصحفيين يميلون الى السرعة فى الكتابة ولا يخفى هذا العيب على كل من له دراية بالاساليب وفن الكتابة . فهو يتبين هذه السرعة فى كل سطر يطالعه لهم ، وكأنهم يعتبرون هذه السرعة دليلا على الذكاء والمهارة والثقة بالنفس ، ويعتبرون الابطاء دليلا على الغباء والجهل وعدم المران . وهذا ضلال كبير اذ عيب السرعة انها تنتج كلاما عاما وكتابة فيها أقل ما يمكن من المعانى فى أكثر ما يمكن من الالفاظ ، وأفكارها سطحية مهوشة لا عمق فيها ولا تركيز ولا يستفيد منها القارىء شيئا يؤثر فى فكره تأثيرا حميدا أو مفيدا . وبعض رؤساء التحرير وكتاب الصحف يفاخرون بأنهم يكتبون مقالاتهم فى دقائق معدودات .

ثم استطرد الرئيس فقال : ((أخبرنى مصطفى النحاس أن أمين الرافعى يكتب مقالته الافتتاحية كل يوم فى ربع ساعة وحوله ضيوفه وزائروه يتحدثون بأصوات عالية ويحادثهم ويحادثونه فى اثناء الكتابة ، ولا يعوقه هذا عن عمله والفراغ من مقالته الافتتاحية فى سرعة عجيبة تلفت الانظار . هذا وقد سألت النحاس ((هل انت تمدحه أو تذمه ؟)) فقال : بل أمدحه وأعجب به . فقلت له : بل انت تذمه ابشع الذم ، اذ كيف يستطيع انسان أن

يفكر ويحدد معانيه فى تسلسل منطقى سليم ويختار الالفـــاظ المناسبة التى يجب أن يزنهـا بميزان الذهب حتى يقنع القارىء ويحظى باعجابه ؟ كيف يمكنه أن يفعل ذلك وهو لا يحصر ذهنه فيما يكتب ، ويظل موزعا بين ما يكتب وما يسمع وفى وســـط الضـــوضاء ؟ .

٣ ــ ولفيف من الصحفيين يميلون الى النقد . والنقد اسهل انواع الكتابة والكلام ، اذ ما على الفرد الا أن يرى عيبا أو ما يظنه عيبا فى موضوع أو مشروع أو انسان وما أكثر العيـــوب ومظاهر العيوب ، حتى ينحنى عليه فى سرعة فائقـــة وينهال عليه تشنيعا وتجريحا ، ويثخن صاحب العيب ذما وشتما وسبابا ، والصحفى المصرى فى هذا الميدان لا يجارى ولا يبارى .

٤ ــ ومع ميل الصحفيين الى النقد ، فانهم يجهلون فن النقد ، والنقد نوعان : نوع مفيد صـــالح ولابد منـــه ، وهو الانتقاد الموضوعى البناء .

ونوع ضار فاسد ولا خير فيه ، وهو الانتقاد العاطفى الشخصى الهـــدام .

((بعض الصحفيين يميلون الى هذا النـــوع الثانى من النقد ويمارسونه على الدوام ، لانه نقد سهل ورخيص ولا يحتاج الى علم أو دراية ، ذلك لان السب والشتم والقدح والبذاءة والتشنيع والتجريح ليست فى الكتب والمجلدات ، وانما هى تنبع من النفس المصابة بمركب النقص ، والمريضة بالغيظ والحقد وشهوة الانتقام ، والكلمـــات تنهمر كالمطر فى خدمة هذه الحالات وهذا يتفق مع السرعة التى يحبونها ولا يستغنون عنها . وبهذا يسودون الصفحات الطوال ويعتبرون أنفسهم كتابا بارعين وصحفيين مطبوعين . وهذا الوعى الذى يصنعونه لا خير فيه على الاطلاق ، ولا فائدة منه على التحقيق ، اذ ليس فيـــه غذاء للعقل وليس فيـــه تهـــذيب وتنـــوير .

أما النـــوع الاول من النقد وهو النـــوع المفيد الصالح فهم لا يعرفونه أو لعلهم يعرفونه ولا يميلون اليه لنقص ثقافتهم وعجزهم وقصـــورهم . ذلك لانه نقـــد يستلزم الاسلوب الهادىء العف المهذب الذى يتناول الموضوع وحده فيبين مزاياه أولا ويعلق عليها بكلمة تقدير ، ثم يتناول العيوب والنقائص فيبين ما فيها من خطأ أو اضرار ، ويقترح فى الوقت عينه علاجها واصلاحها ويحدد نوع العلاج وطريقة الاصلاح وما ينبغى أن يكون ، ولكن هذا كله يحتاج

الى الوقت والتروى كما يحتاج الى العلم والتفكير وضبط النفس. وهذا مالا يملكونه ولا يطيقونه ، فضلا عن أنه لا يتفق مطلقا مع السرعة الخاطفة التى اعتـــادوا عليها ويفاخرون بها ويتنافسون فيهـــا .

٥ ـ واخيرا ليس لمعظم الصحف مراسلون اكفـــاء فى الخارج أو فى داخل البلاد يغذونها بالانباء الصحيحة والتعليقات المفيدة ويقدمون الى جرائدهم اقتراحات عملية للاصلاح والتجديد، واغلب ما يفعله المراسلون الحاليـــون القليلون هو الاقتصـــار على ابلاغ جرائدهم بأنباء الجرائم وتنقلات رجال الادارة وأعمالهم)) .

هذا هو راى الزعيم سعد فى الصحافة والصحفيين ..

أو هذه محاضرة القاها على من فيض الخاطر عنها وعنهم ..

ألقاها وكانه يقـــراها من كتـــاب ، أو يتلوها من مذكرة ، أو يستعيدها من محفوظات الذاكرة .

ولكنها البداهة الملهمة والموهبة المنظمة والعقل الرصين والمنطق المتين .. والبصيرة النافذة والمقدرة الفذة على حسن العرض وكمال التحليل والتعليل ..

انه سعد زغلول وكفى ..

خطاب من ملنر الى سعد :

٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٢٠ :

فى يوم ٢٣ من ديسمبر ارسل الرئيس سعد خطابا الى ملنر .

واليوم ورد الرد من ملنر ، فرفع الرئيس خطابه الى لاترجمه الى العربية وهذا نصه :

((عزيزى زغلول باشا :

((أشكرك جزيل الشكر على خطابك غير المنتظر وعلى جميل تهنئتك لى بعيد الميلاد .

((اننى لست ضعيف الأمل فى الوصول الى نتيجة مرضية ، وانى عارف تمام المعرفة مدى الشعور القوى الموجود فى مصر ازاء الحماية ولكنى مع ذلك أعتقد اعتقادا جازما بان معاهدة تبنى على الاسس التى وضعناها معا ستضع حدا فى الواقع للحماية ، واما الغـــاء

الحماية فطرحه الآن عسير ، وهو أشبه بوضع العربة امام الحصان، ولا أستطيع أن أتصور حكومة بريطانية تستطيع النزول عن الحماية دون أن تعرف بل وقبل أن تتأكد مما سيحل محلها . والزمن كاف لحل كثير من المشكلات اذا مهد كل منـا طريق التفاهم والصـداقة بين البلدين : بريطانيا ومصر .

« وانى ابعث اليك بأصدق تحياتى وخالص احترامى .

المخلص ملنر

وقبل ظهر اليوم حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا، فاطلعهم الرئيس على خطاب ملنر ، وأخذ على ماهر صورة منه ليطلع عليها الاعضاء الآخرين .

اما الخطاب ذاته فقد كان وقعه فى نفس سعد غير أليم وغير سار ، بل بين بين ، وهو الى الفتور اميل ، واما وقعه فى نفوس الاعضـاء الثلاثة فكان مدعاة للتفاؤل وهو الى الغبطة أميل .

سفر الدكتور حامد الى انجلترا :

٣٠ من ديسمبر سنة ١٩٢٠

سافر الدكتور حامد محمود فجاة الى لندن صباح اليوم ، وقـد قابلته مصادفة فى الطريق فاخبرنى بأنه ذاهب الى لندن لان عفشه قد حجز عليه بسبب امتناعه عن دفع ضريبة الدخل وانصرف مسرعا فضحكت لان هذا كلام غير معقول .

ولما وصلت الى مكتبى وشعر الرئيس بوصولى نادانى فدخلت عليه فى حجرته وقال لى أنه تسلم **خطابا من مستر بلنت** ورفعه الى لاترجمه الى اللغة العربية وهذا نصه :

« عزيزى زغلول باشا :

« لو كنت فى شىء من الصحة والقوة لحضرت بنفسي الى باريس لاحظى بمقابلتك والتحدث اليك ، ولكنى أصبحت شيخا منهـار الصحة لا اقوى على الاسفار والانتقال فلعلك عاذرى ، وانك لتعرف مبلغ اعجابىّ بك واجلالى لك ، ومبلغ حبى لمصر وعطفى على قضيتها وجهادها للاستقلال . وقد سبق أن كتبت الى اللورد ملنر خطابا مطولا رجوته فيه أن يتساهل فى مفاوضاته معكم ، وأن يعالج المسألة

المصرية بشيء من الكرم والسماحة ، فان مصر قد تعـذبت كثيرا ، وآن لها أن تستريح وتنعم بالعزة وكرامة الاستقلال .

((وقد أرسل الى لورد ملنر رده على خطابى ، وانى أكون شاكرا اذا تفضلت فبعثت الى برسول تثق به حتى اسلمه الخطاب الخاص الذى وصلنى من لورد ملنر وحتى أدلى اليه بحديث ينقله اليك .

واليك يا عزيزى أصدق تحياتى واخلص تمنياتى)) .

المخلص جدا .. بلنت

وتطوع الرئيس فاخبرنى فورا بانه أرسل الدكتور حامد محمود الى انجلترا اليوم لهذا الغرض !! وفى الساعةالحاديةعشرة صباحا حضر واصف غالىوسينوت حنا ثم حضر على ماهر بعدقليل واطلعهم الرئيس على خطاب مستر بلنت .

فأخذ على ماهر صورة منه ليطلع عليه الاخرين من الاعضاء .

الرئيس يطلب

الف جنيه فيرفض طلبه :

٣١ من ديسمبر سنة ١٩٢٠

كلفنى الرئيس ان اذهب الى محمد على علوبة امين الصندوق واطلب منه مبلغ الف جنيه فرنكات فرنسية لحاجة الرئيس اليهـــ فى الصرف على بعض شئون الوفد .

فذهبت ، وقابلته ، وطلبت مبلغ الالف جنيه ، ((للصرف على بعض شئون الوفد)) .

فسألنى : وماهى هـــذه الشئون ؟ فقلت : لا أدرى .. فقال أنا أرفض اعطاء مبلغ كهذا بغير قرار من الوفد وبغير أن أعلم أولا مصلحة الوفدفى صرف مبلغ كبير مثل هذا المبلغ، لابد من وجود رقابة على التصرف فى أموال الوفد .

فقلت : « هذا كلام واضح وحاسم ، وما على الرسول الا البلاغ » وعدت الى الرئيس وأبلغته الخبر مخففا ملطفا اذ قلت :

((ان أمين الصندوق مستعد لصرف المبلغ اذا تفضـــل الرئيس بابلاغه ماهى شئون الوفد الذى سيصرف فيها ، وذلك لكى يأخـذ قرارا من الوفد بالموافقة على الصرف))

فقال الرئيس غاضبا : ((لا هذا ولا ذاك)) . ثم اتخذ اجـراءين حاسمين :

الأول : أملى على برقية لارسالها الى ابراهيم سعيد باشا أمين صندوق الوفد بالقاهرة ونصها : ((أرجو أن تودعوا البنك الاهـلى مبلغ خمسة آلاف جنيه باسمى لكى يرسلها الى هنا فى باريس)) .

ثم نزلت وأرسلت البرقية بنفسى حتى لا يعلم أحد سرها ، ولمـا عدت اليه وجـدته مغتبطـا وقال لى : ((لست فى حاجة الى هؤلاء الناس أصحاب الوجوه الكالحة والنفوس الصخرية والافكار السقيمة والعقول العقيمة الساعين الى غير مصلحة البلاد)) .

الثانى : كتب الى بنك الكريدى ليونيه بباريس خطابا طلب فيه أن يطلعه على حساب المنصرف من أموال الوفد شهرا شهرا فى الســنة الاشهر الاخيرة،وجورج دومانى هو الذى تولى تحرير صيغة الخطاب وحمله بنفسه الى البنك ، وسيعلم بذلك حتما محمد على علوبة لان دومانى لا يستطيع كتمان سر كهذا .

نظرة عامة على حالتنا الحاضرة :

أول يناير سنة ١٩٢١

هذا أول يوم فى العــام الجديد ١٩٢١ فلابد فيه من وقفة ألقى فيها نظرةعامة على حالتنا الحاضرةوأسجل عناصرها وأحاول التنبؤ بمصيرها ، هل هى تتقدم وتتحسن،أو هى سائرة فى طريق السوء والتأخر .

ان من طبيعة الحياة فى الانسان والحيوان والنبات التغير المستمر والتطور المطرد ، فصحتك اليوم أحسن مما كانت عليه أمس أو أكثر ذبولا . لان الصحة والحياة فى تحول دائم . وهذا النبات أكثر ازدهارا مما كان أمس أو أكثر ذبولا ، والازدهار والذبول فى تحرك مستمر . التغيير واقع لا محالة وقد يكون محسوسا ملموسا أو غير محسوس أو ملموس ولا تدركه الابصار . وأما بقاء الحال اليوم كما كان بالامس أو فى الاسبوع الماضى فذلك محال .

ولذلك قالوا ((دوام الحال من المحال)) لان التغيير والتحول والتطور من قوانين الحياة وطبيعتها الاصلية .

وينطبق هذا تماما على حالتنا الحاضرة فهى سيئة وتزداد سوءا وحادة وتزداد حدة ، ومعقدة وتزداد تعقيدا ، حتى اصبحت أشعر اننا نعيش على حافة بركان ومن فوق رأسى سحب كقطع الليل ، وتحت أقدامى هزات زلزال خفيف .. وبعد قليل يبدأ انفجار البركان وثوراته .

واهم ما أراه فى عناصر الحالة الحاضرة ما يأتى :

١ ــ روح الكراهية والخصومة والجفاء والقطيعة قد بلغت اقصى مداها فى نفس الزعيم ونفوس الاعضاء .

٢ ــ لم يجتمع الوفد مرة واحدة فى جلسة علنية أو سرية منذ اكثر من شهر .

٣ ــ انقسام الوفد اصبح على مايظهر نهائيا وحاسما ولا رجعة فيه الا اذا حدث ما ليس فى الحسبان ، كان ينزل احد الفريقين عن رأيه ، أو يعدل عن موقفه .. ولكن هيهات ..

٤ ــ انقسام الامة ازداد ظهورا وبروزا بسبب المعركة الجدلية الحامية الوطيس بين جريدة الاخبار السعدية وجريدة الافكار العدلية .

٥ ــ نشرت الجرائد الانجليزية اليوم أنباء وردت اليها من مراسليها فى القاهرة بأن عددا غير قليل من الاعيان وأعضاء الجمعية التشريعية والمحامين قد خرجوا على الوفد وأعلنوا سخطهم على استمرار الازمتين الوطنية والسياسية فى مصر ، وعلى انقسام الوفد وركود نشاطه وعجزه عن العمل المفيد ، كما أعلنوا رغبتهم فى المفاوضات الرسمية للانتهاء من القضية المصرية .

٦ ــ الخطابات المتبادلة بين سعد وملنر ومستربلنت وعدم اطلاع الاعضاء عليها الا بواسطة على ماهر لا عن طريق عقد جلسة للوفد .

كل ذلك أوغر صدور الاعضاء وزادهم غيظا وشعورا بأن الرئيس يستخف بهم .

٧ ــ سفر الدكتور حامد محمود الى لندن ثلاث مرات على حساب الوفد والقيام بنشاط سياسى فى انجلترا بغير علم أعضاء الوفد

٨ ــ طلب الرئيس الف جنيه من أمين الصندوق للصرف منها على « بعض شئون الوفد » فلم ينفذ هذا الطلب .

٩ ــ طلب الرئيس من البنك أن يطلعه على حساب المنصرف من اموال الوفد شهرا شهرا فى الستة الاشهر الاخيرة ، عمل فيه اشعار بعدم ثقة الرئيس بأمين الصندوق .

١٠ ــ تصميم اغلبية اعضاء الوفد على العودة فورا الى مصر وشعورهم بأن بقاءهم في باريس عبث في عبث وشر من العبث .

وبعد العشاء امس نزلت الى « كافيه فوكيه » فوجدت هناك محمد على علوبة والمكباتى وحمد الباسل ، وبعد قليل قال لى المكباتى فى سخرية لاذعة : « الا تفكر في العودة معنا الى مصر لاسيما انه قد اتضح الآن ان سعد باشا والدكتور حامد محمود فيهما الكفاية لتمثيل مصر والجهاد في سبيل الاستقلال » ! .

فضحكنا جميعا ، ولكنه ضحك كالبكاء .

ثم حاول المكباتى ان يجرنى الى الكلام فى السياسة فقلت له :

يا سيدى .. الا تريد أن تنعم بجلسة هادئة، وان نريح اعصابنا ونحن على أبواب السنة الجديدة ، وما جدوى الكلام في السياسة والخلافات وهى حلقة مفرغة مدوخة ، الا تريد ان نستريح ونشعر أن فى الدنيا جمالا وفيها ماهو خير من السياسة والمناقشات

ومن عجب ان كلماتى هذه كان لها وقع السحر في نفوسهم فوافقوا عليها بالاجماع واخذ كل منهم يتحدث عن بعض تجاربه ومتعه فى الحياة وكان حديثا خفيفا لطيفا ممتعا .

وعند الانصراف قال لى صاحبى محمد على علوبة : ((بعد يوم أو يومين سيتسلم سعد باشا خطابا منا . وقد وجهنا اليه تهما معينة محددة وسيجد صعوبة فى الدفاع عن نفسه)) . فقلت : كان الله فى عوننا جميعا ، ويا ليتك ما اخبرتنى حتى اعود الى فراشى قرير العين بهذه الجلسة اللطيفة .

فقال : ((كن قرير العين دائما وانك الفيلسوف والحياة كفاح))

وافترقنا وانصرفنا بسلام ، وفي الحق انى لم أشعر بحزن أو قلق ولكننى شعرت ببعض الانقباض ، والعاقل من يقبل الدنيا كما هى لا أن ينفعل لما يجب أن يكون ، وانك مدرك قانون الطبيعة الذى يقضى بالتقدم أو التأخر . التقدم من حسن الى أحسن أو التأخر من سيىء الى أسوأ . اما الثبات على حال فلا تعرفه الطبيعة ، فلا معنى للاسى والاسف لانعدام الثبات ، واستمرار التغير والتطور هذا هو الحق .

الفصل الثالث

خطاب خطير الى سعد :

١٣ من يناير سنة ١٩٢١

قبيل ظهر اليوم تسلم الرئيس خطابا شديد اللهجة واضح الجفاء امضاه مرسلوه وهم : عبد العزيز فهمي واحمد لطفى السيد ومحمد محمود ومحمد على علوبة وعبد اللطيف المكباتى وحمد الباسل .

وقد نسبوا فيه الى الرئيس امورا ابرزها غير الخطاب الذى ارسله الى ملنر ما يأتى :

الاول : انه استمر فى المده الاخيرة السير على « سياسة انفرادية » وانه ممتنع عن استشارتهم فى اية مسألة ، وانه فى حالة اضراب تام عن التعاون معهم وعن المجىء الى مقر الوفد أو عقد اية جلسة للوفد منذ أكثر من شهر .

الثانى : إنه أرسل الدكتور حامد محمود الى انجلترا ليقابل مستر بلنت ويقوم بنشاط سياسى لا طاقة له عليه . وقد تم ذلك بغير موافقتهم بل حتى بغير علمهم أو استشارة احد منهم ، وكان الواجب ان يرسل أحد أعضاء الوفد لانه مسئول عن أعماله أمام زملائه وأمام الامة .

الثالث : ان الرئيس يتحمل وحده تبعة انقسام الامة على نفسها هذه الايام وذلك بتشجيعه بعض العناصر التى تعمل فى الخفاء وبمحاولاته المستمرة فى اظهار الوفد كانهمنقسم على نفسه وليس الوفد منقسما بسبب مبدأ من المبادىء بل الاجماع منعقد بين الاعضاء على ضرورة قبول التحفظات كشرط أساسى لدخول الوفد فى المفاوضات الرسمية ، فاذا لم تقبل رفض الوفد

الدخول فيها أو حتى الاشتراك فيها ، هذا مبدأ مقرر ، وكان ذلك كفيلا بالمحافظة على وحدة الوفد وعلى اتحاد الامة ، ولكن الرئيس لا يطيق المعارضـة لرأيه ، وهـذا لا يتفق مع المبادىء الديمقراطية .

الرابع : ليس لرئيس الوفد وحده أن يرسم سياسة الوفد ويحددها وينفذها بنفسه،وانما يجب أن يكون ذلك كله بالمشاورة بينه وبين الاعضاء ، وأن تتخذ القرارات بالاغلبية المطلقة . ذلك هو قانون الوفد والعمل طبق لائحته الداخلية. ولكن الرئيس جرى فى المدة الاخيرة على سياسة انفرادية فخالف بذلك مبدأ الشورى .

الخامس : أن الحالة أصبحت لا تطاق واذا كان الرئيس لايحدد موعد جلسة قريبة لانعقاد الوفد لكى يتبادل الرأى فى الظروف الحاضرة التى تكتنف البلاد ، ولكى يتشاور الجميع فيما يجب عمله لتفادى انقسام الامة وبلبلة أفكارها وتدهور الموقف السياسى وسير الامور العامة من سيىء الى أسوأ . فان أغلبية أعضاء الوفد سترى نفسها مضطرة الى العودة الى مصر ..

وبهذا ينتهى الوفد كهيئة شعبية عاملة ممثلة للبلاد .

هذا الخطاب يحمل فى معناه ومبناه ومرماه كل معالم الانذار ومظاهره وتهديداته ، فكيف يكون وقعه وأثره ؟ ذلك ما سأعلمه مساء هذا اليوم نفسه ..

كان عند الرئيس وقت وصول الخطاب على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا فتلاه عليهم الرئيس ، وكانت مظاهر التأثر والغضب بادية عليه ، واستمر اجتماعهم ساعة كاملة ثم انصرفوا للغداء ولبعض الشئون على أن يجتمعوا مرة ثانية فى الساعة الخامسة مساء .

ودعانى بعد انصرافهم فوجدته فى أشد حالات الغضب والانفعال ، فدفع الى بالخطاب لاطلع عليه ، فقرأته ووعيت معانيه .

مشروع رد أعده الرئيس وعدل عنه !

وبدأ الرئيس يملى على مشروع الرد الذى يريده وهو لا يخرج عن النقاط الآتية :

١ ــ انه مستعد أن يتحمل مسئولية ما فعل وما يفعل فى الحاضر والمستقبل .

٢ ــ أن خطابه الى ملنر لم يكن فى حاجــة الى الاستشارة فى أمـــره لانه لم يكن فى الحقيقة وواقع الامـــر الا تنفيذا لقرارات سابقة للوفــد .

٣ ــ انه لم يطلب عقد جلسة للوفد ولم يذهب الى مقر الوفد لعدم الحاجة الى ذلك ولان الوفد سبق أن قــرر السياسة التى يجرى عليها الان .

٤ ــ وانه لولا أن ضحى بالكثير مما يعتز به ووطد العزم على تحمل أكثر من ذلك لتأثر بالجفاء البادى فى عبارة الخطاب والاسلوب غير العادى من فاتحته الى خاتمته .

٥ ــ واذا كانوا يريدون اجتماعا فليكن ذلك غدا فى الساعة العاشرة صباحا .

هذه خلاصة وافية لمشروع الرد .

ولكن الرئيس ما كاد يفرغ من املائى آخــــر كلمـــــة فيه حتى عاوده الغضب والهياج وقال : ((هات ما كتبت .. ثم مزقه .. واستطرد قائلا : أنا لا أكتب ردا اليهم ، أن هذه اللهجة منهم لا اقبلها بحال من الاحوال فلست موظفا عندهم ولا مسئولا أمامهم ولا أرد على من يتهجم على)) ثم طلب الى الانصراف للغداء والعودة بعد الظهر كالمعتاد . فانصرفت .. ولم أنبس ببنت شفة ، وأدركت مبلغ الاسى والغيظ والغضب والكمد الذى يعصف بنفسه العصيبة وبعد هذا الانذار من أغلبية أعضاء الوفد .

كل هذا كان منتظرا .. توقعته وانتظـــرته .. فلما وقع لم أدهش له كثيرا .

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا

فلما دهتنى لم تزدنى بها علمـــا .

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا وكان الرئيس فى مكتبه ينتظر مقدمهم .

وكان مكبا على الكتابة بخط يده كأنما كان يعد مشروع رد آخر . والرئيس لا يكتب بيده كثيرا الا اذا أراد أن يحدد بعض النقاط التى يريد ان يتناولها فى الحــــديث أو يريد املاء موضوعها على فيما بعــــد .

واستمرت هـــذه الجلسة الرباعية ثلاث ســـاعات متتاليات علمت فى ختامها ان الرئيس وافق على عقد جلسة للوفد فى الساعة العاشرة فى صبيحة ٥ يناير فى مقر الوفد (أى بعد غد) .

وخرج على ماهر مسرعا ليبلغ اعضاء الاغلبية نبا موعد الجلسة وانفراج الازمة ولكن .. هل انفرجت الازمة لا .. لا اظن .. .

اشـــتدى أزمة تنفرجى !

٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

((اشتدى ازمة تنفرجى)) كذا يقول العرب .

وقد بلغت الازمة اقصى شدتها بانذار الاغلبية ، فبدات بوادر الانفراج وكان لابد من قارعة تهز النفوس الى أعماقها فكان الانذار هو القارعة ، ووجد سعد نفسه أمام تهديد ((بأنهاء الوفد كهيئة عاملة ممثلة للبلاد)) انها لمصيبة ، انها لنكبة ، انها لمسئولية خطيرة غاية الخطورة !! من ذا الذى يجرؤ على تحملها والتعرض لنتائجها وعاقبتها ؟ لقد جفل منها الرئيس سعد فيما أعتقد واضطرب لها أشد الاضطراب واشعر انه كان حكيما عندما قرر دعوة الوفـد الى الاجتماع فى شكل جلسة كسابق العهد . وان تكون الجلسـة بعد مرور يوم كامل من ورود الانذار . لا فى اليوم التالى مباشرة للانذار وذلك حتى تهدأ النفوس قليلا ويتاح لهـا بعض الوقت للتفكير فيما ينبغى أن يقال ومالا ينبغى أن يقال ، عسى ان يدخل على الازمة الحالية الحادة بعض التخفيف والتحسين ، فتنتقل من سيىء الى حسن ، بدل أن تنتقل من سيىء الى اسوأ .

ولهذا أرى واشعر ان هذا الانذار قد ادى اهم اغراضـه وهو قرب اجتماع الوفد فى شكل جلسة قد تعقبها جلسات بعد القطيعة والجفاء والخصومة الشديدة المرارة والاضراب الكامل .

وفى الساعة العاشرة صباحا حضر واصف غالى وعلى ماهـر وسينوت حنا واجتمعوا بالرئيس وتناقشوا وتداولوا فى موضوع خطاب الاغلبية وكيف ينبغى أن يكون الرد عليه .

وفى الساعة الواحـــدة بعد الظهر انصرفوا جميعا وانصرفت للغـــداء .

وحضرت مبكرا بعد الظهر عسى أن يكون الرئيس فى حاجة الى. وكانت الساعة الثالثة والنصف ، وقد بكر الرئيس كذلك فخرج من حجرة نومه الى حجرة مكتبه فى الساعة الرابعة تماما . وبعد قليل دعانى لتناول الشاى معه كعادته .. فدخلت وفى يدى كتاب تعمدت أن يلاحظه معى فوضعته أولا على المائدة بجوار فنجان الشاى ثم نقلته الى جانبى كأنى أدركت خطئى ، فقال الرئيس : ((ما هذا الكتاب)) ؟ (وهذا ما تمنيت على الله أن يسألنى عنه) فقلت : ((هذا كتاب علم النفس فرغت من قراءته منذ نصف ساعة وهو يتناول التفكير السليم وشروطه ، والتفكير الفاسد ومظاهره)) .

الرئيس : (هل وجدته مفيدا وجديدا ومرشدا ومنيرا للطريق ؟))

فقلت : ((أجل انه بديع وقد عزمت على ترجمته الى اللغة العربية)) .

الرئيس : اذن لخص لى ما علق فى ذهنك من شروط التفكير السليم ومن مظاهر التفكير الفاسد .

هنا شعرت بالارتباك قليلا لان من السهل جدا أن يلخص الانسان الحوادث والاخبار ، ولكن من العسير جدا أن يلخص الانسان الافكار ثم يجب على الا اطيل واسهب ، فان وقت الزعيم وصبره لا يحتملان سماع محاضرة فى هذا الموضوع . فسكت واطرقت وفكرت لاستخرج من ذاكرتى ما رسب فيها ، وتركت امامى فنجان الشاى مليئا لا ألمسه ولا أقربه ولا أنظر اليه . فقال الرئيس : ((اشرب أولا حتى لا يبرد)) . فشكرته وشربته وأنا لا أدرى ان كان شايا أو حساء أو ماء ساخنا لقد كنت ذاهلا . ثم قلت

للتفكير السليم شروط أربعة أو خمسة :

الاول : هدوء العقل والعواطف : فلا تحمس ولا تسرع ولا ارتباك ولا حرج فى أثناء فترة التفكير ، اى لا يكون العقل متحمسا لرغبة شديدة ملحة ولا تكون العواطف هائجة أو جارفة أو حارقة .

الثانى : الاهتمام بدرس حقائق الموقف والعقبات الموجودة فى الطريق

الثالث : الاهتمام برسم الخطط العملية للتغلب على العقبات او يرى فيها الخير كل الخير » .

الرابع : تقدير العواقب والنتائج مقدما حتى لا يفاجأ الانسان بنتيجة لم تكن فى الحسبان .

الخامس : الاقدام بشجاعة على تنفيذ ما استقر عليه الرأى والمثابرة فى العمل للحصول على أحسن نتيجة ممكنة .

فقال الرئيس : « الشرط الاول غير معقول كيف لا يكون التفكير سليما اذا كان الانسان متحمسا لفكرة غزيرة او مفيدة او يرى فيها الخير كل الخير . »

فقلت : المؤلف يقول ان المتحمس لرغبة شديدة او المحموم بعاطفة جارفة ثائرة ينصرف حتما الى خدمة هذه الرغبة وهذه العاطفة ، ويسعى حثيثا لتحقيق أهدافه منهما ولا يبالى حينذاك بالامر الواقع ولا بالعقبات ولا بالعواقب والنتائج ، والتفكير السليم يستلزم التوفيق بين الرغبة والعاطفة من جهة وهذا الامر الواقع من جهة أخرى ، وهذا عسير أو مستحيل لان الحالة النفسية المنفعلة المضطربة لا تقبل المساومة مهما تبلغ استحالة تنفيذ الرغبة وتحقيق العاطفة .

فقال الرئيس : « لا .. يفتح الله . هذا كلام غير معقول ، فى الحياة أمور لا تقبل المساومة » .

فقلت : « يظهر يا سيدى أنى أسأت التعبير أو أسأت التلخيص » .

الرئيس : كلا . انت احسنت التعبير واحسنت التلخيص ، ولكن الفكرة لا تعجبنى فى عمومها ، والآن حدثنى عن مفسدات التفكير كما قرأتها ..

فقلت : التفكير السليم هو تفكير العقل الهادىء والعواطف الهادئة والهدوء شرط اساسى ، أما التفكير العقيم فهو تفكير الهوى ــ كما سماه المؤلف ــ ومظاهره التى تدل عليه كثيرة أخص بالذكر منها ما يأتى :

١ ــ أن يقترن التفكير باضطراب النفس نتيجة عاطفة جامحة جارفة ثائرة .

٢ ـ الاهتمام المطلق بأرضاء العاطفة المستبدة مهما تكن النتيجة المنتظرة .

٣ ـ عدم الاكتراث بالعقبات ولا بحقائق الواقع ولا يقيم لها الانسان أى وزن فى حسابه .

٤ ـ عدم الاهتمام بالعواقب اكتفاء بما يسمى (ارضاء الضمير) ، وما هو فى الحقيقة الا ارضاء الرغبة الشديدة الملحة أو العاطفة الجامحة الجارفة والنزول على حكمها دون غيرها.

٥ ـ مقابلة الفشل عند ظهور النتيجة بالشتائم والسباب والانفعال .

٦ ـ اعتبار العقبات والفشل من مكائد ومؤامرات الاعداء والخصوم والكائدين .

٧ ـ استمرار الشكوى والانفعالات والشتائم بدل القيام بعمل حاسم .

هذا هو تفكير الهوى وهو تفكير فاسد ، وهذه مظاهره التى تفضحه وتدل عليه ..

فقال الرئيس : « بعض هذه المظاهر مقبول ومعقول ،وبعضها مرفوض ومنقوض ، وبعضها عرضة للمناقشة وفيه قولان ».

وهنا دخل واصف غالي وسينوت حنا وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر ، فحمدت الله على وصولهما وشعرت أنى خرجت من امتحان عسير .. ثم وصل على ماهر فعقدت جلسة من الاربعة لاستئناف مباحثات الصباح ، واستمرت حتى حوالى التاسعة ليلا .

الجلسة الاولى للوفد بعد خطاب الاغلبية

٥ من يناير ١٩٢١ :

صحوت مبكرا هذا الصباح فى الساعة الخامسة بدل السابعة كالعادة ، وظللت افكر فيما فعلت أمس هل أنا أحسنت أم أسأت بحديثى أمس مع الرئيس ؟

وفى الساعة الثامنة والنصف كنت فى مكتبى فى مسكن



سعد زغلول مع اعضاء الوفد في باريس

سعد زغلول وعلى يساره محمد على علوبة وحمد الباسل وسينوت حنا .. والواقفون : مصطفى النحاس وحافظ عفيفى ومحمد محمود وعبد اللطيف المكباتى واحمد لطفى السيد وجورج خياط .. وفى الصورة من اعلى : واصف غالى وويصا واصف .

الرئيس وأنا أشد ما أكون شوقا الى رؤية الزعيم . وأشد ما أكون رهبة منه ، رهبة فى شعوره نحوى بعد حديثى معه أمس ، ثم شوقا لمعرفة حالته الصحية والنفسية قبل أن ينتقل الى مقر الوفد ليرأس أول جلسة للوفد بعد خطاب الاغلبية وانذارها الخطير .

وفى الساعة التاسعة ظهر الرئيس رآنى ونادانى : وقال لى — بعد أن سألته عن صحته وكيف نام الليلة الماضية : « لقد نمت جيدا .. نمت ثلاث ساعات متتاليات ، وأنا اليوم فى صحة طيبة » . ثم استطرد فقال : « هل تعرف أن جملة واحدة من كلامك أمس أثرت فى نفسى تأثيرا طيبا وهى : « ان التفكير السليم هو تفكير العقل الهادىء والعواطف الهادئة »

ولذلك أنا اليوم هادىء العقل والعواطف معا وسأستمر كذلك وسننظر ماذا يكون » فابتهجت وانتعشت ، وقلت : « اذن أنت منتصر عليهم جميعا لا محالة ولو كان بعضهم لبعض نصـــيرا وظهيرا » .

فقال الرئيس : « لقد رتبت فى ذهنى ما أقوله وما لا أقوله ، وأنا منتصر باذن الله لانى على حق ، ولان الله قد عودنى على أن ينصرنى على الدوام » .

فقلت : « الحمد لله .. هل تحب يا سيدى أن أنتظـــر هنا حتى انتقل معـك الى مقـر الوفـد ، أم أذهب الآن لارى أعضاء الوفد وأرى حالتهم النفسية قبل الجلسة حتى أسجلها فى مذكراتى ؟

فقال : ((يمكنك أن تذهب الآن الى مقر الوفد فان على ماهر قادم لمرافقتى)) .

فقلت : ((حفظك الله ورعاك)) ، وخرجت .

وقبيل الساعة العـــاشرة بعشرين دقيقة كنت فى مكتبى فى مقر الوفد ، وبعد دقائق بدأ الاعضاء يفدون ويتسلسلون ، حضر على التوالى :

حمد الباسل ومحمد على علوبة والمكباتى ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى ثم محمد محمود ، وكانوا جميعا متهللين باسمين الا لطفى السيد وعبد العزيز فهمى فكانا واجمين . وفى الساعة العاشرة الا دقيقتين حضر الرئيس سعد ومعه على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا . وبدأ السلام باليد والسؤال عن الصحة فى هدوء ووقار ، وكانوا جميعا آية فى اللطف والمجاملة وفى حسن المعاملة .

ثم بدت الجلسة التاريخية المنشـــودة ، بدأت فى جو رهيب مرهوب ، فيه توثب وتحفز .

من ذا الذى يستطيع أن يبدأ بالاساءة أو الاستفزاز فى جـو كهذا الجو ؟

وما جـــدوى الاساءة والاستفزاز على كل حال ، ولا سيما فى هذه الحال ؟.

لقد شعر الجميع بأن ما وقع من اساءات واستفزازات حتى الآن كثير جدا وفوق ما يحتمل فلا مزيد بعد ذلك لمستزيد ، هكذا كان الشعور العام .

فليس بعجيب بعد ذلك أن تبدأ الجلسة وتستمر وتنتهى فى غير اساءة أو محاولةاساءة ، وفىغير استفزاز أو محاولة استفزاز . فكانت جلسة مثالية من أولها الى آخرها .. قرابة ثلاث ساعات ولم يعقد الوفد جلسة مثلها فى سابق الزمان ولا فى أىمكان ..

اما خلاصة ما حدث وجرى فى هذه الجلسة فهو ما يعنينى الآن بيانه وتسجيله فى شىء من التفصيل الذى يكشف المعالم وطبيعة الحوار وأطراف الصراع :

قال الرئيس سعد :

((اننا مجتمعون اليوم بناء على خطاب ورد الى بامضاء ستة من حضرات الاعضاء رغبوا فى عقد هذه الجلسة . وكان منالممكن عقد هذه الجلسة أو اى جلسة فى اى وقت اذا رغب فى ذلك اى عضو فى الوفد، ولكن شاء حضرات الاعضاء الستة أن يتقدموا بذلك مجتمعين ومتضامنين متضافرين ، وخطابهم يمكنتقسيمه الى قسمين :

القسم الاول : اسلوبه ولغتـــه وفيهما شىء غير قليـــل من العنف أو عدم المجاملة ، ولكنى أتجـــاوز عن ذلك لان الكلام والعتاب لا يجـــديان فى مثل هذه الظروف والايام ، ومادامت لغة الانسان واسلوبه همـــا مرآة لحالته النفســـية فهم اذن معذورون ، ولاتكلم فيما هو أجدى وأنفع .

القسم الثانى : موضوع الخطاب نفسه وهو عبارة عن خمس تهم تفضلوا بتوجيهها الى شخصى . وهذا ما لا أتجاوز عنه بحال من الاحوال وما أريد مناقشته فى الحال .

التهمة الاولى : هى أنى اسير على سياسة انفرادية فى المدة الاخيرة . فما هى هذه السياسة الانفرادية التى تشيرون اليهـــا وتشكون منها ؟ انى أرجو أن يتولى أحدكم الاجابة والتبيان..

عبد العزيز فهمى :

لعل حضرة الرئيس يذكر أن آخر جلسة عقدها الوفد كانت فى ٢٣ نوفمبر من العام الماضى ونحن الآن فى ٥ يناير فى العـــام

الحالى أى أننا لم نجتمع فى جلسة للوفد حوالى الشهر والنصف .. وكان الاعضاء خلال هذه المدة الطويلة يسيرون فى الشوارع أو يطالعون الكتب والجرائد أو يتسكعون فى المقـــاهى عاطلين مضيعين لا عمل لهم ولا صنعة ، وكثيرا ما كنا نتساءل لماذا نحن هنا الآن فى باريس بلا عمل ولا أمل ؟ ولماذا نستمر نعيش فى ملل وفى الم ؟ هذا وكان الرئيس من ناحيته يعيش فى واد آخـر قد وضع لنفسه سياسة جديدة ونفذها : وهى اهماله للوفـــد وأعضائه واضرابه عن عقد الجلسات وامتناعه عن زيارة مقــر الوفد . ثم انفراده بالعمل المستقل عنا . يكتب الى ملنر وملنر يكتب اليه ويتراسل مع مستر بلنت . ثم يرسل الدكتور حامد محمود طبيبه الخاص لمقابلة مستر بلنت والقيام بنشاط سياسى فى انجلترا لا نعرف نيته ومعناه ولا نعرف كنهه ولا نعرف مداه ، فهل هذه الحالة يمكن الاستمرار عليها ؟ وهل هذا يليق بنا ؟ اليس فيه المساس بكرامتنا ومصلحة البلاد أن ينحى المسئولون عن العمل ويكلف بالعمل غير المسئولين .. كالدكتـــور حامد محمود ؟

لهذا قلنا فى خطابنا أن هذه حالة لا تطاق وأن الرئيس اذا لم يحدد جلسة لاجتماع الوفد فانـــــا عائدون لا محـــالة الى مصر ، ولينته الوفد شكلا كما انتهى فعلا .

الرئيس سعد :

ان حضرة الاستاذ لم يقتصر على الكلام فى التهمة الاولى بل تناول كل التهم دفعة واحدة واعاد على مسمعنا نص ما ورد فى الخطاب المرسل الى ، وكانه كان يقرأه علينا مرة ثانية ، ومع ذلك فقد فهمت الان قصده من عبارة (السياسة الانفرادية) ، ويخيل الى أن هناك امورا مازالت خافية عليه او لعله لم يعرها شيئا من عنايته وتقديره .

فى طليعة هـــذه الامور التى هى فى حكم الحقائق الثابتـــة : طبيعة موقفنا هذه الايام من لجنة ملنر ومن التقرير الذى تزمع تقديمه قريبا جدا الى الحكومة الانجليزية ، فنحن بحكم الظروف القاهرة مضطرون الى الانتظار ، والوفد لا يرى مناصا ولا فكاكا من هذا الانتظار حتى يصدر هذا التقرير ونطلع على ما فيــه ونعرف مراميه ، هذه هى الحقيقة المرة التى لا يجوز نسيانها

او التهوين من شانها ، ولا بد من النزول على حكمها طائعين او كارهين .

انظروا ماذا يحدث لو ان الوفد اهملها واغفلها ولم يقم لهـا وزنا ولم يعتبر لها وجودا .؟

لو ان الوفد اظهـــر نشاطا فى محاربة الانجليز بكل ما لديه من وسائل الدعاية ، لقيل لنا اننا اضعنا بذلك ما كســبناه فى المفاوضات وافسدنا ما أصلحناه وأن النتائج كانت اصلح وأحسن وافيد لمصر اولا أن الوفد قد تسرع فى اظهار العداء واعلانه ، والتشنيع على تصرفات الانجليز فى مصر .

أو لو أن الوفد عمل العكس واظهر نشاطا فى خلق جو ودى فى مصر لمصلحة التفاهم المشترك بين مصر وانجلترا ، والتمهيد للمفاوضات الرسمية قبل صدور التقرير ثم صدر التقرير بعد ذلك وفيه من الاساءات لمصر ، ومن القيود والاغلال التى تتعارض مع الاستقلال ، لقيل لنا اننا تسرعنا فى التفاؤل بغير حق او مسوغ وهدمنا روح الكفاح فى الشعب بسبب الحماقة وقصر النظـر والتهور فى حسن النيـــة ازاء الانجليز تهورا يصل الى حـــدود السذاجة والبلاهة .

فنحن على الحالين عرضـة للملامة ، فليس امامنا والحـالة هذه الا طريق واحد نسلكه ولا ثانى له وهو التريث والانتظـار حتى يصدر ذلك التقرير وينكشف المستور ويظهر النور ، واذا كان أعضاء الوفد فى هذه الفترة يسيرون فى الشوارع ويتسكعون فى المقاهى كما يقول الاستاذ عبد العزيز فهمى بك ، فانا كذلك أسير فى الشقة التى أسكنها وأتسكع بين المقاعد والكتب والجرائد .. (وهنا ضحك الاعضاء جميعا وسرت فى الجلسة روح خفيفة منعشة صفا بها جو الجلسة بعـد كدر واسترخت بها الاعصاب بعد توتر) .

سكت الزعيم سعد قليلا كمن يسترجع انفاسه او يستجمع افكاره ثم قال : اذا كانت فترة التريث والانتظـار هـذه قـد جاوزت الشهر فما فى ذلك حيلة لى أو لكم، وما دمنا قد احتملنا الكثير فلا بد من أن نحتمل القليل الباقى منها .

وفترة التريث والانتظـــار من طبيعتها الركود والجمـــود وقد جاءت فى فصل الشـــتاء والشـــلوج فاضيف الى طبيعتها

الانكماش والرقود : ركود العمل ورقوده ، لهذا لم أر داعيا لعقد جلسة للوفد ، اذن ليس امامنا عمل ولا موضـوع للبحث أو المناقشة فيه . ولم يرجع عدم عقد جلسة الى سياسة انفرادية وضعتها لنفسى كما تقولون ، فاذا كان احد حضراتكم قد رأى داعيا لعقد جلسة ، فلماذا لم يقترح على ذلك حتى اذا رفضت اقتراحه كنت أذن الملوم أما الآن فلا لوم ولا عتاب .

ومع ذلك فقد زعم بعضكم انى انتهزت هذه الفرصـــة فجريت على سياسة انفرادية وأهملت شأنكم واستشهدوا على ذلك بالادلة الآتية :

ان مستر بلنت ارسل الى خطـابا وطلب أن أرسل اليـه رسولا .

ارسلت اليه الدكتور حامد محمود ولم أرسل عضوا مسئولا من أعضاء الوفد .

والآن فلننظر فى هذه الادلة ثم ننظر اليها فى مجموعها . .

اما خطابى الى ملنر فكان خطاب مجاملة وتهنئـــة بعيـــد الميلاد حتى يشعر أن جو الود وحسن التفاهم الذى يرجـو أن يخلقه فى مصر موجود على الاقل فى نفوسنا . فيعدل عن بعض عنته وينزل عن بعض تشبثه فى معارضة الامة وتحفظاتها ، ثم انى انتهزت تلك الفرصة فلفت نظره الى مئات البرقيات الواردة الى واليه فى مصر احتجاجا على بقاء الحماية وذكراها الاليمة ، وجاء رد ملنر الى وارسلته اليكم مع الاستاذ على ماهر لتطلعوا عليه .

هل لاحد منكم اعتراض على كلمة واحدة جاءت فى رد ملنر بسبب مكاتبتى اليه ؟

انى ارى على العـــكس ان رد ملنر لم يأت بجـــديد سوى ما اظهره من روح المسالمة وفتح باب الامل .

اما مستر بلنت فهو صديق قديم لى اعرفه واعرف فضله واخلاصه من زمان طويل ، ارسل الى خطابا رقيقا فاطلعتكم عليه بواسطة الاستاذ على ماهر فلم اخف عنكم شيئا ، ثم ارسلت اليه الدكتور حامد وهو يجيد الانجليزية ولم أرسل اليه عضوا مسئولا فى الوفد لان سفر اى عضو فى الوفد الى انجلترا امر

يلفت الانظار وتنتقل به الاخبار الى مصر وتحوم حوله الظنون والاوهام .

وماذا عسى أن يفعله الرسول أكثر من أن يحمل الى خطابا خاصا من ملنر ويسمع حديثا ثم ينقله الى ؟ وسأطلعكم بطبيعة الحال على كل ذلك عندما يعود الرسول .

((هذه هى ادلتكم على (سياستى الانفرادية) وما هى الا مجموعة من التصرفات التى تعتبر تنفيذا للسياسة العامة للوفد

ثم ماذا بعد كل هذا ؟

تقولون أن مظاهر هذه السياسة الانفرادية انى ممتنع عن استشارتكم فى أية مسالة ، وأنا لم اجد مسالة واحدة تستحق أن استشيركم فيها طوال هذه المدة ، وقلتم انى فى حالة أضراب عن الذهاب الى مقر الوفد طوال هذه الفترة .

فهل الذهاب ، مجرد الذهاب ، غاية يجب أن احرص على رعايتها ؟ هل نسيتم انى أعيش فى سجن من الشيخوخة والامراض ولا أقوى على برد الشتاء هنا فى باريس ، وآية ذلك انى لم أخرج من مسكنى مرة واحدة طوال هذه المدة ، انكم بتاويلكم أسوأ تأويل كل حركاتى وسكناتى وكل لفتاتى وتصرفاتى ، لتثبتون أن الثقة والتعاطف وحسن النية قد ضعفت كلها وهزلت الى درجة تستحق الرثاء ، أليس كذلك)).

محمد على علوبة :

انك يا سيدى الرئيس أرسلت الى البنك تسأله من وراء ظهرى أن يطلعك على حساب المنصرف من اموال الوفد شهرا بشهر خلال الشهور الستة الاخيرة ، ولم تتفضل بسؤالى انا. فما معنى ذلك ؟ وما الداعى اليه ؟ أليس فى ذلك معنى عدم الثقة بى كأمين للصندوق ؟

سعد :

انكم تهددونى بالعودة الى مصر ، وأنا مصمم على استمرار الجهاد هنا فأردت أن أعرف متوسط ما يتكلفه الوفد شهريا من المصروفات حتى أرتب شئون الاقامة وظروف العمل ومصاريف الجهاد .

محمد على علوبة :

ولماذا لم تطلبنى لمقابلتك أو تسألنى لأعطيك فكرة عن ذلك كله ؟

سعد :

لقد طلبت منك الف جنيه للصرف منها على بعض شئون الوفد فرفضت

محمد على علوبة :

انا لم أرفض بل طلبت معرفة (**شئون الوفد هذه**) حتى أعرضها على اخوانى أعضاء الوفد ، ونتخذ قرارا بذلك فى الوفد .. فرفضت أنت طلبى وامتنعت عن تنويرى وعدلت عن طلب الالف جنيه ، فلماذا ؟

الرئيس :

لقد أردت أن أقدم هدية ثمينة تذكارية للمستر بلنت ، وأردت أن أقوم بدفع مصاريف الانتقال والاقامة للدكتور حامد محمود حين أكلفه بالسفر الى انجلترا ، واعتبرت طلبك تشككا فى بواعثى وفى ذمتى فعدلت ، وانك لتعلم ــ أو يجب أن تعلم ــ أن رئيس الوفد ، بل رئيس أى جماعة من الجماعات يجب أن يكون تحت تصرفه بعض المال للتصرف فيه لخير الجماعة وصالح العمل ، ومكافأة كل من يؤدى خدمة جليلة للغاية المشتركة . وما أردت أن أناقش أو أعاتب ، لان المناقشة والعتاب لا يكونان الا عند توافر الثقة بين الطرفين وعند الرغبة المشتركة فى استمرار العمل والتعاون .

ثم استطرد الرئيس فقال : والآن بقيت تهمة وحيدة خطيرة جدا ، وهى اتهامى بأن تبعة انقسام الامة تقع على كاهلى وحدى .. وهنا قاطعه الاستاذ على ماهر وقال :

((يا سيدى الرئيس : لقد تكلمت طويلا والقيت النور على كثير من النواحى والمسائل ، وأنا واثق أن الجو قد تحسن كثيرا بعد بياناتك وتفسيراتك)) .

فهل لى أن أرجو تأجيل الجلسة الى موعد آخر لا سيما أن الساعة قد قاربت على الواحدة بعد الظهر ؟

فسكت الرئيس ، ووافق الاعضاء جميعا على اقتراح التأجيل ماعدا عبد العزيز فهمى ولطفى السيد فقد سكتا .

حمد الباسل :

ما الموعد الذى يناسب سيادة الرئيس للجلسة القادمة ؟

الرئيس :

كما تشاءون ، وكل موعد يناسبنى ، وليكن غدا اذا شئتم .

على ماهـر :

اننا نريد أن نعالج مشكلة انقســام الامة وهذا موضــوع دقيق وشائك وخطر ومعقد ويحتاج الى التفكير الطويل ، فهل لى أن اقترح أن يكون التأجيل لمدة أسبوع ، بل اقترح أن نجتمع مرة كل اسبوع لتبادل الآراء الى أن يصدر تقرير ملنر ؟

فسكت الرئيس وسكت عبد العزيز فهمى ولطفى السيد .

وتكلم الآخرون بما لا يخرج عن الموافقة على الاقتراح

فتقرر أن تكون الجلسة القادمة يوم ١٢ من يناير سنة ١٩٢١ فى الساعة العاشرة والنصف صباحا فى مقر الوفد .

انتقال الاعضاء الى مسكن الرئيس لتحيته

٦ من يناير سنة ١٩٢١

صحوت اليوم فوجدت الصباح جميلا رائعا والشمس ساطعة ولست أدرى لماذا جعل العرب الشمس مؤنثة ، والقمـر مذكرا ، بينما الانجليز والفرنسيون والغربيون جميعا جعلوا الشمس مذكرا والقمر مؤنثا ، ما هى قاعدة التذكير والتانيث ، وماعلاقتهما فى حالة كهذه ؟ لست أدرى ، ولا اظن أحدا يدرى ، وانما الذى ادريه وأشعر به شعورا عميقا هو فرحتى برؤية الشمس هذا الصباح وهذا النهار كله بعد أن ظلت شهرا كاملا غائبة مستورة وراء السحب الكثيفة السوداء التى لم أر من آثارها الا هطول الامطار حينــا ونزول الثلوج حينا أخرى ، ثم انقباض يساور النفس التى اعتادت رؤية الشمس طوال أيام العام كله مثلنا فى مصر .

ما أجمل الشتاء فى مصر ، بل ما أجمل كل شىء فى مصر ، ارضها

وسماءها وماءها وهواءها ، صيفها وشتاءها ، نباتها وحياتها ، حياتها الهادئة الرتيبة الوديعة العجيبة .. ها دق جرس الباب ودخلت الخادمة الباريسية تحمل الى طعام الافطار فقطعت على حلم اليقظة وهذا الحنين الدافىء الى مصر وكل ما فى مصر وانهيت حلمى وحنينى بجملة واحدة : ان مصر جنة الله فى أرضه اولا الاحتلال وويلات الاحتلال .

وفى الساعة الثامنة والنصف تماما كنت فى مكتبى بمقر الوفد اتصفح الجرائد الانجليزية كالعادة عسى أن أجد فيها شيئا عن مصر اترجمه الى العربية للرئيس ، فلم أجد شيئا لا مقالة ولا خبرا .

وحوالى الساعة العاشرة توافد الاعضاء على غير انتظار منى : حمد الباسل ومحمد على علوبة وعلى ماهر وسينوت حنا وواصف غالى ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومحمد محمود والمكباتى .

فسألتهم : أتعقدون جلسة هذا الصباح ؟

فقال حمد الباسل : جلسة غير رسمية .

فسألت : وما الفرق بين الجلسة الرسمية وغير الرسمية ؟

حمد باشا الباسل : الجلسة غير الرسمية ، جلسة لا يحضرها الرئيس .

فقلت : لا تؤاخذنى انى غبى

فقال حمد الباسل (ضاحكا) : بل انت تتغابى وقد وصفك الشاعر العربى بقوله :

ليس الغبى بسيد فى قومه ولكن سيد قومه المتغابى

فقلت له ياسيدى : ان بديهتك الحاضرة لا يعادلها الا سماحتك وكرم اخلاقك ولا يزيد على كل ذلك الا عجزى عن شكرك .

وسمع بعض الاعضاء هذه المحاورة واشتركوا فيها باسمين منشرحين ثم انتقلوا من مكتبى الى قاعة الجلسة بعد أن أخبرنى صديقى محمد على علوبة أنهم يريدون أن يتداولوا فى مسألة « انقسام الامة » وطريقة علاجه .

فسألته : ما رأيك فى جلسة الامس وفى بيانات الرئيس ؟

فأجاب : سعد باشا كان متجليا وكان هادئا ليته يستمر على

ذلك وقد تحسن الجو تحسينا كبيرا وزال سوء التفاهم ، وسننتقل بعد انتهاء الجلسة لزيارته في مسكنه لتحيته فقد عادت المياه الى مجاريها .

فقلت : انا ذاهب الان لمقابلة الرئيس ، هل أبلغه كلامك . فقال: افعل ما تشاء

فقلت : احب أن انقل الاخبار السارة التي تزيد الجو تحسنا . وتزيد النفوس انتعاشا .

ثم تبادلنا البسمات والتحيات وانصرفت ولكن الى لقاء قريب جدا .

وفي الساعة العاشرة والنصف كنت مع الرئيس واخبرته بكل ما رأيت وسمعت وأظهرت اغتباطي بتوفيقه امس في ازالة كل اسباب سوء التفاهم .

فقال : أجل كنت موفقا ثم هز راسه مفكرا مهتما وقال : ولكن كل شيء الى حين ، ان المسالة ليست مسالة سوء تفاهم يمكن أن يزول ، وانما المسالة أدهى من ذلك وأمــــر . ولا يمكن ان تزول بالشرح والبيان ، هى مسالة عدم ثقة وأهداف مختلفة وخــــطط متباينة وبواعث لا سبيل الى التوفيق بينها ، ان الامر لا يستطاع اصلاحه ..

فقلت : انهم سيحضرون بعد قليل لزيارتك وتحيتك ولاشعارك بأن ما كان هناك من جفاء قد زال وان المياه قد عادت الى مجاريها ، الا تريد أن تقابلهم في منتصف الطريق كما يقول الانجليز في مثــل هذه المواقف ؟

فقال الزعيم : ((أجل لابد من ذلك لا ســيما وهم في بيتي فلهم على حق المجاملة والملاطفة ، على أن كرم الضيافة شيء وصلاح الحال بعودة المياه الى مجاريها شيء آخر ، انى اشعر بانهم يريدون مهادنتي ولكنهم يأتمرون بي ويتربصون ، وانهم يطلبون مسالمتي وتهــدئتي قبل عودتهم الى مصر . وانهم لعائدون الى مصر عاجلا أو آجلا ، فهم يفعلون ما فعل عدلي قبل عودته ، فقد زارني وسالمني حتى يضمن من المصريين حسن الاستقبال له وقد نجح في ذلك نجاحا ملحوظا ، وهم يريدون مثل ما أراد لكي يصلوا الى مثل ما وصل من حســـن استقبال المصريين لهم عنــد عودتهم ، ولكنى لا أتعجــل الامور ولن أشعرهم بحقيقة أفكاري ولا بحقيقة مشاعري ، والكتمان احرى

بى وأوجب ، ولا سيما فى مثل هذه الظروف الدقيقة التى نعيش فيهـــا » .

فقلت : ما أحكمك ياسيدى وما أبعد نظرك .

وفى الساعة الثانية عشرة ظهرا حضر على ماهر واختلى بالرئيس دقائق معدودات ثم حضر الاعضاء جميعا : عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد على علوبة ومحمد محمود وحمد الباسل وواصف غالى وسينوت حنا ، حتى عبد اللطيف المكباتى ، وظلوا مجتمعين ساعة كاملة ، وفى الســاعة الواحدة بعــد الظهر خرجوا وانصرفوا باسمين وفى غبطة ظاهرة .

وسالت الاستاذ على علوبة عن خلاصة رايه فى هذا الاجتمــاع فقال : « كانت جلسة طريفـــه خلت من السياسة وكثرت فيها الملح والنكات والنوادر والشعر » .

وسألت الرئيس سعد عن رأيه فقال :« جاءوا لتحيتى والسؤال عن صحتى ، وكانوا جميعا فى غاية اللطف ، وكان اظرفهم حمـــــد الباسل بحكاياته المتعه واسلوبه الظريف الطريف » .

عودة الدكتور حامد محمود من انجلترا

وفى الساعة الخامسة بعد الظهر وصل الدكتور حامد محمود عائدا من انجلترا واختلى بالرئيس سعد ساعة كاملة . ولما خرج مر بى فى مكتبى للتحية فقلت له وعلى وجهي ابتسامة ماكرة : « أرجو أن تكون قد وفقت فى استعادة عفشك المحجوز عليه بسبب امتناعك عن دفع ضريبة الدخل !!؟ » فضحك واستغرق فى الضحك وقال : « تم كل شيء على مايرام » . وانصرف بعد أن تواعدنا على اللقــاء بعد العشاء فى « كافية فوكيه » .

شخصية الدكتور حامد محمود واعماله فى الميزان

صديقى الدكتور حامد محمود شخصية عجيبة فريدة لا أعرف لها مثيلا فى جميع المصريين الذين اختلطت بهم فى مصر أو فى الخارج حتى الآن . . فقد عاش فى انجلترا أكثر من نصف عمره وهو الآن فى الثامنة والثلاثين وعاش منها فى انجلترا عشرين سنة بعــــد أن تخرج فى جامعة ادنبرة فى اسكتلنده وحصل على اجازته فى الجراحة وقد تطوع فى خدمة الجيش الانجليزى « جراحا » فى الحرب العالمية الاولى وتوطدت له صلات بكثيرين من الانجليز ، ولم يحصل على

شهادة مصرية عالية ولا يكاد يعرف اللغة العربية . ويجيد الانجليزية كلاما اكثر مما يجيدها كتابة ، ومن نوادره الطريفة اننا خرجنا مرة للنزهة في غابة بولونيا مع الرئيس سعد واذا به يصرخ في دهشة لفتت نظر الرئيس ونظري قائلا : يا باشا ((هذا أبو أوى)) فضحك الرئيس واستغرق في الضحك وقال « أم أوى يا دكتور » فقال حامد » ولماذا يقولون اذن « أبو كاتو » واستمر الرئيس في ضحكه وقال : أفوكاتوا ، أتريد تغييرها الى أم كاتو على هذا القياس . واستمر هذا الخلط فترة غير قليلة وسعد يضحك من هذه الخفة والسذاجة اللطيفة .

وفي حامد ، مكر ودهاء ، ولكن مكره يبدو في سذاجة عجيبة ودهاؤه يظهر في شكل « عبط » ، وهو يجد لذة فريدة في الظهور بمظهر العبيط أو الساذج ويرى في ذلك منتهى المكر والدهاء والخداع وحمل الناس على الاطمئنان اليه . وعدم الشك فيه أو التخوف منه . وبعد أن يجردهم من أسلحة الحذر والتحفظ معه يعرف منهم مايريد ان يعرف ، ولا يعطيهم ما يتوقون الى معرفته منه ، فهو الكاسب دائما وهم الخاسرون . هكذا يظن وعلى هذا النمط يعيش ويعامل الناس ، هذا فضلا عن انه يجمع مع هذا المكر والدهاء طبعا يميل الى اساءة الظن بالناس وهو قلما يثق بانسان ، والرأى عندى أن الدكتور حامد محمود قد اكتسب من حياته بين الانجليز ومعاشرته الطويلة لهم بعض الصفات والمزايا النفسية ، اخص بالذكر من هذه وتلك ما يأتى :

المكر والدهاء والميل الى الخداع وعدم الصراحة والتظاهر بالسذاجة .

حمل الناس على الاطمئنان اليه وعدم الشك فيه بمظهره الفريد في اللطف والسذاجة .

اساءة الظن بكل الناس والميل الشديد الى الكتمان فلا يمكن أن يذيع سرا .

ضبط النفس فلا يثور أو يغضب مهما يكن مبلغ الاستفزاز الواقع عليه ، وكان يقول لى ونحن فى انجلترا : ان ضبط النفس للانسان كالفرملة للسيارة ، والسائق يكون معتوها اذا قاد سيارة بلا فرامل ، لانه يكون خطرا على غيره وعلى نفسه ، وكذلك المحروم من مزية ضبط النفس فهو رجل بغير فرامل وهو خطر على غيره وعلى نفسه .

والمصرى العادى لا يتمتع بهذه الصفات وهذه المزايا النفسية. وهو فى الغالب حسن النية سليم الطوية يحسن الظن بالناس ولا يضبط عواطفه لان « قلبه أبيض » واذا استفزه انسان أو اهانه غضب وثار وسب وشتم وانفجر كالبركان .

هذا وترى الدكتور حامد لاول وهلة فتظنه انجليزيا فى عامة مظاهرة ، فى بياض لونه ونعومة شعره وأناقة هندامه ولمعان حذائه وطريقة مشيته وحركات رأسه ويديه ونظرا تعينيه، وهو حليق الدقن والشارب ، كثير التدخين للبيبة التى لاتكاد تفارق شفتيه وعنده من « البيبات » مايزيد على العشر ، واذا سئل سؤالامحرجا أو صعبا احتفظ « بالبيبة » فى فمه حتى يفكر بهدوء ولا يرفعها من فمه الا اذا أراد الكلام او الاجابة ، ثم هو يوجز غاية الايجاز ولا يميل الى الثرثرة كما يفعل الكثيرون ، وهو فى هذا كله انجليزى قح ، ولكنه الى جانب هذا أو قبل هذا كله مصرى صميم ووطنى غيور ، حبه لمصر وغيرته القومية واخلاصه لقضية الاستقلال وحبه وولاؤه للرئيس سعد وحبه وعطفه على الفلاحين كلها من الطراز الاول ، ولا تترك بعدها زيادة لمستزيد . هذا فضلا عن أنه خفيف الروح الى الدرجة القصوى ومن العسير جدا الا تحبه أو لا تميل اليه فهو خفيف الظل حلو الابتسامة التى لا تكاد تفارق وجهه ، ولعل هذه المظاهر والمزايا المصرية الصميمة فيه هى التى قربته الى قلب الرئيس سعد .

كيف اتصل الدكتور حامد بالرئيس سعد

بعد أن وقع الاختيار على لان أكون سكرتيرا خاصا للرئيس سعد زغلول سافرت من مصر ووصلت الى باريس فى ٢٧ من نوفمبر سنة ١٩١٩ ولم يمض شهرا واحدا أو خمسة أسابيع أى فى يناير سنة ١٩٢٠ حتى حضر الدكتور حامد محمود على رأس وفد يمثل جمعية الطلبة المصريين فى بريطانيا لتحية الرئيس سعد ولتأييد الوفد فى جهوده ومساعيه فى خدمة قضية الاستقلال ، فأكرم الرئيس وفادتهم وسرته حماستهم ، وبعد انصرافهم تخلف الدكتور حامد وقال للرئيس انه يريد أن يتطوع لخدمته وخدمة الوفد وخدمة مصر وقضية الاستقلال ، وأن معرفته بانجلترا وبالانجليز لابد أن تكون نافعة وهو يضعها بين يدى الرئيس ، ثم قال ان الدكتور طلعت باشا عمه .. لم يكن الدكتور حامد فى حاجة الى أن يقول

اكثر من هذا ، فسعد باشا صديق حميم للدكتور طلعت باشا وفى الدكتور حامد نفسه مزايا لا يستهان بها .

ولهذا لم يتردد الرئيس لحظة واحدة فى الاقبال عليه والترحيب به وتعيينه فورا سكرتيرا ثانيا ، وقد أحس سعد بفراسته التى لا تخيب أنه سوف يكون فى حاجة الى رجل كحامد يعرف انجلترا مثل معرفته ، فقد تقضى الضرورة بارساله الى انجلترا فى مهمات كثيرة ولاغراض شتى ، وقد صدقت فراسة سعد (الرئيس البعيد النظر) ، واصبح الدكتور حامد نافعا جدا فى خدمة هذا الغرض ، ولكن مصرية الدكتور حامد تجلت فى حبه وولائه للرئيس سعد وفى كرهه وسخطه وحقده على اعضاء الوفد الذين يخالفون الرئيس ، وكان أعضاء الوفد يستخفون ظله أول الامر لسذاجته الظاهرة ويداعبونه بالنكات الخفيفة اذ كانوا يشعرون انه نصف مصرى ونصف انجليزى لقلة معرفته للعربية ، ثم سذاجته الخلابة الخداعة قد اعتبروها نوعا من العبط الذى يداعب ويسخر منه . وكان الدكتور حامد يسرف معهم فى مظاهر سذاجته ومظاهر انجليزيته ، فيزيد مرحهم واقبالهم عليه ، ولكن الاعضاء فى المدة الاخيرة تنكروا له وسخطوا عليه .

وبمقدار ما ازداد حامد قربا من قلب الرئيس سعد ازداد بعدا من قلوب الاعضاء جميعا فساء مركزه بينهم .

النشاط السياسى للدكتور حامد محمود

ولسائل أن يسأل : هل احسن سعد واصاب فى تعيينه الدكتور حامد محمود سكرتيرا ثانيا له ؟ وهل نجح الدكتور حامد فى النهوض بالمهمات التى كلف بها ؟ وهل ادى خدمات تستحق الذكر لقضية الاستقلال ؟

وانا اجيب بالايجاب على هذه الاسئلة الثلاثة من غير تردد أو تحفظ ، فان الدكتور حامد محمود ملأ ، ومايزال يملأ فراغا لا يستطيع أحد غيره من المصريين ان يملأه ، وانه ادى وما يزال يؤدى خدمات عظيمة لقضية الاستقلال لا يستطيع أحد غيره من المصريين أن يؤديها .

وفيما يلى بعض الادلة :

١ ــ ان جريدة الديلى هيرالد (جريدة حزب العمال) قد اصبحت تدافع عن قضية استقلال مصر وتطالب بالغاء الحماية

البريطانية عن مصر ، بفضل صداقة الدكتور حامد لمستر ايوار رئيس قسم السياسة الخارجيـــة فى هـــذه الجريدة ، ومستر لانسبورى رئيس التحرير نفسه . فالدكتور حامد يعرفهما معرفة صـــداقة شخصية قديمـــة . وبفضل الدكتور حامد ومساعية كذلك حضر مستر ايوار الى باريس عدة مرات لمحادثة الرئيس وســـماع آرائه ، وقد نشر للرئيس حـــديثين كاملين غاية فى الاهمية .

٢ ـ ان عددا كبيرا من الاسئلة البرلمانية التى قدمت فى مجلس العموم عن مصر ولصالح مصر كان الدكتور حامد هو الموحى بها ولا ننسى انه صديق حميم لمستر مالون ومستر سبور عضـــوى مجلس العموم ، بل صديق حميم لمستر رامزى ماكدونالد نفسه رئيس حزب العمال وزعيم المعارضه . وبفضـــل الدكتور حامد وحده وحسن علاقاته بهم قد اصبحوا جميعا يعطفون على قضية الاســـتقلال .

٣ـ استطاع الدكتور حامد بجهوده الشخصية أن ينشىء فى لندن ((لجنة)) تسمى ((اللجنة الانجليزية المصرية)) وســـاعده فى تكوينها صديقه الحميم مستر لانجـــدون دافيز وهو صاحب مطبعة مشهورة ومستر رامزى ماكدونالد نفسه ، واللجنة مكونة الآن من عشرين عضـــوا من حـــزب العمال فى البرلمان الانجليزى وبعض كبار الصحفيين امثال لانسبورى وايوار وسكرتير هـــذه اللجنة مستر لانجدون دافيز نفسه صاحب المطبعة الذى تفضل بمساعى الدكتور حامد أن يصدر شهريا نشرة من أربع صفحات عن مصر وقضية مصر ووعود الانجليز بالجلاء ، وما الى ذلك مما يريده الدكتور حامد ويوحى به الرئيس سعد .

٤ ـ ومن هذه النشرة ومن بيانات الدكتور حامد كان أعضاء اللجنـــة الانجليزية المصرية يستمدون نشاطهم ويلقون خطبهم ويقدمون اسئلتهم لخدمة مصر وقضية مصر . من غير الدكتور حامد محمود كان يستطيع أن يحقق كل هذا ؟ لقد أصبحت لمصر فى بريطانيا أقلام تكتب ، وأصوات ترتفع ، وقلوب تعطف ، وجهود تبذل لخير مصر وخير قضيتها ، والقائمون بهذا كله من الانجليز الاحرار انفسهم ، والفضل فى هذا كله للدكتـــور حامد محمود وحـــده .

الم اقل ان الرئيس سعد احسن واصاب بتعيين الدكتور حامد وان فراسة الرئيس وحسن اختياره كانا توفيقا من الله .

لقد نجح الدكتــور حامد فى نشاطه السياسى فى انجلترا اعظم نجاح ولا ارى ان اعضاء الوفد على حق حين يخشون ويتطيرون من هذا النشـاط الذى يجرى من غير علمهم ومن وراء ظهورهم كما يقولون فى شكوى وأنين واحتجاج ..

الدكتور حامد فى المصيدة !

٨ من يناير سنة ١٩٢١

فى المساء بعد العشاء نزلت الى ((كافية فوكيه)) وجلست فى ركن وحدى أفكر فى يومى وامسى ، وبعـــد قليل مر صاحبى محمد على علوبة فرآنى فجاء وجلس معى ثم حضر المكباتى وحمد الباسل فجلسا معنا ، وبهـــذا ضاعت خلوتى ووحدتى وخابت فكرتى . وبعد دقائق معــدودات حضر الدكتـــور حامد محمود ليجلس معى فتلقوه جميعا بالبرود وتلقيته بالحفاوه والابتسام. وقد حاول الدكتور حامد اول الامر أن يسلم ثم ينصرف ولكنهم امسكوه والحوا عليه فى الجلوس فجلس مكرها وهو لا يقوى على المقاومة ، ولعلهم ظنوه فريسة وقعت فى المصيدة .

ساله حمد الباسل : ((ماذا فعلت فى مهمة بلنت وما اخباره الخاصة عن ملنر)) ؟

الدكتور حامد : ((أنا مش فاهم انت بتقول ايه !!)) .

حمد الباسل : ((انت سافرت الى انجلترا اخيرا لمقابلة بلنت)).

حامـــد : ((مش صحيح مين قال لك كده ؟))

المكبـــاتى : ((اننا قرانا خطاب بلنت الى ســعد باشا وفيه يطلب ارسال رسول اليه)) ..

حامـــد : ((روح اسأل سعد باشا ليه أنت تسألنى انا . .))

(هكذا ظل الدكتور حامد يراوغ فى الاجابة الصحيحة الصريحة وظل يتكلم العربية برطانة الانجليزى وكان ظاهر الكذب والارتباك فأشفقت عليه) .

فقلت : ((هل هذه جلسة تحقيق أو لجنة فرعية للوفد تبحث وتنقب ؟))

فقال المكباتي (غاضبا) : ((أنا نوجه سؤالا بسيطا فلا نسمع غير الكذب والانكار)) .

حامـــد : ((اسمحوا لي : ده راجل بيتكلم كلام ناشف . انا عنـــدى ميعاد مع صـــديقتى مدموازيل جاكلين وانا أفضل أن اكون معها)) .

ثم قام الدكتور حامد ودخل قال : وكانت بانتظـاره رفيقته الباريسية الحسناء ، وانفجـــرنا جميعا بالضـــحك من اسلوب الدكتور حامد فى الكلام ومن طريقته فى الانصراف حتى المكبـاتى الذى قال ((هل رأيتم غيظا أكثر من هذا ؟ هل يصح أن يرسل مثل هذا المخلوق الى انجلترا فى مهمة سياسية بدل أن يسافر على ماهر مثلا ؟)) .

ثم أخذ الاعضاء الثلاثة يتحدثون بالتعليق والتنكيت والسخرية لمحاولات الدكتور حامد انكار شىء لا سبيل الى انكاره واخفـاء أمر لا معنى لاخفائه ، وبعد نصف ساعة قام المكباتى ودخل صالون المقهى ثم عاد وقال ((انه ما يزال مع رفيقته)) .

وبعد قليل استأذنت فى الانصراف وانصرفت وفى نفسى اشمئزاز من اسلوب هذا الرجل فى الكلام وخشونته وعدم مراعاته لعواطف الاخرين . لم أشأ أن أرد عليه فالحديث مع مثله لا يفيد بل يضر ولا ينفع وأعمال العقلاء تترفع عن العبث الذى لا خير فيه على الاطلاق ، وهو رجل فيه ميل الى الشراسة ولا يخالجنى شك فى أن الرئيس سيسألنى غدا أن أصف له بدقة ما حـــدث بعد أن يشكو اليه الدكتور حامد مما لقى هذا المساء ، ولا شك عندى فى أنه سيغضب أشد الغضب . وهكذا لا يكاد يتحسن الجو فى الوفد قليلا حتى يعود فيسوء كثيرا ، وكل خطوة الى الامام تعقبها خطوات الى الوراء .

٩ من يناير سنة ١٩٢١ :

قابلت الرئيس صباح اليوم وكان عنده الدكتور حامد محمود فسألنى عما وقع فوصفت له كل ما وقع فانفعل واشتد انفعاله كما انتظرت وقال :

((لست ادرى لماذا لا يسالوننى أنا ، ويسلكون هذا المسلك الكريه انهم يتلفون الاخلاق بعملهم هذا . ان الدكتور حامد مكلف بالكتمان وهم يعلمون ذلك أو يجب أن يعلموه . ياويحهم !! انهم يكتبون الى بالامس القريب خطابا شديدا منفرا ثم يصالحوننى بزيارتى فى مسكنى وهذا منهم اعتذار صامت وغير مباشر ،واليوم يعودون الى اساءاتهم الى ثم يريدون أن نعمل معاً لاصلاح الانقسام فى مصر قوم، متخاصمون يريدون التوفيق بين متخاصمين آخرين أليس هذا من السخرية الا نبدأ باصلاح انفسنا وتقويم اعوجاجنا أولا)) .

وهنا دخل على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا ، فقص عليهم الرئيس ما حدث أمس مع الدكتور حامد ، فلم يتأثروا ولم يظهروا استياء بل ضحكوا واعتبروا المسألة فكاهة لا تستحق غضبا ولا كدرا .

وفى اثناء الشاى قال لى الرئيس فى شىء من الكمد : ((لعل أكبر ما يكدرنى الآن ضعف أملى فى نجاح شيعتى وفقدان ثقتى فى كثيرين منهم لقد ألم بنفوسهم هزال شديد وخصومى كثيرو العدد وسيجدون دائما انصارا من الطامعين فى المناصب من ضعاف القلوب وهم كثيرون)) .

فقلت : ((يا سيدى : ما عددهم ؟ مهما يبلغ عددهم فلن يكونوا شيئا يستحق الذكر اذا قورنوا بالملايين التى تلتف حولك وتنصرك ويفعل اسمك فيهم فعل السحر ، أن الانبياء انفسهم لم ينجوا من عناد المكابرين ودسائس المارقين وكيد الخائنين وتخاذل المستضعفين)) . فرحب الرئيس بهذا الكلام الذى هو فى نظرى من البديهيات ومع ذلك وجد طريقه الى نفس الرئيس فأراحها والى عقله فأرضاه .

الدكتور حامد يفحم المكباتى

٩ من يناير سنة ١٩٢١ :

ذهبت هذا الصباح كالعادة الى مكتبى فى مقر الوفد لاتصفح الجرائد والمجلات الانجلزية وحضر حمد الباسل ومحمد على علوبة ومحمد محمود ولطفى السيد والمكباتى ثم عبد العزيز فهمى وكأنهم على ميعاد ، ولم يحضر أنصار الرئيس سعد (على ماهر

وواصف غالي وسينوت حنا) ، وبعد قليل خرج حمد الباسل من قاعة الجلسة وزارنى فى مكتبى وكان معى الدكتـــور حامد محمود فسلم على وسألنى عن أخبار مصر فى الجرائد الانجليزية، ثم رمق الدكتور حامد بنظرة شذراء وجره معه الى الاعضـــاء داخـــل قاعة الجلسة ، وحامد لا يسأل ولا يقاوم ولا يعارض ولا يستفسر عما يريده منه حمد الباسل ، بل سار الى جانبه فى وداعه محببه واستسلام غريب . كالحمل الوديع ، فلما استقر مجلسه دقيقة واحدة بين الاعضاء فتحت باب القـــاعة ودخلت لاشهد ما يعملون وكأنى خشيت أن يفتكوا بالدكتـــور حامد أو كأنى شعرت بأن الدكتور حامد عاجز عن الدفاع عن نفسه. لست أدرى ! وانما بحركة آلية ومن غير تفكير رايت أن أشهد ما يجرى مع أن احدا لم يطلب الى الحضور. . هكذا تصرفت. وهكذا اقحمت نفسى بالدخول والجلوس ، فلمحنى الدكتـــور حامد وابتسم وقال : بالانجليزية ((هالو كامل)) ، فضج الحاضرون جميعـــا بالضحك .. ألم اقل أن الدكتـــور حامد آية فى خفـــة الروح والتظاهر بالسذاجة التى تجرد الخصم من سلاحه ؟

بدا الكلام محمد محمود باشا فسال الدكتور حامد عن مهمته الاخيرة فى انجلترا وعن مقابلته لمستر بلنت وعن خطاب ملنر اليه وعن نشاط الدكتور السياسى فى الفترة الاخيرة فى انجلترا ،

فاجاب الدكتـــور حامد بكل صدق وصراحة وقال كل شىء وذلك لان الرئيس سمح له بذلك اذ لا فائدة من الكتمان الآن .

فقال المكباتى : ولماذا انكرت أمس فى المقهى حين سالناك ؟

حامد : لان المقهى ليس مكانا للكلام فى الســـياسة . وانا لم انزل الى المقهى لاضاعة الوقت فى الكلام معك بل كنت على موعد يهمنى كثيرا . (ضحك من الجميع) .

ثم قال الدكتور حامد فى شىء من الجـــد : اجبنى أنت على سؤال اوجهه اليك :

لماذا لم تذهب الى الرئيس وتساله عمـــا تريد وفضلت أن تسالنى انا ، وانت تعلم انى مكلف بالكتمان ؟))

المكباتى : ((ولماذا هذا الكتمان اذا كانت اعمالكم بريئة ومفيدة للبلاد ؟)) .

حامد : ((انت لم تجب على سؤالى ، بل وجهت الى سؤالا آخر ، اجبنى اولا على سؤالى وانا اجيبك بعد ذلك على سؤالك)) . (ضحك من الجميع) .

المكباتى : ((سنسأل ســـعد باشا يقينا حين نقابله ، ولكننا رأيناك أمس فاستعجلنا معرفة الحقائق)) .

حامد : ((لا تستعجل مرة أخرى ، وخذ الاخبار من اصحابها لا من الجيران)) . (ضحك من الجميع) .

المكباتى : ((لقد اجبتك على سؤالك اذن اجنبى على سؤالى))

حامد : ((وما هو سؤالك ، انى نسيته)) .

المكباتى : لماذا تعمدت الكتمان والانكار امس اذا كانت أعمالكم بريئة ومفيدة للبلاد ؟)) .

حامد : اننى اطلعتكم الان على كل التفصيلات وعلى كل اعمالى فى انجلترا ، هل ترى أنها بريئة ومفيدة للبلاد ؟ او انها اجرامية وضارة بالبـــلاد ؟ (ضحك من الجميع) .

المكباتى : ((انه يتكلم كثيرا ، لماذا كان الكتمان امس ؟))

حامد : ((صحيح انى اتكلم كثيرا ، ولكن أنت تتكلم أكثر منى ومن كل الاعضاء)) (ضحك من الجميع)

ثم قال **حامد** : ليه كده انت عايز تضايقنى وتزعلنى ، (ضحك من الجميـــع) الرئيس كلفنى بعمل قمت به ، روح اسأله هو مش أنا . .

المكباتى : ((ولماذا اذن تكلمت اليوم وذكرت كل التفصيلات)) .

حامـــد : لان الذى سألنى هو محمد محمود باشا وانا احبه، وسألنى فى حضور أعضاء الوفـــد وفى مقر الوفد لا فى مقهى عام ((ولا فى الليل)) ، وأنا تكلمت بدل الرئيس علشان أريحه فلا يتعب فى ذكر كل هذه التفصيلات أمامكم مرة ثانية . هل عندك أسئلة كمان تحب تسألنى وتزعلنى ، والا بزيادة كده ؟ (ضحك من الجميع) .

هـــكذا انتهت الجلسة التى ترأسها الدكتور حامد محمود ،

وهكذا تحول الحمل الوديع الى أسد بديع ، وفتك بالنمر المريع !!
وصدق من قال ((يضع سره فى أضعف خلقه)) .

خرج حامد من الاجتماع وخرجت معه وهنأته من أعماق قلبى على شجاعته وصراحته وعلى مقدرته الفائقة فى الاقناع ، مقدرة جاوزت الاقناع الى الافحام ، ثم ذهبنا معـــا لمقابلة الرئيس فى مسكنه .. ولما دخلنا عليه قال له الدكتور حامد : ((يا باشا أنا قتلت المكباتى)) فقفز سعد من مقعده صارخا : هل مات ؟؟ فقلت مفندا ((مات أدبيا)) وطلب منى أن أروى له ما حدث فرويته كما سجلته آنفا . فاغتبط الرئيس أولا كل الاغتباط . ثم تجهم وجهه وقال ((اذن لن أتكلم معهم فى هذا الموضوع بعد الآن)) . وشعرت بالغيظ يملأ صدره ويظهر فى عينيه لان الاعضاء أجروا هـــذا التحقيق والتدقيق فى سؤال حامد ومناقشته ومحاسبته من وراء ظهره ومن غير انتظار لسماع بياناته فى هذا الموضوع .

لو استقبلوا من الامر ما استدبروا

١٠ يناير سنة ١٩٢١

١ ـ أهم ما لفت نظرى فى خطاب ملنر الى مستر بلنت رجاؤه اليه فى أن يستخدم ثقة الرئيس فيه ليقنعه بأن طلبه الغاء الحمـــاية البريطانية قبل المفاوضات الرسمية واعتباره ذلك شرطا لموافقته على المفاوضات الرسمية من شأنه أن يسقط مشروع ملنر كله . وأن يؤكد لزغلول باشا بأن الامل غير معدوم فى نجـــاح المفاوضـــات الرسمية وتحقيق آمال المصريين القومية .

٢ ـ وأهم ما لفت نظرى فى حديث بلنت مع الدكتور حامد ـ هو الحديث الذى نقله حامد الى الرئيس سعد ـ هو استجابته لهذا الرجاء ، ثم دعوة بالعمل وبذل كل مجهود من جانبه لالغاء الحماية البريطانية . ذلك الالغاء الذى لابد منه اذا أريد الاســـتقرار للحالة ، وتحسين العلاقات البريطانية ووضعها على أساس سليم .

٣ ـ وأهم ما لفت نظرى فى جلسة أعضاء الاغلبية التى تكلم فيها الدكتور حامد أمس ارتياحهم العظيم لما ورد فى خطاب ملنر الى بلنت ، وما ورد فى حديث بلنت مع الدكتور حامد محمود .

٤ ـ وخيل الى أن أعضاء الاغلبية قد أصبحوا الآن فى مركز أقوى مما مضى فى يدهم الآن حجة جديدة من ملنر وبلنت صديق مصر

تحملهم على التفاؤل بالمفاوضات الرسمية وتأييد الدخول فيها من جانب عدلى حتى قبل قبول التحفظات ، ولا سيما النص على الغـــاء الحماية الذى يتشبث به الرئيس ويعلق عليه أكبر الاهمية .

٥ ــ ويخيل الى أنهم مغتبطون الآن أشد الاغتباط بمراســـلات الرئيس مع ملنر وبلنت ، وبارساله الدكتور حامد محمود لمقابلة بلنت بعد أن كانوا مستائين لذلك أشد الاستياء .

والخلاصة أنى أشعر فى ضوء النتائج التى ظهرت فيما بعد بأن خطاب أعضاء الاغلبيةالذى أرسلوه الىالرئيس بالشكوى منمسائل معينة ثم ختموه بالتهديد والانذار كان فى غير موضعه ولا مبرر له على الاطلاق ، ولو علموا او لو استقبلوا من الامر ما استدبروا لكان خطابهم هذا شيئا آخر على خط مستقيم ، اذ كان يجب أن يشتمل على الاشارة بهذه المسائل المعينة وأن يختموه بالشكر والثناء .

بداية النهاية

١١ يناير سنة ١٩٢١ :

١ ــ نشرت الجرائد الانجليزية أن لورد ملنر سيستقيل قريبا ومدحته كثيرا كل الجرائد وأثنت عليه ثناء عاطرا ، ويرى الرئيس سعد أن هذه قد تكون مناورة انجليزية للتأكد من المصريين واكتشاف حقيقة شعورهم ازاء ملنر ومشروع ملنر ومبلغ تمسكهم بالتحفظات ، ويرى بقية أعضاء الوفد أن ملنر رجل لا يمكن لبريطانيا الاستغناء عنه فى الظروف الحاضرة ، وأنه فى الغـــالب سيكون على رأس المفاوضين البريطانيين فى المفاوضات الرسمية القادمة ((وكل يغنى على ليلاه)) .

٢ ــ وصل أمس الى باريس عبد الملك حمزه واسماعيل لبيب وهما من رجال الحزب الوطنى وقد حضرا من مصر فى مهمة سياسية على ما يظهر اذ يريدان أن يطلعا الوفد على الحالة الحاضرةفى مصر وبيان مدى الانقسام الخطير فى صفوف الامة وفى الرأى العام المصرى وذلك لكى يعمل الوفد على تلافيه ، ومعهما خطابات على جانب عظيم من الاهمية الاول من مصطفى النحاس والثانى من عدلى باشا والثالث من ابراهيم سعيد باشا يعبر فيه عن رأيه الخاص ورأى اللجنـــة المركزية للوفد عامة .

٣ ـ ومن طريف المصادفات أن بريد اليوم قد حمل الى الرئيس طائفة من الرسائل تتحدث كلها عن مسألة انقسام الامة وانقسام الوفد واخطار ذلك ، والتوسل الى ضم الشمل وازالة الانقسام وكل أسبابه محافظة على وحدة الامة وسلامة قضيتها • أخص بالذكر من هذه الرسائل ما يأتى :

خطاب من أمين الرافعى ، وخمسة خطابات من أعضاء فى الجمعية التشريعية ، وثلاثة خطابات من جورج خياط ومحمد محفوظ باشا وحسين هلال بك المحامى ، وعريضة موقع عليها من ٣٥ من أعيان البلاد من الوجهين البحرى والقبلى يرجون فيها الاكتفاء بما هو معروض الآن على الوفد ، ويلحون فى ضرورة الاسراع بالموافقة على تاليف وزارة تطمئن اليها الامة وتمهد الطريق للمفاوضات الرسمية•

هذه الرسائل وقعت فى نفس الرئيس أسوأ وقع ، وطلب الى أن أجمعها وأضعها فى مظروف خاص أكتب عليه ((رسائل من دعاة التردد والهزيمة)) أو أكتفى بعبارة موجزة وهى ((مثبطات للهم))•

٤ ـ فى الساعة الحادية عشرة صباحا حضر الزائران (عبدالملك حمزة واسماعيل لبيب) الى مقر الوفد بشارع مارييف ، وقابلا أعضاء الوفد وتصادف أنهم كانوا جميعا مجتمعين ما عدا واصف غالى ، وشرحا لاعضاء الوفد حالة البلاد السيئة فى الفرقة والانقسام وتبلبل الافكار وحيرة الناس فيما يسمعون وفيما يصدقون ، وقد وجدا من الاعضاء آذانا صاغية وقلوبا واعية،بل لعلهما زادا أعضاء الاغلبية حجة جديدة قوية يقيمونها فى وجه الرئيس سعد في جلسة الغد •

٥ ـ وفى المساء حضرا الى فندق الكونتننتال وقابلا الرئيس سعد وقضيا معه ساعة كاملة ، ولم يشأ الرئيس أن يناقشهما أو يحاول اقناعهما ، بل اكتفى ببضعة أسئلة وجهها اليهما ليستنير بالاجابة ويستعد بها لجلسة الغد كذلك •

٦ ـ أليس من المصادفات العجيبة أن يحدث كل هذا فى اليوم السابق لجلسة الوفد المخصصة لمناقشة مسألة ((انقسام الامة وطريقة علاج هذا الانقسام)) ؟؟!!

الجلسة الاخيرة الحاسمة

١٢ يناير سنة ١٩٢١ :

تصور الحالة النفسية :

أكاد أميل الى الاعتقاد بأنه لولا انتظار ظهور تقرير ملنر لما ظل أعضاء الوفد متماسكين فى هيئة واحدة حتى اليوم ، ذلك لان كثيرين منهم يريدون العـــودة الى مصر ويرون ان البقاء فى باريس عبث لا طائل تحته • ومضـــيعة للوقت والمال ، وتغرير للناس بجلب الآمال •

وملنر قد رفع تقرير لجنته الى حكومته فى ١٠ من ديسمبر كما نشرت جريدة التيمس ذلك فى الشهر الماضي والتقرير يترجم فى مصر الى العربية هذه الايام حتى اذا تمت الترجمة نشر فى مصر وفى لندن فى يوم واحد فالكلمة الآن للمترجمين فى مصر •

ومع أن النشر قد أصبح منتظرا بين وقت وآخر فان الاعضاء قد نفدصبرهم .. وأصبحوا لا يطيقون الانتظار وهم يريدون العودة ولكن بعد محاولة يائسة أخيرة عسى أن تنتج هـذه المحاولة بعض الخير ، وهو تلافي انقسام الامة بشكل من الاشكال وهذه المحاولة ستكون فى جلسة اليوم •

هذه كانت خواطرى وأنا أسير صباح اليوم من مسكنى الى مكتبى وشعرت بأن كل فريق فى الوفد يشكو من الانقسام ويطمع فى الاتحاد والوئام ويخشى الشماتة وظهور الخصام ، اذن لابد من الكلام واستمرار الكلام ثم العودة الى تكرار الكلام ، ولا ملل من الكلام ولا يأس من عبث الكلام ، فعسى الله أن يحدث بعد ذلك أمرا •

كنت أول من وصل الى مقر الوفد فأشرفت على اعداد قاعة الجلسة مع صديقى الدكتور محمد صبرى السوربونى ، ثم توافد الاعضـــاء وهم متهجمون عابسون الا حمد الباسل وسينوت حنا فهما باسمان مشرقان ، دخل حمد الباسل قاعة الجلسة وكأنه داخل الى حجرة الطعام ، وكذلك كان صاحبه الرشيق الهندام، ودخل عبد العزيز فهمى قاعة الجلسة وكأنه داخل قاعة محكمة للمرافعة فى جريمة قتل عقوبتها الاعدام ، ودخل محمد على علوبة كمن يحمل بين يديه

سندات الادانة وصواعق الحجج وقوارص الكلام ، ودخل الرئيس سعد وعلى وجهه ملامح الاسد ونظراته وكانه داخل لمصارعة الثيران، ودخل المكباتى منتفخ الوجه مفتول العضلات كأنه ملاكم أو مصارع أو كبير الثيران ، ودخل الفيلسوفان لطفى السيد وواصف غالى وكلاهما مهموم كمن يفكر فى حضارة الدنيا وسخافة الانسان ، ودخل الصاحبان محمد محمود وعلى ماهر وكلاهما مغموم كمن يخشى معركة فيها ضرب وطعن ونيران .

فى جو الجلسة رهبة ورغبة وأمل ويأس وعواطف مكبوتة مخنوقة مكتومة مستورة ولكنها معروفة كأنها منشورة غير مقبورة .

فى جو الجلسة توتر وحذر وهذه هى الخلاصة بكل ايجاز فى التصوير .

وفى هذا الجو عقدت آخر جلسة للوفد فى باريس .

عقدت فى الساعة العاشرة والنصف صباحا وانتهت فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

قال الرئيس سعد :

((ان جدول اعمال هذه الجلسة يشتمل على مسالة واحدة هى مسالة ((انقسام)) ، انقسام الوفد على نفسه ، وانقسام الامة ، أما مسألة انقسام الوفد فالكلام فيها معاد وعبث لا طائل تحته . وأما مسالة انقسام الامة فقد شاء بعضكم أن يلقى تبعتها على كاهلى وحدى وهى التهمة الوحيدة فى خطابهم الباقية من غير تفنيد ، ولكنها أوهى التهم جميعا لانها باطلة ظاهرة البطلان ولا تحتاج الى كبير عناء لدحضها وتفنيدها . ان الذى يتمسك بمبدأ الاستقلال ويسعى جاهدا فى خدمته وفى سبيل تحقيقه تنفيذا لتوكيل الامة للوفد ، لا يمكن أن ينسب اليه اتهام بتقسيم الامة .

هذه التهمة الخطيرة انما تلبس كل من يحيد عن مبدأ الاستقلال أو لا يؤمن بفكرة الاستقلال أو لا يعتقد بامكان الحصول على الاستقلال ثم يحاول التغرير بالامة على أن تقبل ما هو دون الاستقلال فيستميل اليه فريقا من أبنائها المستضعفين والهازلين والطامعين فى المناصب والمستعجلين لكسب المغانم ، والذين ليس لهم جلد على الجهاد وعلى ملاقاة الصعاب فى خدمة قضية الاستقلال ، وقد ظهر

هذا الفريق فى الامة بفضل صاحبكم عدلى ومساعيه الظاهرة والخفية، وفي الوفد فريق من الاعضـــاء يؤازرون عدلى • ويتمتعون بعطفه وتشجيعه ويلحنون لحنه ويتجهون اتجاهه ويهدفون الى غايته ، ثم وجد هذا الفريق الجرأة على اتهامى وتحدى بتقسيم الامة وسجلوا ذلك فى خطاب أرسلوه الى)) •

ثم قال الرئيس ساخرا : ما أصدق المثــل العربى ((رمتنى بدائها وانسلت)) •

عبد العزيز فهمى :

((أرجو أن يتسع صدر الرئيس لنشرح له الموقف كما نراه وكما هو فى الواقع واضعا للامور فى نصابها ، ولنحدد الحقائق التى نتفق عليها والحقائق التى نختلف عليها ، ولا حاجة بنا الى الكلمــات الغاضبة والانفعال العقيم ، نتكلم أولا عن الوفد وانقسامه •

كلنـــا نعرف ونعترف ان الوفد قد انقسم على نفسه عدة مرات فى الماضى •

الاول : عند مناقشة مسألة ، هل يفاوض الوفد لجنة ملنر أو لا يفاوض •

والثانية : عند مناقشة مسألة ، هل ينتقل الوفد الى لندن بعضه أو كله •

والثالثة : عند مناقشة مسألة ، هل تقطع المفاوضات أو لا تقطع عند تسلمنا مشروع ملنر •

والرابعة : عند مناقشة مسألة ، هل أسفرت استشارة الامة عن رغبات أو تحفظات •

((هذه كانت أهم دواعى الانقسام فيما مضى ، وانى أعلن الآن بكل صراحة وتأكيد أنها زالت جميعا بسلام وانتهت على خير وجه ، وأصبح الوفد متحدا الآن كما كان يوم تأليفه)) .

الوفد متحد وموافق بالاجماع على الحقائق الآتية :

١ ـ أن مشروع ملنر وحده لا يحقق الاستقلال فلا يمكن قبوله بوضعه الراهن •

٢ ـ ضرورة قبول التحفظات كلها وهى ليست مجرد رغبات يكتفى بتحقيق ما يمكن تحقيقه منها .

٣ ـ عدم دخول الوفد في المفاوضات الرسمية المقبلة أو حتى الاشتراك فيها ما لم يقبل الجانب البريطانى تعديل مشروعه على أساس هذه التحفظات وفى طليعتها النص الصريح على الغاءالحماية.

٤ ـ الحرص على التوكيل الذى حدد مهمة الوفد، اى السعى لتحقيق استقلال البلاد استقلالا تاما .

٥ ـ زوال سوء التفاهم الاخير بين الاغلبية والرئيس بسبب ما اعتبرته الاغلبية ((سياسة انفرادية)) جديدة يجرى عليها الرئيس ، وبهذا زال آخر خلاف وآخر انقسام فى الرأى بفضل بيانات الرئيس فى الجلسة الماضية .

فكيف يقول الرئيس بعد هذا كله ان انقسام الوفد مسالة الكلام فيها معاد وعبث لا طائل تحته ؟

الخلاف فى الراى والانقسام فى الجماعة شىء طبيعى تستلزمه حرية المناقشات وحرية الرأى وحرية الاعتقاد فيما يراه الفرد خيرا للبلاد ولمصالحها العليا .

وزوال الخلاف وزوال الانقسام فى الجماعات شىء طبيعى مادام الافراد لا يهدفون الى غير مصلحة البلاد العليا .

والخلاصة أنه لا يوجد انقسام فى الوفد الآن ، لانه لا يوجد أقل خلاف على غاية أو مبدأ ولا على خطة للوفد أو وسيلة لتحقيق أغراضه ، وليس لاحد أن يشكو مما مضى من خلاف أو انقسام ، فما فات مات ولنا الساعة التى نحن فيها .

واما الخلاف الوحيد الباقى فليس هنا وانما هو فى مصر ، والانقسام الوحيد الباقى فليس هنا وانما هو فى الامة المصرية نفسها . وهذا هو ما يشغل بالنا الآن ويقض مضاجعنا ، ولا بد للوفد من عمل حاسم يقوم به لوضع حد لهذا الانقسام واعادة الاتحاد بين صفوف المصريين)) .

سعد :

وما سبب هذا الانقسام فى الامة وما علاجه فى رايك ؟

عبد العزيز فهمى :

فريق من أبنـــاء مصر يرون ضرورة الاسراع في الدخـول فى مفاوضات رسمية مع الانجليز بعد تغيير الوزارة المصرية الحاضرة التى ترهق الشعب بالمظالم وتقتل الحريات وتخضع للانجليز خضوعا اعمى فيه اذلال للشعب وتضييع للحقوق الخاصه والعامه ٠

ثم فريق آخر من أبناء مصر يرون ضرورة التريث حتى يقبل الانجليز أولا التحفظات ، ولكل فريق حججه التى يتحجج بها ، والشعب موزع بين الفريقين وفى حيرة من أمره ٠

ســـــعد :

((وأى الفريقين تؤيد ؟

عبد العزيز فهمى :

انا اؤيد الفريق الاول ٠

ســـــعد :

انا اؤيد الفريق الثانى ، وهكذا عاد الانقسام الى الوفـــد مرة اخرى ٠

محمد على علوبة :

((ليس هذا انقساما وانما هو مجرد خلاف فى الموازنة والمعارضة، مقارنة بين الفوائد والاضرار ، وبين المزايا والخسائر ٠ وكما زال كل خلاف فيما مضى سيزول هذا الخلاف كذلك ان شاء الله باعادة الوحدة الى صفوف الامة كما عادت الوحدة الى صفوف الوفد))٠

ســـــعد :

وما هو الاقتراح العملى الذى تقدمونه لتحقيق هـــذه الغـــاية السامية ؟ ٠

عبد العزيز فهمى :

((ان يستنكر الوفد فى بيان قوى صريح بقاء وزارة توفيق نسيم فى الحكم وتصرفاتها الغاشمة فى حكم البلاد ٠ وأن يطالب بقيام

وزارة تكون موضع ثقة البلاد واطمئنانها . وترعى مصالح الاهالى وحرياتهم وحقوقهم ، وتمهد الطريق لاجراء مفاوضات رسمية بعد التفاهم والتعاون مع الوفد فى خدمة قضية الاستقلال . ان بيانا يوضع وينشر على أساس هذه الخطوط العريضة ، من شأنه أن ينقى الجو وينهى حالة التوتر والحيرة والبلبلة والانقسام ، ويعيد الى الامة الوحدة والسلام والوئام .

ســــعد :

((لو أن المسألة كانت مقصورة على بيان ينطوى على مجرد استنكار وزارة قائمة ظالمة كريهة ، والمطالبة بالخلاص منها ومن تصرفاتها واجلائها عن الحكم واحلال وزارة أخرى مكانها ترعى الحقوق وتحترم الحريات وتحكم بالعدل والانصاف ، لما ترددت لحظة واحدة فى الموافقة على اصدار بيان بهذا كله ، رحمة بالبلاد وبالعباد ، ولكن للمسألة ناحية أخرى ليست بسيطة ولكنها خطيرة وسيكون لها آثار بعيدة المدى على قضية الاستقلال)) .

المكباتى :

((وما هى هذه الناحية التى تخشاها ؟)) .

ســــعد :

((ان الهدف الذى ترمون اليه هو التمهيد لقيام عدلى بتأليف هذه الوزارة الجديدة ، وليس فى مصر كلها ولا فى بريطانيا نفسها من يرى غيره رئيسا للوزارة المقبلة ، فالجميع يعرفون هذا تمام المعرفة ، وأرى أن اصدار بيان على الاسس التى تقترحونها معناه فى الحقيقة والواقع اعلان الثقة بعدلى بطريق غير مباشر ومن غير حاجة الى ذكر اسمه ، وقيام عدلى برياسة الوزارة معناه فى الحقيقة والواقع توليه أمر المفاوضات الرسمية بغير الشروط والقيود التى وضعها الوفد لضمان صلاحية هذه المفاوضات .

وأنكم لتعلمون كما أعلم ، أن عدلى راض عن مشروع ملنر وغير راض عن التحفظات ، ثم هو لا يؤمن بقضية الاستقلال ولا بامكان الحصول على الاستقلال ، فترك الامور بين يديه مع تاييدنا له واعلان الثقة به بطريق غير مباشر فيه خطر شديد على قضية الاستقلال وعلى

مكانة الوفد وسمعته ، ولا عذر لنا فى ارتكاب اخطاء خطيرة كهذه ونحن نعلم سلفا كل ما سيصدر منه وينجم عنه وما سيكون . فهل هذا يرضى ضمائركم ؟)) .

انى اسالكم بكل اخلاص وادعوكم الى التامل والتـدبر بهدوء فيما أقول)) .

عبد العزيز فهمى :

((ما دمت قد لجأت الى ضمائرنا بالسؤال، فها هى ضمائرنا تتولى الجواب وتعلن فى صراحة واخلاص أن عدلى خير مصرى يمكن أن يتولى الوزارة فى هذه المرحلة التى تجتازها البلاد وقضية الاستقلال ، وذلك للاسباب أو الاعتبارات الآتية :

١ ـ أن عدلى رجل شريف ونظيف ولن يحكم البلاد بالظلم والاعنات والجبروت ولن يخضع للانجليز فى سياستهم القائمة على السلب واذلال أهل البلاد ونشر الرعب والارهاب فى كل مكان .

٢ ـ ان عدلى بشخصيته وأعماله وتعاونه مع الوفد هذه المدة الطويلة قد أصبح موضع احترام وثقة من المصريين والانجليز على السواء .

٣ ـ ان عدلى أكثر فهما لقضية البلاد من كثيرين بل من جميع المصريين الذين يصلحون لرياسة الوزارة فى الوقت الحاضر ، ولا أعرف أحدا فى مصر الآن مثله أو يدانيه فى حسن السياسة وحسن الاسلوب وفهم ظروف المفاوضات كلها .

٤ ـ ان عدلى لن يقبل مشروع ملنر الآن بعد أن علم علم اليقين أن الوفد بالاجماع لا يقبله الا بالتحفظات ، ومحال على مثل عدلى باشا أن يتحدى الوفد ورئيس الوفد والامة المصرية فيقبل ما دون الاستقلال كما يفعل غيره لو كان رئيســا للوزارة فى الظروف الحاضرة .

٥ ـ ان عدلى أقدر من غيره على اغراء الانجليز على التساهل ، والانجليز أميل الى التساهل معه لاعجابهم به وتقديرهم له .

٦ ـ ان ما بيننا وبين عدلى من صداقات وصلات كفيل باستمرار التعاون بيننا وبينه .

وانى أستطيع يا سيدى الرئيس أن أسرد مزيدا من الاسباب والاعتبارات التى ترجح كفة عدلى على غيره ، ولكنى أكتفى بما قلت فلعل فيه بعض الاقناع)) .

سـعد :

((اذا صح أن لعدلى كل هذه الحظوة لدى الانجليز، وانه اقدر من غيره على حمل الانجليز على التساهل معه وأن الانجليز أكثر ميلا الى التساهل معه لحسن أسلوبه الذى أثار اعجابهم واعجابكم ، فلماذا لا يدلى بحديث فى الجرائد يشير فيه الى أن من رأيه أن تجرى المفاوضات الرسمية على أساس مشروع ملنر بعد تعديله بالتحفظات ؟ .. انه اذا صرح بذلك فانى أعلن فورا تأييدى لعدلى صراحة ، بل أعلن أكثر من ذلك وهو أنى لا أرى حاجة لاشتراكى أو لاشتراك الوفد فى هذه المفاوضات الرسمية . فهل هو مستعد لان يدلى بحديث كهذا ؟

اما اذا ظل مشروع ملنر لم يعدل بالتحفظات ، أو اذا لم يعد من الآن بأنه سوف يعدل على أساسها ، فانى أشعر بأنى أخدع الامة وأغرر بها حين أضع ثقتى فى من يتقدم للدخول فى المفاوضات الرسمية بغير شرط أو قيد)) .

محمد على علوبة :

((ان الوفد سبق أن قرر أنه لا يدخل فى أية مفاوضات رسمية أو يشترك فيها ما لم تقبل تحفظات الامة وفى طليعتها النص على الغاء الحماية .

ولكن الوفد لم يقرر قط أنه سيعاكس ويحارب كل من يدخل فيها من المصريين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أرى أن الوفد مقيد بتوكيله وهو السعى للحصول على الاستقلال التام ، وقد وضع شروطا وقيودا لاشتراكه فى المفاوضات الرسمية ولكن ليس معنى هذا ولا من مستلزماته أن يحارب الوفد كل مصرى يعمل ويسعى للحصول على الاستقلال بطريقته الخاصة ومن غير أن يلتزم بشروط أو قيود ، وليس للوفد فيما أعتقد أن يلزم غيره بقبول شروطه وقيوده . وليس من المعقول أن يعرقل الوفد مساعى من يريد العمل لخير البلاد فى حدود الممكن وطبقا لآرائه ومعتقداته)) .

سـعـد :

((انا لا أفهم مطلقا كيف يمكن للوفد أن يجرى على سياستين متناقضتين كل التناقض متباينتين كل التباين :

الاولى : سياسته الخاصة التى تقوم على أساس رفضه للمفاوضة الرسمية الا بشروط .

الثانية : سياسته ازاء عدلى وتأييده للقيام بالمفاوضة الرسمية من غير شروط .

ان العقل والواجب والمصلحة كلها تقضى بضرورة اتباع السياسة التى هى أنفع وأصلح وأحكم ، فاذا كانت خطة عدلى وسياسته خيرا من خطة الوفد وسياسته ، فلماذا لا يدخل الوفد التعديل اللازم على سياسته وخطته حتى يتم التلاؤم والتوافق ويمتنع التباين والتناقض ؟)) .

المكباتى :

((ان الوفد يجب أن يتمسك بسياسته وخطته محافظة على ((الايدبال)) .

احمد لطفى السيد :

((ما الضرر من الدخول فى المفاوضات الرسمية بواسطة هيئة أخرى غير الوفد ؟ ان الوفد يشترط شروطا معينة لقبول هذه المفاوضات ودخوله فيها منفردا أو بالاشتراك مع غيره ، وهذه الشروط غير مقبولة الآن من الجانب الانجليزى ، ونحن نعلم أن السياسى يعز عليه أن يرتبط بشىء ما مقدما ، فما هو الضرر من ترك مسألة التحفظات الى المفاوضات الرسمية نفسها بدل التشبث بضرورة قبولها قبل هذه المفاوضات ؟

نحن نعلم أن ملنر قال انه لا يمكن رفض أية مسألة أو أى طلب لا ينطبق على روح المشروع ، وفى المشروع استقلال ، والاستقلال لا يوجد مع الحماية ، وقد فهمت الامة من المشروع سقوط الحماية . بهذا كله يستطيع المفاوض المصرى الرسمى أن يورط الانجليز ويحملهم على القبول)) .

سـعـد :

((ان كلام الاستاذ لطفى السيد لا يعتبر ردا على ملاحظاتى .

لقد قلت انه من السخافة أن يجرى الوفد على سياستين مختلفتين متناقضتين ، يقبل المفاوضة بشروط ، ويبيحها لعدلى بغير شروط . ان هذا الاختلاف وهذا التناقض لا يستسيغهما العقل .

أما كلام لطفى بك فلا يخرج عن مجرد التساؤل .

وما هو الضرر من اتباع سياستين مختلفتين متناقضتين ؟ .

والجواب على ذلك واضح كل الوضوح لا يحتاج الى شرح او بيان ولا الى تعليق وتعقيب)) .

عبد العزيز فهمى :

أنت وحدك الذى وضعت هذه الشروط وهذه القيود ، والوفد وافق عليها فى النهاية . وما ذلك الا رغبة من الاغلبية في تأييدك ومحافظة على وحدة الوفد ، ودرأ للانقسام ولم تكن موافقة الاغلبية عن اقتنـــاع أكيد وعقيدة جارفة بضرورتها وصوابها ، وما دمت لا تريد العدول عنها فلا مندوحة من وجود سياستين مختلفتين ولا ضرر من ذلك كما أبان صديقى لطفى السيد .

أما اذا كان قصدك بالعدول عن احدى السياستين هو اتباع سياستك وحدها وقبول عدلى لشروطك وقيودك مع علمه بأن الجانب البريطانى يرفض حتى مجرد النظر فيها قبل المفاوضات ولا يرى مانعا من مناقشتها فى أثناء المفاوضات ، فهذا هو الذى نعتبره غير مقبول ولا نرى فيه أية مصلحة ، بل المصـــــلحة فى اتباع السياستين فى وقت معا وهناك حجج وجيهة تؤيد كلتا السياستين وتسوغ وجودهما جنبا الى جنب)) .

ســــعد :

((الان أنتم تستسيغون هذا المنطق العجيب وهـــذا الموقف المريب !!

الوفد يضع لنفسه شروطا وقيودا يلتزم بها وبتنفيذها بالنسبة للمفاوضات الرسمية ، ثم هو فى الوقت نفسه يخلى لعدلى الميدان بلا شرط أو قيد بالنسبة للمفاوضات الرسمية .

أو بعبارة اخرى : الوفد لا يثق بنفسه فيحتاط ويتحفظ ولكنه يثق بعدلى ويؤيده من غير احتياط أو تحفظ .

الوفد يتخلى عن مهمته الاساسية وواجبه الاول في معالجة قضية الاستقلال وخدمة البلاد ، ثم يخلع هذه المهمة وهذا الواجب على عدلى يفعل بالقضية ما يشاء .

الوفد يقصى نفسه عامدا متعمدا عن ميدان الجهاد والسياسة والمفاوضة ويقف متفرجا ثم يترك عدلى يلعب فى الميدان مؤيدا بثقة المتفرجين من رجال الوفد المسئولين .

أمقبول هذا ؟ أمعقول هذا ؟ هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول ؟)) .

وهنا سكت الرئيس .. وهنا اضطربت الجلسة وأخذ جوها يتكهرب فتجهمت الوجوه وتوترت الاعصاب وتحفزت الالسنة للكلام، كما تتحفز الاسنة للصدام . ولكن الله أوحى الى عبده حمد الباسل أن يقترح رفع الجلسة لينقذ الموقف من الانفجار لا سـيما أنها جاوزت الساعتين أو كادت اذ بلغت الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

ووافق الرئيس فورا وانتفض قائما بعد أن رفع الجلسة .

ووقف الاعضاء وبدأ الانصراف بعد سلام ليس فيه سلام .

وتفرق الاعضاء وفى النفوس ما فيها من خيبة أمل وجفاء وكمد وخصام .

انى أشعر أن جلسة الامس كانت جلسة قوية غاية القوة تصارعت فيها الحجج وتصـارعت فيها العقول وتصـارعت فيها العواطف وتبارزت فيها الشخصيات بعد أن عبئت لها القوات وتمت فيهـا الاستعدادات للنصر المبين ، ثم أنتهت معركة الجلسة الى غير نتيجة ايجابية فكانت النتيجة سلبية تركت كل فريق فى مكانه لا يتزحزح عنه قيد انمله وأشعر كذلك ان ختام الجلسة كان رائعا قويا غاية القوة بصفة خاصة ، وتجلت بديهة الرئيس سعد فيها أعظم جلاء

نستمع المتكلم الاول فنسلم بصحة وجهة نظره، ونستمع الى المتكلم الثانى فنقتنع بقوة حجته ، ونصغى الى الثالث ثم الرابع ثم الخامس فنجد لكل منهم رأيا وجيها لاشك فى وجاهته ثم ينتهى سعد على غير انتظار بكلام فيه رصانة وقوة سخرية واقناع بغير اقذاع .

كانت الجلسة كأنها حفلة موسيقية سيمفونية كبرى بدات هادئة بأنغام وادعة ، ثم أخذت تعلو وتعلو وتتفرع وتتنوع ، ثم تعلو وتزداد علوا ولا تهبط مرة واحدة ، ثم تزخر كالبحر العجاج المتلاطم الامواج ، ثم تعلو وتعلو الى ذروتها فكأنها رعد وبرق ، ثم تقف فجأة وفى النفس ما فيها من آثارها الساحرة المثيرة فسبحان من وزع المواهب ، وسبحان من نوع المذاهب ، وسبحان من علم الانسان ، علمه بالقلم واللسان ، وجمله بالاخلاق والفصاحة وكمله بحسن البيان وقوة الجنان .

والموقف الآن يتلخص فى جملة أو جملتين :

معسكر الأغلبية فى الوفد يوافق الرئيس على سياسته القاضية بامتناع الوفد عن الدخول فى أية مفاوضات رسمية أو الاشتراك فيها ما لم توافق الحكومة البريطانية على أن مشروع ملنر سيعدل بالتحفظات .

ومعسكر الاغلبية هذا يخالف الرئيس فى عدم تأييده لعدلى ، وعلى الاقل فى عدم تركه لعدلى فى سلام حتى يؤلف الوزارة الجديدة ويتولى أمر المفاوضات الرسمية ، كما يخالف الرئيس لامتناعه عن اصدار بيان للامة يهدف الى تمهيد الطريق أمام عدلى .

هذه هى الازمة التى لا حل لها ولا مخرج .

وهذه هى الصخرة التى سيتحطم الوفد عليها لا محالة

فلننتظر وننتظر ، عسى أن يحدث الله بعد ذلك أمرا .

راى الرئيس فى عدلى وتوفيق نسيم :

قال لى الرئيس اليوم فى أثناء تناولى الشاى معه بعض المعانى الكاشفة الحاسمة :

(١ ــ انهم يظنون انهم يستطيعون حملى على قبول ما لا اعتقد فيه ، انهم يعتزون بأغلبيتهم ، ولكن لن أخضع لهم أبدا) .

٢ ــ ((انى لا أثق فى عدلى مطلقا ، وهو عندى كتوفيق نسيم وغيره من خدام رجعية السلطان واعوان الانجليز ، بل لعل

هؤلاء خير من عدلى لانهم معروفون فى الامة بعدواتهم لها والعمل على كيدها ، والامة لهم متربصة متيقظة ، وأما عدلى فيعتبر صديقا للامة ، ولا يكون عليه من العيون الساهرة والنفوس الساخطة المراقبة كالتى تكون لغيره .)

علوبة يكشف عن أمور كثيرة :

١٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

علمت من الاستاذ محمد على علوبة أنه اعتزم العودة الى مصر هو وجميع أعضاء الاغلبية وذلك فى يوم ١٩ يناير ، ونصحنى وهو غاضب وساخط على الرئيس ان اتركه وأن أعود الى مصر كذلك وأستأنف تربية (رجال الغد) على حد تعبيره ، اى أن أعود الى مهنة التدريس ، فلم انبس بكلمة واطرقت فى سكوت وكمد .

ثم قال لى : ((انه لا يعرف ما ينبغى عمله بأموال الوفد التى هى أموال الامة .))

فسألته عن مبلغها ، فقال : ((انها حوالى ٨٠ الف جنيه ، وان كل ما جمع من مصر لم يتجاوز ٢٠٠ ألف جنيه .

فلم أبد رأيا ، لانى لا احب أن أبدى رأيا على البديهة وعلى سبيل التطوع والفضول .

وبعد فترة ساكنة ساهمة حزينة قال :

((أليس الخير لمصر أن يترك الوفد عدلى يسعى ويعمل من ناحيته بينما الوفد يسعى ويعمل من ناحيته الاخرى ، والمسعيان لا شك يفيدان البلاد . عدلى يخدم مصلحة عاجلة ميسورة ، والوفد يخدم مصلحة آجلة عسيرة ، والمسعيان والعملان يتعاونان ويكمل أحدهما الآخر)) .

فقلت : ((هل تقصد ان عدلى يسعى ويحصل على ما يمكن الحصول عليه دون الاستقلال ، والوفد يسعى ويجاهد حتى يحصل على الاستقلال)) .

فقال : ((هو ذلك . ومع ذلك فمن يدرى لعل تشبث ملنر ولجنته بموقفهم هذا من رفض الموافقة سلفا على التحفظات

انما يرجع الى عدم رغبتهم فى مفاوضة سعد فى المستقبل نظرا لخشونته وتصلبه ، انه أحرج ملنر اكثر من مرة وضايقه . كما ان ملنر لم يعامل سعداً كما يجب أن يعامل به كزعيم كبير،ورجل خطير . هذا ولا شك عندى فى أن الانجليز سيتساهلون مع صديقهم عدلى السياسى الناعم المهذب ويسلمون له بما لا يمكن أن يسلموا به لسعد الخشن المتشدد . ما الضرر اذا جربنا ذلك واحتفظنا بوحدة الوفد ووحدة الامة)) .

فقلت : ((لماذا لا تؤجلون السفر حتى يتم بحث هذا الموضوع .))

فقال : ((لا يا سيدى كفى اجتماعات وانفعالات ، اننا مسافرون الى مصر لا محالة فى ١٩ يناير)) .

١٥ من يناير سنة ١٩٢١ :

انتقل الرئيس اليوم من مسكنه المؤقت فى فندق الكونتيننتال الى شقة مفروشة فى منطقة التروكاديرو ،والشقة الجديدة بعيدة جدا عن مقر الوفد (فى شارع ماربيف) ، وقد قضيت النهار كله مع الرئيس لاشرافى على عملية الانتقال (العزال) . وعندما أقول (بعيدة جداً) أقصد انى لا أستطيع الوصول اليها مشيا من مقر الوفد خشية ضياع الوقت فلا بد من الذهاب اليها بالاتوبيس وهو دائما مزدحم جدا فى وقت ساعات العمل التى أنتقل فيها .

جريدة المورننج بوست تشوه حديثا للرئيس :

١٦ من يناير ١٩٢١ :

جريدة المورننج بوست : الجريدة المسعورة للاستعماريين البريطانيين المحافظين نشرت اليوم خلاصة حديث ادلى به الرئيس الى (أحمد نجيب) ونشرته جرائد مصر مع جريدة الاخبار منذ يومين أو ثلاثة ، وقد تعمدت الجريدة المسعورة أن تنشره مقتضبا محرفا مشوها ثم علقت عليه بأن الحديث يكشف عن تغيير أساسى فى خطة التعنت التى سار عليها زغلول باشا حتى اليوم ، واعتبرته نزولا على راى عدلى بحجة ان الرئيس سعد قد اكتفى لقبوله الدخول فى المفاوضات الرسمية أن يحصل على وعد (مجرد وعد) بأن تتضمن المعاهدة المنشودة نصا بالغاء

الحماية بدل أن تلغى الحماية من الآن كشرط أساسى ابتدائى . والرئيس لم يقل هذا ولم يقل شيئا قريبا منه كما أخبرنى بذلك .. وسأنتظر حتى تصل الينا الجرائد الرسمية واسجل فى مذكراتى هذه كل الحديث من أوله الى آخره . فلا فائدة من محاولة تلخيصه الان .

قلت للرئيس : الا تريد ان تنشر تصحيحا لهذا التلخيص والتعقيب والتشويه الذى تعمدته هذه الجريدة الاستعمارية ؟

فقال : كلا : أن الحديث الصحيح منشور فى الجرائد المصرية، فليرجع اليه من شاء وسيتضح كذب هذه الجريدة وتلفيقها وسوء نيتها بغير مجهود منى عندما يتقصى المسئولون وغير المسئولين بحثا عن الحقيقة . وهذه الجريدة تتعمد التشويه ، وليس أعمى من الذى لا يريد أن يرى .

الفصل الرابع

ستة أعضاء اتفقوا على العـــودة الى مصر

١٧ من يناير سنة ١٩٢١ :

ذهبت هذا الصباح الى مقر الوفد فى شارع ماريبف كالعادة ، وبعد ساعة من وصولى أو بعض ساعة حضر الاعضـــاء متفرقين كأنهم على موعد لعقد جلسة .

ولم يحضر الرئيس وعلى ماهر وواصف غالى وسينوت حنا .

وحضر جورج دومانى وتسلم منهم جوازات السفر وأخبرنى أن الاعضاء المعارضين للرئيس قد عزموا نهائيا على السفر الى مصر يوم ٢٠ الجـارى ، وانه ذاهب الآن لشراء تذاكر الســفر برا وبحرا . .

وشاهدت بين الاعضاء اضطرابا غير عادى وهو أشـــبه بالاضطراب والحركة السابقة للسفر الى لندن .

وبعد قليل دخل صديقى محمـــد على علوبة مسلما بشوشا كعادته .

فقلت له : ((يظهر انكم مصممون على السفر)) .

فقال : ((ان الحالة أصبحت لا تطاق ولا تحتمل . ان الرئيس يهملنا ولا يقيم وزنا لرأى الاغلبية ، ولا يريد أن يتفاهم معنا . فالرأى رأيه ، ويجب أن ننزل جميعا على حكمه ، أما هو فـلا يحيد قيد شعر عن رأى كونه لنفسه ، ثم ان حديثـــه الاخير المنشور فى مصر والذى لخصته جريدةالمورننج بوست قد كشف عن سياسة جديدة له ، اذ يقول فيه ((ان الحكومة البريطـانية اذا وعدت بأن تتضمن المعاهدة نصا بالغاء الحماية فان الوفـد

يتدخل فى المفاوضات الرسمية . مع ان الوفد سبق أن قرر أنه لن يدخل فى هذه المفاوضات ما لم تقبل جميع التحفظات . ثم استطرد فقال : سواء أكانت سياسة الرئيس الجديدة صوابا أم خطأ فليس هذا موضوع الخلاف وانما المهم انها سياسة جديدة انفرد بها واذاعها وكان يجب أن يأخذ رأى الوفد فيها قبل أن ينشرها)) .

فقلت : ((يقينا ليس هذا سبب عزمكم على العودة الى مصر))

فقال : ((بل هذا سبب جديد يضاف الى الاسباب العديدة الاخرى التى تبرر عودتنا الى مصر)) .

وهنا حدثته بما دار بينى وبين الرئيس امس بخصوص ما نشرته جريدة المورننج بوست ، وأكدت له ان هذه الجريدة قد تعمدت تلخيصه خطأ ونشرته بعد تشويه وتحريف .

فقال : ((ولماذا لا يسرع الرئيس ويجمعنا ويعرض علينا الحقيقة ؟ أو لماذا لا يرسل الينا نص حديثه لنطلع عليه وهذا أقل ما ننتظره منه . ! »

ثم قال فى مرارة ظاهرة : ((الحقيقة هى اننا أصبحنا لا نستطيع التفاهم مع هذا الزعيم وهو يعتقد انه دائما على حق وصواب ، واننا دائما على خطأ وضلال وليس بيننا حكم يحكم فيما ينشب بيننا من خلاف . وفى كل الجماعات والاجتماعات كما تعلم ، الرأى دائما للاغلبية ، فالاغلبية يجب أن تحترم وتطاع . والاقلية يجب أن يسمع رأيها . أى أن للاقلية الحق كل الحق فى حرية الكلام ، وللاغلبية الحق كل الحق فى تنفيذ رأيها وقراراتها بهذا تقضى القواعد الديمقراطية ومبادئها وتقاليدها ، بل بهذا يقضى النظام وبغير هذا يستحيل العمل ويستحيل التضامن ويصبح الأمر استبداد وفوضى ، وهذا ما وصلنا اليه الآن . وليس هناك حال أسوأ من هذا الحال ، والاستمرار عليه من المحال » .

وهنا دخل صديقى الدكتور محمد صبرى (السوربونى) ومعه جريدة (الاوفر) الفرنسية واطلعنا على برقية مطولة نشرتها الجريدة لمراسلها فى القاهرة وخلاصتها أن الاستياء أصبح شديدا وما يزال يشتد ضد الوفد بين صفوف المتعلمين وان المظاهرات قامت فى دمنهور والاسكندرية منادية بسقوط الوفد . وهاتفة بحياة الحزب الوطنى .

ولما كان قد حان موعد ذهابي الى الرئيس في مسكنه ، استأذنت من الاستاذ محمد على علوبة فى أن أنقل الى الرئيس حديثه معى مخففا ملطفا ، فاجاب مسرعا بل انقله اليه بغير تلطف ولا تخفيف .

واستأذنت من الدكتور صبرى فى أن يعطينى هـذا العدد من جريدة الاوفر لاطلع الرئيس على برقية مراسلها ، فلم يتردد فى اعطائى اياها .

وبعد نصف ساعة كنت مع الرئيس فى حجرة مكتبه وكان يطالع بعض الجرائد الفرنسية الصادرة صباح اليوم ، فلما دخلت عليه القى بها جانبا لانه يعرف انى أحمل اليه جديدا من اخبـار الجرائد الانجليزية كل يوم .

فقصصت على الرئيس كل ما شاهدت فى مقـر الوفد وكل ما سمعت وكل ما عرفت وقد دهش كثـيرا من قرار الاغلبية على العودة الى مصر ، واطرق مفكرا كمن سمع نبأ فاجعا ، ثم رفـع رأسه بعد قليل وقال :

((ولا يحيق المكر السيىء الا باهله)) . يا سبحان الله : أهم الذين يتمسـكون بالتحفظات الآن لا أنا . وهم الذين روجـوا مشروع ملنر فى مصر ، وتطوعوا بالزيف والبهتان فى تفسير مواده . وهم القائلون بتاييد عدلى وسياسته معروفة)) .

ثم أخـذ الرئيس يضحك فى سخرية واستهزاء ، بل لمحت فى ضحكته شيئا اكثر من السخرية والاسـتهزاء : فيها مرارة وكمد ، وفيها ضيق وحرج ، وفيها ذكريات مؤلمات ومخاوف من متاعب مقبلات . ثم عبس الرئيس وتجهم وقال فى جـد ظاهر :

أعمل لخير مصر

((انهم يريدون اسقاطى بمحاولة اتخاذ هـذا الحديث سببا للعودة الى مصر وقد كانوا راغبين فى هذه العودة من زمان طويل ولكنهم لم يجدوا فرصة ملائمة ، وقد وجدوها الان ، انا لن اسقط أبدا لانى ما عملت ، ولن أعمل الا ما اعتقد انه فى مصلحة مصر . فان كان فى حركتهم منفعة لمصر فانا راض كل الرضـا ، وان لم يكن فلأمر ما أراد الله وقوع هـذا الانقسام ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . ان هذه الازمة قد طالت واحتدت

واشـــتدت ولو بقيت على حالها هـــذا لما انحلت ، انا فى الحق على صخرة والله لابد أن ينصرنى)) .

احسست فى هذه الكلمات ثقـــة بالنفس وايمانا بالله : ثقـــة لا تتزعزع ولا تتزحزح ، وايمانا يزداد فى الملمات ، ويتضاعف فى الازمات المدلهمات ، ولعل هذه من اكبر مظاهر هـــذا الزعيم العظيم .

وانتهزت فرصة سكوت الرئيس لحظلة وقلت : ان احتجاجهم على خلاصـــة حديث تنشره جريدة انجليزية استعمارية سيئة النية معـــروفة الماضى فى تشويه كل شىء وطنى مصرى لسخافة ما بعدها سخافة ، وسيدركون خطاهم وسخفهم عندما يطلعون على نص الحديث كما نشرته الجرائد المصرية فلا تحزن يا سيدى ولا تبتئس ، انما الشىء الذى عليه مسحة من الصحة والوجاهة هو اعتزازهم بأغلبيتهم وزعمهم عدم احترام الرئيس لراى الاغلبية .

هنا قاطعنى الرئيس وصرخ فى وجهى وثار كأنى انا صـــاحب هذا الراى أو كأنى اؤمن بصحته ولم يتركنى حتى أكمل كلامى واعبر عن كل ما فى نفسى ، وقال فى عبوس وتجهم :

((ماذا تقول ؟ فقلت : هذا مايزعمون وهذا ما سيبنون عليه قضيتهم فى مسالة الانقسام والعودة الى مصر)) .

الحق بين الاغلبية والاقلية

فقال فى غضب :

((ان ما قاله صاحبك محمد على علوبه كلام فارغ فى حالتنا الراهنـــة .

هل اذا وافقت الاغلبية على بقـــاء الحماية ، يخضع الرئيس لهذه الاغلبية لانها اغلبية ؟

هل اذا وافقت الاغلبيـــة على مشروع ملنر ، يطيـــع الرئيس هذه الاغلبية لمجرد انها اغلبية ؟

هل المسألة مسالة ارقام واعداد حسابية يخضع لها الانسان ويطيع طاعة عمياء ، أم هى مسالة مبادىء وعقائد لا محيد عنها ولا منـــاص ؟

لو ان لكل أغلبية الحق المطلق فى انتزاع الموافقة والطاعة لهـا لما حل برلمان خذلت أغلبيته رئيس الوزارة باقتراع عدم الثقة به، ولكن الرئيس الذى يؤمن بانه على حق يحل هذا البرلمان ويلجأ الى الشعب لاعادة الانتخابات على أساس الموضوع الذى ثار الخلاف من أجله بين الرئيس وهذه الاغلبية . وفى أحيان كثيرة جدا تسفر الانتخابات عن فوز رئيس الحكومة وسقوط أعضاء هذه الاغلبية .

ولو أن كـل اغلبية تنال ما تريد ، وتخضـــع لسلطانها كل رئيس مخالف لها ، وكل أقلية معارضة ، لهالتآمر عدد من الاعضاء نزولا على مصلحة مشتركة يستفيدون منها ، وكونوا منهم عصابة واغلبية فى أية شركة أو أية جمعية ، وحاولوا بهذه الاغلبية تحقيق منافعهم الشخصية وخدمة أهوائهم الذاتيـــة وادراك أغراضهم الخاصة ونيل ما يشاءون من المكاسب . ولكن المسالة ليست بهذه الفوضى ، فهناك قوة تردع الاغلبية وتكبح جماحها ، وتقلم اظفارها وهى المصلحة العامة . فاذا آمن انسان كما أؤمن بان الاغلبية قد تنكبت طريق المصلحة العامة ، وضلت سبيل الجماعة وهو طريق الرشاد ، وخرجت على القـانون الذى يحكم أو التوكيل الذى يحدد الحدود ويقيم السدود فى وجوه الطامعين والخائنين، هنا تجب الثورة على هذه الاغلبية ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق أو مخالفة القانون .

وهذا هو الحال بينى وبين هـذه الاغلبيـة التى يعتز بهـا صاحبك محمد على علوبة ، وامـا بقية كلامه عن حقوق الاغلبية وحقوق الاقلية وواجباتها فكلام محفوظ فى الكتب ويدرسه الطلبة فى المدارس ويطبق فى الشئون العامة حين تخدم هذه الشئون فى حدود القانون وحدود النظام والخير العام ، اليس كذلك ؟

يمكنك أن تعود الى صاحبك محمد على علوبة وتبلغه هـذه الحقائق ، وهذا الكلام الصريح »

ثم سكت الرئيس عن الكلام .

سعد يرفض

وبعــد الظهر حضرت الى مسكن الرئيس وحضر على ماهـر وواصف غالى وسينوت حنا ، وانصرفوا فى الساعة الثامنة وعقب انصرافهم دعانى الرئيس وقال لى :

((هل تعرف آخر الانباء : فقلت ارجو أن اعرفها الان . فقال ضاحكا : ان الاعضاء العائدين يقترحون الا يشترك فى المفاوضات الرسمية الا انا وعدلى على أن أظهر الرضا عن ذلك . فرفضت ذلك رفضا باتا)) .

فقلت : ((حسنا فعلت)) . ثم أخذ يضحك من اعماق قلبه .

⊙❖⊙

١٨ من يناير سنة ١٩٢١

انى اشعر شعورا غامضا بأن أحداثا جساما ستقع فى الايام المقبلة .

بهذا الشعور آويت الى فراشي ليلة امس ، وصحوت اليـــوم متخاذل الاعضاء ، ولا عجب فقد كان نومى غرارا ، فيه أرق واحـلام .

وفى الساعة الثامنة والنصف صباحا كنت فى مقر الوفد جالسا امام مكتبى اطالع الجرائد الانجليزية ، واجمع ما فيها عن مصر واترجمه الى العربية لاعرضه على الرئيس كالعادة . وفى الساعة التاسعة والربع دخل صـــديقى الدكتور حامد محمود ، فسلم مهللا على طريقته ، وبعد قليل من سماعى اخبار غزواته تذكرت ما كان من أمره او ما توهمته فى أمره ، فسالته لا سؤال الجاهل المستفسر بل العارف المتبصر .

ــ لمـاذا يا حامــد سمحت لنفســـك أن تخبر الرئيس بأن محمد على علوبه صديقى واننى كثير الاجتماع به ؟

فقال : اليس هـــذا صحيحا ، وهل تنكر ذلك أو تريد أن تخفيه)) .

فقلت : كلا . . انا لا انكر ذلك ولا اخفيه .

فقال : ولماذا اذن تعاتبنى وقد أخبرته بعد ان سالنى .

فقلت : انا لا اعاتبك وانما أريد أن أعرف المناسبة التى قبل فيها ذلك .

حامد : ((هل تذكر يوم أن مسكونى فى المصيدة : يوم ان نزلت الى كافيه فوكيه للجلوس معك .

وكان هناك محمد على علوبه والمكباتى وحمد الباسل وسالونى وضايقونى واحرجونى بمناسبة سفرى الى انجلترا لمقابلة مستر بلنت ، ولم اجب على أسئلتهم وانكرت كل شىء ؟))

فقلت : اجل اذكر كل ذلك ، وكان هـــذا فى يوم ٨ ينـــاير مساء .

حامـــد : فى اليـوم التـــالى قابلت الرئيس وقصصت عليـــه كل شىء فسألنى ... هل كامل معتاد الجلوس مع هؤلاء الاعضاء الثـــلاثة ؟

فقلت : كلا .. كامل معتاد على الجلوس مع محمد على علوبة فقط وهو صاحبه .

فقلت : ((يا حامد .. انت تعرف انى انزل بعد العشاء للجلوس فى كافيه فوكيه للراحة من تعب اليوم واعماله . ثم اعود للنوم . فاذا اتى احدهم وجلس معى فهل معنى ذلك انه صديقى ؟)) .

حامـــد : ((هل انت مستاء منى ؟))

فقلت : ((كلا لست مستاء منك ؟))

حامـــد : ((ولماذا هذه المناقشة ؟))

فقلت : كلما ورد اسم محمد على علوبه على لسان الرئيس نظر الى وقال (صاحبك) ثم يوجه الانتقادات اليه .

حامـــد : انا انصحك ان تقلل اجتماعاتك به وبغيره .

فقلت : «لن أفعل ذلك ، والرئيس يعلم انى اريد أن أكتب تاريخ المفاوضات وحياة الوفد فى لندن وباريس ولابد أن احيط علما بكل التفصيلات ومن جميع الاطراف »

والآن قد حان موعد ذهابى لمقابلة الرئيس فى مسكنه .

وبعد نصف ساعة كنت مع الرئيس اعرض عليه ما ترجمته هذا الصباح فلما فرغت . أملى على الخطاب الآتى لارساله الى طاهر بك اللوزى فى القاهرة :

خطاب الرئيس الى طاهر اللوزى :

باريس فى ١٨ من يناير سنة ١٩٢١ :

عزيزى طاهر بك

اهديك سلامى وبعد ، فقد وصل خطابك الاخير واستفدت منه الشىء الكثير ويسوؤنى ان اخبرك بان الخـلاف اشتد فى الوفد اشتداد تعذر تلافيه مع ما بذلت من جهد ، وما وسعت من صدر

وما ضيعت من حق ، وما ضحيت من شـــعور ، ونقطة الخلاف الاخيرة تنحصر فى أن المخالفين يريدون تاييد عدلى فى خطته واريد القضاء عليها ، لانها مضرة كل الضرر بالبلاد ولا يترتب عليها وعلى اتباعها الا تأييد الحماية وضياع الاستقلال . وقد عزم المخالفون على العودة الى مصر بعد ان اعياهم الجهد فى حملى على اعـلان الثقة بعدلى وذلك لكى يقوموا هم بهــذا التاييد علنا آن مكنتهم احوال الامة منه ، أو سرا اذا لم تساعد هذه الاحوال . اما انا فثابت فى موقفى ، مصر على البقاء فيه ولو تخلى عنى جميع قومى، لانه خيرا لى أن يتخلوا عنى من أن أخونهم بالجرى على خطة أراها مضرة كل الضرر بهم، وعلى الله توكلى ومنـه أســتمد معونتى والســلام .

سعد زغلول

الاعضاء المسافرون يودعون الزعيم

١٩ من يناير سنة ١٩٢١

فى الساعة العاشرة من صباح اليوم كنت مع الرئيس وهو فى اشد حالات الانقبـاض واخبرنى بانه لم يتم ليلة الامس الا قليـلا من كثرة القلق والحاح التفكير . وقال لى أنه يشعر بانه لا يملك لنفسه أمرا وان التدبير الآن لله وحده ، ثم قال فى أيمان عظيم « ان الله عودنى أن ينقذنى من كل ضيق ، ويخفف عنى كل شدة من حيث لا أدرى فلأنتظر فرجه)) .

وفى هذه اللحظة دخلت الخادمة تستأذن فى دخول بعض اعضاء الوفد ، فخرجت لاستقبالهم فاذا هم أعضاء الاغلبية المسافرون الى مصر هذا اليوم .

دخل على الرئيس عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد على علوبة ومحمد محمود وعبد اللطيف المكباتى وحمد الباسل وتركتهم مجتمعين وخرجت بعد أن أغلقت باب الغرفة عليهم ، ولا شـك عندى فى أنهم حضروا للتوديع .

وجلست فى مكتبى افكر وانا فى عاطفة دافقة من الاسى والاسف

ماذا يقولون وهم متخاصمون ؟ وفى اى موضوع يتكلمون وقد قتلوا كل موضوع بحثا ودرسا بغير تفاهم او اتفاق ؟

هل يتفاهمون الآن بعض التفاهم على بعض المسائل ثم يفترقون أقل خصاما ؟ وبهذا يتفقون على (هـــدنة) حتى ينجلى الموقف وتتضح معالم الامور .

أو هل سيتعاتبون ويتشاحنون ثم يفترقون أعداء الداء بعد أن كانوا أصدقاء أوفياء . وبهذا تقوم فى مصر (حرب الهلية) لا يعلم مصائرها الا الله وهى وبيلة على كل حال ؟

كيف يتحدثون وقد سبق أن تحادثوا فى كل شيء بغير نتيجـة سوى الخلاف والانقسام ؟

هل يقتصرون على مجرد السلام والتـوديع وما يصحب هـذا وذاك من مراسم الملاطفة والابتسام ؟ .

لست أدرى لماذا أحب دائما أن أسبق الحـــوادث ، وأحاول هكذا فكرت وأنا فى دوامة من التفكير التنبؤ بمـا قد يكون أو لا يكون . لعلى أجد فى ذلك رياضة للعقل وشحذا للخيال : أجد متعة فى استعراض المقدمات والسير بها الى نتائجها قبل ظهورها ، وأجد متعة فى تصور المواقف والاحوال قبل تطورها وطلوعهـا . ما أكثر الذين يعيشون فى الماضى ويتحدثون عن شئون الماضى ، ولا يستعملون فى كلامهم غير (الفعل) الماضى .

وأما أنا فلا أجد فى الماضى الا مخـزنا (أستخرج منـــه بعض الشواهد والعبر والعظات) الوقت بعد الوقت ، وأحب التحدث عن شئون الحاضر ، وأميل الى استعمال (الفعل المضـــارع) فى كلامى . وأرى فى ذلك محكا للعقل والخيال ، وهذا خير صرف على كل حال .

وهنا فكرت مرة أخرى محمولا على نفس الدوامة : فكرت فى موضوع آخر فكرت فى الرئيس سعد وهو جالس وحيدا فى غرفته بعد ليلة مؤرقة وتعب ظاهر وعلى أكتافه مخاوف وتبعات جسام . وفى أنحاء جسمه شيخوخة مضنية وجيش من السقام ثم يدخل عليه ستة من الرجال يهددونه بالانفصال عنه ، واعلان الحرب عليه .. ألم يكف أن الانجليز ضده ، وأن عدلى عدوه ، وأن لعـــدلى أنصارا كثيرين فى مصر يتزايدون يوميا بدافع المنافع العاجلة ، ألم يكف أن الاحكام العرفية البريطانية تفتك برجالات سعد وأنصـــار الوفد وتهددهم فى حياتهم وأرزاقهم ؟ .

واليوم تخرج أغلبية الوفد على هذا الرئيس الشيخ المريض، ثم تدخل عليه فى حجرته ، وهو فى عزلته ووحدته، وتعلنه بالانشقاق وتنضم علنا الى خصومه وأعدائه الالداء ؟ انها لقسوة ما بعدها قسوة ..

وان قلبى ليذوب حنانا وعطفا عليه وهو فى هذه المحنة . وفى هذه العزلة وهو جالس وجها لوجه يستقبل ستة من أعوانه المقربين (سابقا) ويستمع الى أحاديثهم وليس فيها الا كل تهديد وانذار ، وما لا ينطوى الا على كل شر وبوار .

ان سعدا يحمل لسانا أشد من السياط والحد من الحسام ، ويحمل قلبا كقلب الاسد اذا وقع الصدام . ويمتاز بعقل قوى لماح حاضر البديهة قوى الحجة . صاعق البيان لا يتلعثم ولا يرتبك ولا يضطرب وهو وسط المعمعان .

هكذا جرى تفكيرى فى الناحية الانسانية لسعد ، وفى الناحية الموضوعية لهذا الاجتماع الكريه .

وفى هذه اللحظة فتح باب الغرفة وخرج أعضاء الاغلبية المنشقون المسافرون يتقدمهم زعيمهم عبد العزيز فهمى ، ومروا على بمكتبى مسلمين مودعين ، وطلب الى صديقى محمد على علوبة أن أقابله فى مقر الوفد بشارع مارييف ليسلمنى بعض الاوراق ، ثم اتناول معه الغداء قبل سفرهم بقطار الساعة الثانية بعد ظهر اليوم ، فشكرته سلفا على دعوة الغداء وقبلتها بغير تردد .

محضر مقابلة التوديع

دعانى الرئيس فورا بعد خروجهم فدخلت عليه ، ووجدت وجهه مكفهرا شديد الاحتقان وطلب الى الجلوس فجلست ، وقال انه يريد أن يملى على (محضرا) لهذا الاجتماع الاخير بينه وبين هؤلاء الاعضاء ، فلما اظهرت استعدادى للكتابة ، قال الزعيم سعد :

((حضر صباح اليوم كل من عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد محمود ومحمد على علوبة وحمد الباسل والمكباتى فاستقبلتهم استقبالا لائقا ، وبعد الكلام فى الهواء والبرد والشتاء قال عبد العزيز فهمى اننا نريد ان نستأذن فى السفر الى مصر ثم قال لطفى السيد ونحن أيضا مسافرون كلنا))

قلت : (متى تسافرون) قال اليوم . فقلت بسلامة الله .

وقال لطفى السيد : (اننا نريد ان نبحث الحالة ونقدم لكم تقريرا بها .

فقلت : (أشكركم ولا حاجة بى الى تقريركم فلا تكلفوا خاطركم بذلك) .

فسكتوا جميعا ، وبعد ذلك خضت فى حـــديث عن سفاسف الامور .

ثم استاذنوا ووقفوا للانصراف .

فقلت : وما الذى تم فى امانة الصندوق . فقال محمـد على علوبة : (كما تريد) .

قلت : تعطى الى واصف بك غالى ، فقال محمد على علوبة : كما تشاء .

قلت : (هذا ما اشاؤه) .

فقال علوبة : (نبحث فى ذلك) .

وأراد بعضهم أن يعود فيجلس للكلام فى هذا الموضوع ، فقلت على الرحب والسعة ، ان هذا محلكم . فقال احـــدهم : لا بل نذهب الى الوفد .

قلت : كما تشاءون . وجاء فى كلام علوبة انه لا يغيب فى مصر الا شهرا .

قلت : تعود أمانة الصندوق اليك بعد ذلك .

فقال علوبة : (سننظر فى ذلك) .

ثم انفضوا ، وعند وصولهم الى الباب قلت : (انه لا أهمية لذلك) .

هذا هو المحضر الذى املاه على الرئيس سعد بنفسه .

وقد ادهشنى بل اذهلنى ما فيه من ايجاز وجفاء وخصومة صارخة مع التحدى المكشوف ، وانعدام روح المسالمة والمساومة أصابنى حزن شديد يمازجه ذهول أشد .

وقلت فى نفسى : هذا انفصال الى غير اتصال ، وهذا افتراق الى غير لقاء . وقد انفجر الجفاء المكتوم ، والغضب المكظوم الى عداء ليس بعده عداء ، عداء لا يعقبه سلم وليس فيه بعد اليوم ســـلام .

وهذا الذى حدث فى الاجتماع الاخير : اجتماع الوداع أسوأ كثيراً مما تصورت فلا حول ولا قوة الا بالله .

وبعد ساعة خرج الرئيس من مكتبه . وذهب الى مخدعه .

وخرجت من مكتبى وذهبت الى مقر الوفد بشارع ماريف لمقابلة صديقى محمد على علوبة حسب الوعد الذى اتفقنا عليه .

آخر مقابلة لى مع علوبة :

فلما وصلت وجدت الاستاذ علوبة جالسا فى حجرة مكتبى فى انتظارى فاستقبلنى كعادته بابتسامته العريضة كأن شيئا يعكر الصفو لم يقع .

ثم سلمنى خطابا وشيكا باسم واصف بك غالى .

وفى الجواب يقول ((بما أننا مسافرون الى مصر فقد قرر الاعضاء الموجودون الآن بمقر الوفد ترك مبلغ ١٥٠ الف فرنك لعمل الوفد ، واذا احتيج الى أكثر من ذلك لو تأخرنا عن العودة ، فقيدونا فى الوقت المناسب لارساله ، وبرفقه خطابى هذا الشيك بهذا المبلغ)) .

فقلت : ان هذا القرار وهذا الخطاب سيغضبان الرئيس أشد الغضب .

فقال : لا حيلة لى فى ذلك انه اراد ان يكون واصف غالى أمين الصندوق ولكن الاعضاء قرروا أن يعتبروه مساعداً لامين الصندوق فقط . وأن يودعوا عنده هذا المبلغ ، وأنا رجل دستورى أطيع الإغلبية ، وقرار الاغلبية نافذ حسب قانون الوفد ، بل كل قانون على ظهر الارض .

ثم خرجنا من مقر الوفد لاتناول الغداء معه بناء على دعوته .

وقد سألته فى أثناء الطريق : ما أثر مقابلتكم للرئيس فى نفسك ونفوس زملائك .

فقال : ان سعد باشا رجل شديد الاعتداد بنفسه . لقد كان صارما معنا أكثر مما ينبغى ولعله توهم ان زيارتنا له كانت واجبا علينا نؤديه له . أو اننا نريد منه خطاب توصية يزكينا لدى الامة ويدرأ عنا غضبها . كان يمكن أن يكون اللقاء والوداع فى جو

غير هذا الجو : فيه أسف متبادل وبعض الامل فى صلاح الحال . ولكن التعاون مع سعد زغلول مستحيل لانه مطبوع على التمسك بكل ما يراه .

وقال لى فى أثناء تناول الغداء :

((ان الامة ستهتز اهتزازا شديدا بعودة ستة من الاعضاء البارزين فى الوفد لا سيما وهى عودة فجائيــــة . ولم تسبقها مقدمات وليس لها سبب معروف .

وسنكشف كل الحقائق للامة ولا يخالجنا شــــك فى اننـــا سنكسب كل المتعلمين المثقفين فى مصر ، فهدفنا جميعا واحد وهو الاستقلال ، وكل ما هنالك أن سعدا يسير فى طريق مســـدود ، ونحن نريد العمل فى الطريق الوحيد المفتوح . وان عدلى رجـــل سياسى ، والامل الوحيد معلق عليه)) .

وبعد أن سكت قليلا استطرد فقال :

نحن لا نحتمل مسئولية سياسية ينفرد بوضعها الرئيس .

ونحن لا نرى رأى الرئيس فى منـــع كل من يتصـــدى لاتمـــام العمل ، ومحاربة كل من هو قادر على العمل المثمر المفيد . واذا كان سعد قد وضع القيود للوفد . فليس له أن يفرض هـــذه القيود فرضا على غيره من العاملين المخلصين .))

فسألته : ماذا تقولون للامة عند وصولكم الى مصر ؟

فقال : ((سنقول بصراحة)) ان الخلاف فى الرأى بيننا وبين سعد واقع . وان أخبار الخلاف والانقسام فى الامة تزايدت فأردنا الوقوف على الحقيقة واستشارة ذوى الرأى من المصريين واننـــا سنعود قريبا الى باريس)) .

وهنا انتهى الغداء . فذهبت الى المحطة : محطة الجاردى ليون .. وحرصت على أن أكون فى توديع الاعضاء المسافرين . ولم يكن هناك من المودعين الا على ماهر وسينوت حنا وأنا وكان الفتور باديا على الجميع .

فلما أظهرت الاسف لمحمد محمود باشا على هذا السفر قال :

((نحن فى مأزق لا مخرج منه) . ولا بد من الخروج منـــه نحن أو غيرنا من المصريين)) .

وفى الساعة ٢ بعد الظهر تحرك القطار المسافر الى مارسيليا حاملا لطفى السيد وحمد الباسل ومحمد على علوبة ومحمد محمود .. وكأن القطار يحملهم الى الدار الآخرة .

وفى الساعة الثامنة تحرك القطار الى مارسيليا حاملا عبد العزيز فهمي وكان قطع تذكرة السفر قبلهم ولم يجدوا فى قطار المساء هذا أماكن للنوم .. وهو اكثر راحة من قطار الصباح . وكان فى توديعه على ماهر وسينوت حنا وانا . أما المكباتى فسيسافر غدا الى ايطاليا ومنها الى مصر .

والآن قضي الامر ، ووصلت الازمة الى نهايتها ، ولكن الرواية لم تتم فصولها .

الفصل الخامس

سعد يقول أنا الوفد

فى الساعة الثالثة بعد الظهر ذهبت لمقابلة الرئيس فى مسكنه وسلمته خطاب محمد على علوبة ومعه الشيك بمبلغ ١٥٠ الف فرنك ، فتسلمها الرئيس متأخرا وقال : ((أننى لا أتزحزح وايمانى بالله لا يتزعزع ، ان وجودهم فى باريس شر من عودتهم الى مصر ، ((وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)) .

فسألته فى استحياء : ((وماذا عسى أن يشعر الانجليز الآن بعد عودة الفريق الاكبر من الاعضاء ؟))

فاجاب : (لا يهمنى ما يشعرون به أو ما يفكرون فيه : أنا الوفد . ولا أعمل الا ما أعتقد ، وليفعل الله ما يريد .))

وفى المساء حضر حافظ رمضان لزيارة الرئيس .. جلس معه اكثر من ساعة ، واتفق مع الرئيس على ارسال برقية منه الى جريدة الاهرام وهى تتضمن سفر ستة من أعضاء الوفد الى مصر بحجة بحث الحالة فيها ، ولكن السفر بغتة تم بغير ارادة الرئيس . والظاهر هو ان عودتهم راجعة الى رفض الرئيس اقتراحهم بتأييد عدلى وسياسته .

الرئيس يعين واصف غالى أمينا للصندوق

٢٠ من يناير ١٩٢١ :

كنت فى مكتبى بمقر الوفد فى صبيحة هذا اليوم أتصفح الجرائد الانجليزية كالعادة وكان معى الدكتور حامد محمود والدكتور محمد صبرى (السوربونى) وأحمد نجيب مراسل

الاخبار ، وكانوا يتحادثون في أمر المنشقين الذين سافروا الى مصر أمس ، ويتنبأ كل منهم بما عسى أن يعملوه فى مصر بعد عودتهم .

وفجأة دخلت (أوجستين) الخادمة الفرنسية التي تنظف وتنظم حجرات الشقة التى اتخذها الوفد مقرا رسميا له ، وهمست فى اذنى بان سائق سيارة الرئيس على الباب يريد التكلم معى . فاستأذنت اصحابى وتركتهم وقابلت سائق السيارة على باب الشقة ، فقال لى أن الرئيس فى السيارة ويطلب منى ان انزل لمقابلته . فنزلنا معا ، ووجدت الرئيس جالسا فى السيارة وحده فطلب منى أن ادخل الى جانبه ففعلت ، ثم قال :

((خذ هذين الخطابين يا كامل واذهب بهما وحدك : احدهما الى مدير بنك دى روما ، والثانى الى مدير بنك الكريدى ليونيه ، وقابل المديرين وسلم كلا منهما الخطاب المعنون باسمه » ثم كرر الرجاء ان اذهب بهما فورا الآن .

ففعلت وبدا لى من العنوانين انهما بخط واصف غالى . فخمنت بغير عناء أنهما لابد ينطويان على اشعار المصرفين ((بأمين الصندوق الجديد)) .

وصدق تخمينى اذ أوصلت خطاب بنك دى روما ، وسألنى المدير ((هل انت واصف غالى بك ؟)) فقلت : لا . أنا السكرتير الخاص لرئيس الوفد . فقال ((اخبر الباشا اننا سنعتمد امين الصندوق الجديد)) . ثم اوصلت خطاب بنك الكريدى ليونيه وقال لى المدير : سنعمل بما فيه .

وذهبت الى مسكن الرئيس وأبلغته ما تم ، وسألنى هل ذهب معك دومانى :

فقلت : كلا ذهبت وحدى . قال احسنت . ولا تخبر احدا .

جريدة التيمس تنتقد حديث الرئيس !

٢١ من يناير سنة ١٩٢١ :

يظهر أن الحديث الذى سبق ان ادلى به الرئيس الى احمد نجيب ونشرته جريدة الاخبار والجرائد المصرية ، ثم نشرته

- ملخصا محرفا جريدة المورننج بوست فى ١٦ من يناير وأغضب أعضاء الاغلبية فى الوفد ، كان حديثا مشـــوها لم يفهم على حقيقته .

فقد نشرت جريدة التيمس فى عددها الصادر صباح اليـــوم رسالة من مكاتبها فى القاهرة وصف الحديث بأن فيه بعض الغموض والابهام وفى بعض أجزائه تناقض ، وان تأثيره فى الرأى العـــام فى مصر كان سيئا جدا لقلة ما فيه من صراحة ، وقد استفاد من ذلك خصومه واستغلوها استغلالا سيئا حتى اضطرت جـريدة الوفد نفسها (أى جريدة الاخبـار) الى انتقاده ، وان السخط عام لان الناس فهموا منه أن زغلول باشا مازال على اتصـال مع الحكومة البريطانية وكانوا يجهلون ذلك .

ماكدت أفرغ من ترجمة هذه الرسالة حتى تذكرت أن أحمـد نجيب سبق أن قال لى : أن الرئيس هو الذى يضـع بنفسـه الاسئلة والاجابة عنها ، وضرب لى مثلا على ذلك ، أن الرئيس وضع سؤالا على الوجه الآتى :

((سمعت أن صديقا لمصر يسعى للتوفيق بينكم وبين الحكومة البريطانية ، فهل هذا صحيح ؟)) والرئيس يقصد بهذا الصديق مستر بلنت .

وللمرء أن يتساءل : كيف عرف مراسل الاخبار ان صـــديقا لمصر يقوم بهذه المهمة فى الوقت الحاضر الذى تبدو كل الظواهر فيه أن الصلة مقطوعة بين الرئيس والانجليز ؟ ثم هل المراد أن ذلك فتح باب الامل امام المصريين ؟ أو ما هى الحكمة من توجيـه سؤال بهذا المعنى ؟ لعل هذا هو الغموض أو الاتهام الذى أشار اليه مراسل التيمس .

انتقلت الى مسكن الرئيس وأطلعته على المنشور فى جـريدة التيمس ، فتألم لذلك كثيرا وأخبرنى بأنه تلقى خطابا من مصطفى النحاس بهذا المعنى كذلك .

خطاب الرئيس الى سعيد زغلول !

ثم سكت واطرق وفكر ، وأملى على خطابا مسهبا الى سـعيد زغلول)) وكثيرا ماكتب اليه خطابات سياسية شارحة المسائل

السياسية ومشـــكلات الساعة ، واقتبس من هـــذا الخطاب العبارات الآتيـــة :

١ ــ سافر ستة من أعضاء الوفد الى مصر لانهم ارادوا منى أن أعلن الثقة بعدلى وخطته ، فلم يطاوعنى ضميرى لاسباب عديدة ان اوافقهم على ذلك ، فســـافروا لينفذوا فى الامة خطتهم على ما هو ظاهـــر . وما أردت أن أعلن للامة خلافهم ولا أن أفنـــد للناس آراءهم استبقاء للوحدة ان كانت باقية ، وابتعاد من أكون السبب الاول فى هدم ما بنيت ، والعـــامل على تشتيت الشمل الذى جمعت ، وسأبقى ساكنا حتى تنقشع السحابة . والله ولى الصـــابرين .

٢ ــ ولا يخالجنى شك فى أن وصولهم الى مصر سيولد كثيرا من الظنون ، ويثير كثيرا من الشكوك وهو ما آسف له أشد الاسف ، ولكن نفذ القضاء ولا راد لحكمه ، كأن الله لا يريد لهذه الامـــة خيرا فقد ضلت عقول كثيرة . واشكل عليها الجلى الواضح .

٣ ــ قال قوم بمناسبة حديث (الاخبار) ان الوفد غير خطته ، وقال آخرون انه لطفها ، وبنى كل على فهمه من الاوهام ما بنى

وانى لشديد الحزن لانى لم ار من بين هؤلاء من يقول على الحديث أنه شرح خطة الوفد وجلاها : لا تلطيفا لشـــدة ، ولا تعديلا لخطة ، بل ايضاح لحقيقة ، وقد قيل لى ان كثيرا من العقلاء فهموها على غير وجهها .

٤ ــ ظننتم أو ظن أكثركم انى أطلب قبل الدخول فى المفاوضات الرسمية أن نحصل على الغاء الحماية فورا بحيث لا تدخل مصر فيها الا وهى حاصلة بالفعل على تمام استقلالها ومطلقة من قيـــد الحماية . والحقيقة انى طلبت قبول التحفظـــات ، وان يشتمل المشروع عـــلى نص يلغى الحمـــاية . وليس المشروع الا مجموعة اقتراحات او توصيات يقدمها ملنر الى حكومته . وعجيب شان الناس أن يتوهموا من التاكيد الذى طلبنـــاه ، انه مجرد وعـــد شفوى ، مع ان التاكيد قد يكون وعدا كتابيا او شفويا ، وقـــد يكون رسميا أو عرفيا . فلماذا اختارت هذه العقول اخس انواع التاكيد ، ونسبت الينا الاكتفاء به ، واولت ما أولت ونسبت ان الذى يقول بهذا التاكيد هو الذى وضعت الامة ثقتها فيه . الم يكن من المعقول ان يظن بهذه الثقة خيرا ، ويترك له تقدير التاكيد ودليله ، وتنتظر بحسابه وقت الحساب ؟ أليست المناقشـــة فى

هذا الموضوع وأشباهه عرضا من أعراض الهبوط الذى يقال انه نزل بالامة فتخبطت فى سيرها ، وكانها تريد الخلاص من قادتها، فظهرت بمظهر المتظنن فى أعمالهم . والشاك فى نياتهم . وما اتوا بمشكك ولا صدرت منهم شـــبهة ، بل لم يزدادوا على الايام الا تمسكا بمبدئهم وتعلقا بخطتهم ؟

٥ ــ سامح الله هؤلاء فيما يشكون وفيما يتاولون . ولسوف يعلمون انهم كانوا على خطأ عظيم وان الذى شرفوه فى اول الامر بثقتهم لم يعمل الا على تحقيقها . ولم يكن له ذنب سوى كونه اعتمد على معونة من ضعفوا عن المعاونة ، وليعلموا انه ثابت فى مركزه . مقيم على عهده لا يتحول عنه قيد شعرة ..

٦ ــ انى اعتقد ان المفاوضات الرسمية التى قيل عنها ما قيل ان هى الا خدعة . ولا يمكن أن يترتب عليها مزية أكثر من المزايا التى اشتمل عليها مشروع ملنر ، وانهم يعتمدون على نجاح هذه المفاوضات على ثلاثة عوامل : الزمن والسلطة والصيغ .

- الزمن : يولد الملل ويزيده
- والسلطة : ترغب وترهب .
- والصيغ : تقسم الآراء . فمن آخذ بظاهرها الخلاب الخداع، ومن ناظر الى باطنها المظلم الخطير ، فاذا دخلت الامة فى المفاوضات قبل تعديل المشروع بالتحفظات فانها لا تنتهى منها الا وهى منقسمة بدل القسمين اقساما ، ومصابة بدل الهبوط هزالا ، وبدل الملل يأسا ، فتقبل ما كرهت ، وتمضى على ما رفضت .

تاليف رابطة للموظفـين البريطانيين فى مصر :

٢٢ من يناير سنة ١٩٢١ :

نشرت جريدة ألتيمس اليوم (بل كل الجـرائد الانجليزية) خبرا خطيرا من مراسليها بالقاهرة تطير له الرئيس ، وتشاءم به وقد جاء فيه :

((ان الموظفين البريطانيين الموجودين الآن فى خدمة الحكومة المصرية قد عقدوا امس اجتماعا هاما انتهى بتأليفهم نقـــابة او (رابطة) ترعى مصالحهم فى الحال والاســتقبال . وذلك حتى

لا يمسهم سوء أو طرد من أى نظام أو تغيير قد يطرأ على الادارة المصرية كنتيجة للمفاوضات الرسمية المقبلة)) .

وقال لى الرئيس : ((ان هذه المسألة فى منتهى الخطورة)) .

فسألته : ((وأى خطر أو أخطار فيها ؟))

فقال الرئيس :

((لاجل أن تدرك مدى فداحة الاخطار التى أثارها فى نفسى هذا النبأ يجب أن تعرف أولا تكوين الحكومة المصرية أى الادارة المصرية فى الوقت الحاضر :

الوزراء المصريون ممنوعون من البت فى أى موضـــوع الا بعد ان يبت فيه المستشارون البريطانيون أولا . فالوزير المصرى لا ينظر فى أية مسألة أو أية ورقة الا بعـــد أن يؤشر عليهـــا المستشار البريطانى ، بهذا قضى الاحتلال ، وبهذا يحكم الاستعمار .

ثم انظر بعد ذلك الى عدد الانجليز ووظائفهم فى الحكومة وعدد المصريين ووظائفهم تجد الفرق شاسعا :

١ ــ جميع وظائف المستشارين فى كل الوزارات يشغلها الانجليز (ولا تعرض أية مسألة على مجلس الوزراء الا بعد أن يوافق على عرضها المستشار المالى ويحضر جلسات مجلس الوزراء المستشار المالى الانجليزى . ولا يجوز الاجتماع فى جلسة فى غيابه) .

٢ ــ جميع وظائف وكلاء الوزارات يشغلها الانجليز .

٣ ــ جميع وظائف مديرى العموم يشغلها الانجليز .

٤ ــ كل وظيفة سكرتير عام أو سكرتير مالى يشغلها الانجليز

٥ ــ جميـــع الوظائف الرئيسية فى الجيش والبوليس يشغلها الانجليز (والدرجات الصغرى يشغلها المصريون) .

٦ ــ جميع وظائف المراقبين ورؤساء الاقسام واللجان يشغلها الانجليز .

٧ ــ تسعة أعشار الدرجات الاولى يشغلها الانجليز (والعشر يشغله المصريون) .

٨ ــ ثلاثة أرباع الدرجات الثانية والثالثة والرابعـــة يشغلها الانجليز (والربع يشغله المصريون) .

٩ ــ الدرجات الخامسة والسادسة والسابعة وما هو أقـــل منها يشغلها المصريون .

١٠ ـ درجات الخدمة السايرة يشغلها المصريون .

١١ ـ حوالى ٤٠٪ من ميزانية الموظفـين تذهب الى جيـوب الانجليـز مع ان عـــددهم لا يكاد يزيد على ١٥٪ من عدد موظفى الحكومة من المصريين .

١٢ ـ وفى السنتين الاخيرتين عين الانجليز عددا كبيرا من أبناء وطنهم الانجليز فى الوظائف التى كان يشغلها المصريون قبل خروجهم الى المعاش .

فماذا يتضح من هذا كله ؟

يتضح أن الاداة الحكومية بما فيها الجيش والبوليس تحت السيطرة الكاملة للانجليز ، فان شاءوا شلوها بالخـروج دفعـة واحدة أو بالاضراب جملة اذا كانت لهم طلبات ورفضها حكومة مصر المستقلة . فكل حكومة مصرية مستقلة ستكون تحت رحمتهم، فاذا تذكرت بعد ذلك أن وراء هؤلاء الموظفين الانجليز مندوبا ساميا بريطانيا ينتصر لهم دائما ، وجيش احتلال يؤازرهم دائما ، امكنك أن تدرك مدى النكبة)) .

وهنا سكت الرئيس قليلا ثم استطرد فقال :

((ألا تذكر ان موضوع الموظفين الانجليز فى خدمة الحكومة المصرية كان من الموضوعات الهامة التى بحثناها مع ملنر ،واهتمت بها لجنة ملنر أشد اهتمام ؟

الا تذكر ان ملنر سـألنى ماذا تنـوى أن تصنع مصـــر المستقلة بهؤلاء الموظفين البريطانيين ؟ .

فأجبته بأن مصر المستقلة ستكون حرة فى ابقـــاء من تريد واخراج من تريد مع اعطائه التعويض المناسب ، وهو مرتب شهر عن كل سنة خدمة . ولكن اقتراحى هذا رفض . ومع ان لجنة ملنر نفسها قد اعترفت بأن عدد الموظفين الانجليز قد زاد زيادة فادحة فى السنوات الاخـيرة : زيادة أكثر مما تقضى به الضرورة (على حد تعبير ملنر) . فانهم لم يقبلوا اقتراحى ، وهددوا بأننا اذا أغضبنا هؤلاء الموظفين فانهم قد يتركون خدمة الحكومة المصرية جملة ومن تلقاء أنفسهم ، ولو فعلوا ذلك لوقعت كارثة للحكومة المصرية .

ولجنة ملنر بعثت الينا بعـد ذلك بمذكـرة خاصة فى هـــذا الموضوع ، وفيها نص اقترحتـــه لـكى يدمج فى صلب مشروع

المعاهدة . وهو يقضي بأن الضباط البريطانيين فى الجيش والبوليس والموظفين والبريطانيين الذين دخلوا خدمة الحكومة المصرية قبل العمل بالمعاهدة يجوز انهاء خدمتهم بناء على رغبتهم أو رغبة الحكومة المصرية . وتحدد المعاهدة المعاش والتعويض الذى الذى يجب أن تمنحه الحكومة المصرية لهؤلاء الضباط والموظفين الذين يتركون الخدمة بموجب هذا النص زيادة على ما هو مخول لهم بمقتضى القانون المصرى الحالى ، ومعنى هذا فيما أراه وأخشاه :

أولا : أن تدفع لهم الحكومة ملايين الجنيهات على سبيل التعويض لخروجهم قبل سن المعاش .

ثانيا : أن تدفع لهم ملايين الجنيهات باسم مجموع ماهياتهم حتى بلوغهم سن الستين وهو سن الاحالة الى المعاش .

ثالثا : أن تدفع لهم ملايين الجنيهات باسم معاشات تدفع لهم مدى الحياة ..

رابعا : أن تدفع ملايين الجنيهات على سبيل التعويض للانجليز الذين لا يستحقون معاشا لانهم بعقود تتجدد .

والآن تتألف رابطة لهؤلاء الموظفين البريطانيين ليحددوا بأنفسهم هذه الملايين التى ستدفع باسم التعويضات ومعاشات ومكافآت وما الى ذلك فى المطامع الاشعبية ، بل هى أفدح من الاشعبية : لانها بريطانية والجشع البريطانى لا يعرف احدا .

وانى اتذكر الآن ان هرست المستشار القانونى فى وزارة الخارجية البريطانية وعضو لجنة ملنر حدثنى مرة فى هذاالموضوع واظهر العطف والرثاء لمستقبل هؤلاء الضباط والموظفين البريطانيين ووصفه بأنه مستقبل مظلم بعد استقلال مصر . فقلت له من أين تأتى مصر بكل هذه الملايين من الجنيهات لتدفعها لهم زيادة على ما هو مخول لهم بحكم القانون المصرى الحالى ؟ .

فأجاب باسما : هذا ثمن الاستقلال : قالها بغير حياء أو خجل . وماذا يهمه أن تخسر مصر بملايين الجنيهات ليكسبها مالا حراما ابناء جلدته ، بدل أن تصرفها مصر الفقيرة لرفع مستوى ابنائها الحفاة العراة من العمال والفلاحين »

وهنا أطرق الرئيس كعادته عندما يفكر . ثم قال ((ما احوج مصر الى حكومة قوية ، **ان الاستعمار لا يفهم ولا يرحم وهويمتص**

دماء الشعوب وأموالهم وخيراتهم وكل مواردهم حتى لا تقوم لهم قائمة ، فهو سل الجنس البشرى وسرطانه .

ولا حول ولا قوة الا بالله)) .

الرئيس يعد بيانا للامة :

٢٣ من يناير سنة ١٩٢١ :

قبيل انصرافى فى الساعة العاشرة من ليـــلة أمس من مسكن الرئيس طلب الى أن أحضر اليوم مبكرا لامر هام بدل أن أذهب الى مقر الوفد لتصفح الجرائد الانجليزية قبل زيارته .

وفى الساعة الثامنة والنصف صباحا كنت مع الرئيس فأخذيملى على بيانا أعده للامة يبين فيه سياسته بكل وضوح ، وما قر رأيه عليه . وفرغنا منه فى الساعة العاشرة تماما ، وتسلمه منى ليطلع الاعضاء الثلاثة عليه (على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا) وهم قادمون اليه بعد قليل . وانصرفت الى مقر الوفـــد لاطلع على الجرائد الانجليزية وأترجم ما فيها عن مصر ثم أعود الى الرئيس ثانيـة .

وكان أهم الجرائد الانجليزية (جريدة مورننج بوست) فقد نشرت وحدها مقالة افتتاحية مطولة أبرزت فيها سياسة الرئيس سعد وسياسة عدلى ، ثم تنـاولت انقسام الوفــــد نفسه الى فريقين : فريق المتطرفين برياسة زغلول ، وفريق الاغلبية يتزعمه عبد العزيز فهمى الذى ينتصر لسياسة عدلى . ثم تناولت انقسام الامة وبلبلة الرأى العام المصرى بين هذين الفـــريقين . وهاتين السياستين . وختمت مقالتها بالتهكم المعتاد وبالزراية الساخرة صبتها على رأس مصر والمصريين ، واتهمتهم بالجدل العقيم والتعلق بالاوهام وطبعهم الاصيل فى أغماض العيون على الحقائق البارزة ، وتجاهل الواقع الملموس ، وزعمت ان المصريين سيظلون منقسمين الى أبد الابدين ، فان اتحدوا يوما اختلفوا شهورا ، وان اتحدوا شهورا اختلفوا بعد ذلك سنوات وسنوات بحجة أنهم غير عمليين ولم يمارسوا الشئون العامة ولا سيما السياسية منها قبل الآن .

وفى هذه المقالة حقائق لا شك فيها عند شرح سياسة الرئيس وسياسة عدلى ولكن فى المقالة اكاذيب واباطيل ودعاوى فيها امتهان

للعقول واهانة للمصريين ، ولعنة الله على هؤلاء المستعمرين الذين ماتت ضمائرهم وعميت بصائرهم .

ولما عدت الى الرئيس واطلعته على ترجمة المقالة وكان معه الاعضاء الثلاثة ، أدهشني انهم لم يتأثروا بها كما تأثرت . بل راى الرئيس ان نشر هذه المقالة فى مصر واجب ، لأن فيها بيانا صريحا وصادقا عن اختلاف السياستين وهو ما يجب أن يعرفه الشعب المصرى معرفة تامة . وفيها كذلك ما يلدغ كرامة المصريين ليتحدوا بعد خلاف ، ويفيقوا بعد غفلة ، ويدركوا خطر الانقسام واستمرار الخصام .

وقد كلف الرئيس (أحمد نجيب) أن يرسل هذه المقالة الى جريدة الاخبار لنشرها ، وفى المساء اجتمع الاعضاء الثلاثةبالرئيس مرة ثانية لمناقشة البيان الذى أعده، واستمر الاجتماع ساعتين .

٢٤ من يناير سنة ١٩٢١ :

كلفنى الرئيس قبل ظهر اليوم أن ارسل البيان تلغرافيا مستعجلا الى مصر على ان أعيد كتابة هذا البيان بالحروف الافرنجية بدل ترجمته الى الفرنسية والانجليزية وذلك حتى يظهر بنصه العربى كما وضعه الرئيس ، وقد استغرقت هذه العملية ساعة كاملة . ثم اعطانى الرئيس ألف فرنك لاصرف منها اجرة ارساله الى أمين الرافعى بجريدة الاخبار ، فحملت البرقية الى مكتب التلغراف فى الشانزليزيه . فطلب منى الموظف المختص ١٠٤٨ فرنكا أجرة ارسالها مستعجلا فاستكثرت المبلغ وطلبت اليه ارسالها عادية . فتكلف ذلك ٣٩٢ فرنكا فقط،ثم عدت الى الرئيس معتذرا عن تصرفى هذا .قائلا انى لم أجد معى ٤٨ فرنكا وهى الزيادة على الالف فرنك التى أعطاها الى قلم يستأ كما توهمت ، ثم أملى على برقية أخرى لارسالها الى مصطفى النحاس . جاء فيها ، « أن المسافرين العائدين لم يكلفوا باية مهمة وأن سفرهم كان على غير موافقته ، وطلب منه أن يطلع على بيانه الذى أرسله الى امين الرافعى »

وفى الساعة الخامسة مساء حضر وفد كبير من الطلبة المصريين فى فرنسا لمقابلة الرئيس ، وظلوا معه قرابة ساعتين أطلعهم فيها على كل التفصيلات ، وخرجوا من عنده فاهمين مسرورين ، ولكن آسفين للحالة التى وصلت اليها قضية البلاد ، وساخطين على الاعضاء العائدين الى مصر .

٢٥ من يناير سنة ١٩٢١

حضر الرئيس صباح اليوم الى مقر الوفد فى شارع مارييف ، وكان فى انتظاره على ماهر الذى رجا الرئيس وتوسل اليه أن يرسل تلغرافا مستعجلا بمنع نشر « بيانه » فى مصر بحجة أن الحكمة تقضى بالسكوت فى الوقت الحاضر ، فضلا عن أنه ليس من الملائم أن يربط نفسه ويقيدها بخطة وسياسة معينة فى بيان منشور لا سيما فى الوقت الذى هو على اتصال فيه مع ملنر عن طريق مستر بلنت ، ثم حضر واصف غالى وسينوت حنا وانضما الى على ماهر فى رجائه • وأخيرا وبعد معارضة وافق الرئيس : لا عن اقتناع وانما عن رغبة فى المسالمة وفى عدم اغضاب الاعضاء القليلين الباقين معه • وجاء الى على ماهر فى مكتبى وكتب معى هذه البرقية التى تمنع النشر قائلا « الحمد لله لأنك لم ترسل ذلك البيان برقية مستعجلة ، أما هذه البرقية فانى أرجوك أن تنزل فورا وأن ترسلها مستعجلة » • ففعلت •• ولكنى لم أكد أدخل مكتب التلغراف حتى وجدت الدكتور حامد محمود يلهث فى الجرى ورائى قائلا « لا ترسل البرقية » فعدت معه ، ولو أنه تأخر دقيقة واحدة لكانت البرقية فى الهواء فى طريقها الى مصر • فلما دخلت على الرئيس (وكان عنده على ماهر) غير صورة البرقية بأن جعلها (واحفظ البرقية العربية بالبيان لتستملى منها مقالاتك ولا تنشرها الآن) • فأخذتها وخرجت ، وخرج معى على ماهر قائلا : « مادامت النتيجة أن البيان لا ينشر فلا تهمه صورة البرقية » • ورجانى أن أسرع الخطى لارسال هذه البرقية مستعجلة » ففعلت وأنا فى دهشة بل فى شبه ذهول مما حدث •

ولكنى بعد التفكير أدركت أن على ماهر على حق ، لان أعضاء الاغلبية العائدين سيصلون الى مصر اليوم أو غدا ، وأن الضرورة تقضى بألا يصدموا صدمة أليمة مدوخة ببيان صريح من الرئيس ينشره فى مصر قبل وصولهم اليها بيوم واحد فيستقبلهم المصريون بعد ذلك شر استقبال •

وصول الاعضاء الى مصر

٢٦ من يناير سنة ١٩٢١ :

أمس وصل الاعضاء الى مصر • واستقبلوا استقبالا باردا أو فاترا ، وسئلوا أسئلة محرجة • هكذا نشرت الجرائد الانجليزية

الصادرة صباح اليـــوم (التيمس والمورتنج بوست ووستمنستر جازيت) والعجب العجاب أنهـا ذكرت بالدقة أسباب الخـــلاف وأسباب العودة وما ينتظر من تطورات • كما ذكرت أن العائدين الى مصر اضطروا الى انكار وقوع انقسـام في الوفد أو خلاف مع الرئيس ، ووعدوا تحت ضغط السائلين الملحين أن يذيعوا بيانا غدا

برقية وحديث

وقبيل ظهر اليوم تلقى الرئيس برقية من جعفر فخرى المحامى بالاسكندرية يسأل فيها عن صحة ما أذاعه أعضاء الوفد العائدون من أنهم سيقومون بمهمة وفدية • فقال لى الرئيس :

« أنا فى حيرة : هـل أنشر الحقيقـــة وابعث اليه بتـكذيب ما زعموه وأذاعوه ، أو أتريث قليلا ؟ أنا لا يخالجنى شك فى أنهم سينضمون الى الاعضـاء الثـلاثة : شعراوى باشـا وعبد الخالق مدكور باشا وجورجى خيـاط ، وهم الذين لم ننتخبهم للاشتراك مع من عرضوا مشروع ملنر ، وسيكونون تسعة ونحن أربعة هنا ، اذا أعلنت الحقيقة كنت البادىء باذاعة الانقسام والخصام ، واذا سكت أفسحت لهم الطريق لينشروا ما يشـاءون من دعاية جذابة خطيرة • انهم سيقولون أن الوفد قرر بالاجمـاع عدم الدخول فى المفاوضات الرسمية والاشتراك فيها الا بعد أن تقبل كل التحفظات ••• الخ • ويضربون على هذه النغمة حتى لا يظهروا أنهم على خلاف معى ثم يقولون : ولكن اذا أتاح الله للبـلاد رجلا مثل عدلى يتعهد بأن يحقق تلك التحفظات كلهـا أو يستقيـل ، فإن الوفد يؤيده ويساعده من الخارج ويبارك جهوده » •

ثم سكت سعد وأطرق ثم قال :

« هذه الدعاية المسمومة هى التى أخشاها وأخشى عواقبهـا • وذلك لانى أعرف النـاس بعدلى وضعفه ، كما أعرف أنه لا يؤمن بهذه التحفظات ولا يوافق عليها • وسأرانى مضطرا عاجلا أو آجلا فى ابداء رأيى صراحة ، وحينئذ يظهر الانقسام ويتجدد الخصام »

وفى المساء حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا وأطلعهم الرئيس على برقية الاستاذ جعفر فخرى وخواطره وحيرته بشأنها ، ودارت بينهم مناقشـــة واستقر الرأى فى نهايتهـــا عـــلى

ضرورة التريث وحكمته ، ولكن الرئيس سكت في وجوم لا سكوت المقتنع .

خطاب هام جدا من الرئيس الى طاهر اللوزى

٢٧ من يناير سنة ١٩٢١ :

أملى على الرئيس اليوم خطابا على أعظم جانب من الاهمية لارساله الى طاهر اللوزى ، وأهمية الخطاب فى نظرى ترجع الى ما فيه من براعة فى تصوير الواقع ، وبيان للحقائق فى أسلوب رائع وكشف لروح أبية عالية ، وثقة بالنفس صافية ، وهذا هو نص الخطاب :

عزيزى طاهر بك :

« اعتز المخالفون بعددهم وأعجبتهم كثرتهم فشمخت أنوفهم واستطالوا على وحدتنا فقسموها وعلى حقنا فهضموه . فنقضوا فى اجتماع خاص بهم ماسبق أن قرره الوفد فى اجتماع عام باشتراكهم ، رفضوا مبلغا اذنا بصرفه ، وصرفوا مبالغ لم ناذن بها ، وأبوا أن يسلموا أمانة الصندوق الى من عيناه من غيرهم ، وقدروا للصرف مدة غيابهم مبلغا لم يأخذوا فى تقديره رأينا مكتفين بتقديرهم كأنهم من أمرائنا وكأننا من أتباعهم ، قرروا عودتهم بدون علمنا وأخبروا اللجنة المركزية من عندهم وأعلنوا بذلك للملأ انقسامنا وخلافهم . ظنوا أن الأمة قد هوى الضعف بروحها . ولوى اليأس بعزمها واستعدت للاستسلام . فسارعوا اليها . لا لكى يقوموا ضعفها بل ليستميلوها الى الثقة بمن شكت فى اخلاصه ليحسن تسليمها والى الشك فيمن وثقت بهم ليمتنعوا عن عونها ، متوهمين أنها ستحشد الحشود للقائهم ، وترفع البنود للاحتفاء بهم . فلم يكن من الكثيرين الا أن امسكوا عن مقابلتهم ، ومن غيرهم الا أن واجهوهم بما يكرهون . وطالبوهم أن يعلنوا فى الخلاف رأيهم . فلم يسعهم الا أن أنكروه ثم نشروه معترفين بما أنكروه ومنكرين ما أعلنوه . ولا ادرى اذا كانت نفوس القوم طابت بما أعلنوا ورضيت بما نشروا مع سكوتى عن موافقتهم ، ولكن يظهر أنها لم ترض به تمام الرضاء لأن بعضهم طلب منى أن انشر بلاغا الغى فيه ذلك الخلاف وأؤكد تمام الاتفاق ، فلم استحسن طلبهم لان فيه تغريرا بالامة ومناقضة للحقيقة التى عمل المخالفون أنفسهم على اعلانها ، وأيدوها

بقولهم وفعلهم حتى تغنت بهـا الجرائد الانجليزية كما تغنت بهم وباعتدالهم . ولان هذا الخلاف لا يرجع الى أسباب شخصية حتى يهون احتماله ، ويرجى زواله ولا يضر اخفـاؤه ، ولكنه يرجع الى الاختلاف فى الغـاية وفى الشعور . فهم ملوا العمل وقطعوا الامل وقليـل ما أعطينـا كثير فى نظرهم ، وقريب ما نرجو بعيـد فى اعتبارهم . والمشروع عندهم يهدى مصر استقلالها ويبوئها أشرف مركز بين الامم ونرى فيه حماية لا يبوىء من المراكز الا أتعسها ، ولا يفيد الا ضياع الاستقـلال . فكيف يمكن التوفيق بين هذين الرأيين ، وهاتين الغايتين ؟ ولو كان أمره منحصرا بيننـا ، ولم يشعر به خصمنا لتسامحنا ما أمكننا ،لكنه علم به على وجه يرفع الطمانينة ويضعف كل ثقـة ، ومتى انعدمت الثقة بين جمـاعة ، تعذر انتظام العمـل بين العاملين ، فقد كتب لورد ملنر خطابا الى بعض أصدقائه ، وبيدنا نسخة منه ، جاء فيه ما نصه :

((ان أصحاب زغلول باشا ممن يطلبـون نفس مطالبه قد بذلوا آخر ما فى وسعهم لاقناعه بالقبول فلم يقبل ولم يقتنع)) . فمن أين علم لورد ملنر هذا المسعى ؟ انه لم يعرفه منى بطبيعة الحال ، ولا يخالجنى شك فى أن علم ملنر بهذا الخلاف على هذا الوجه كان له تأثير كبير جـدا فيما أبداه من التشدد معنـا ؛ خصوصا فيما يتعلق بقبول التحفظات .

تعلمون أن عدلى باشا قبل المشروع ، وسعى بواسطة أصدقائه فى الوفد وخارج الوفد فى ترويجه ، وحمل الامة على قبوله . ومع ذلك أراد أصحابه فى الوفد أخيرا أن أعلن للأمة ثقتى به ، واعتمادى عليه فى المفـاوضات الرسـمية ليتحصل على قبول التحفظـات ، فرفضت ذلك رفضا باتا . اذ كيف يمكن لى أن أثق هـذه الثقة بعد كل ما عندى من المعـلومات ، وأن أعول على رجل فى تعديل مشروع هو يراه مقبولا بدون هـذه التحفظات مهما يكن عنده من حسن القصد وسلامة النية ؟

ومن العجيب أن هؤلاء الذين يريدون أن يسلموا لمثل هـذا الرجـل أمور البـلاد يديرها برأيه وبمسـاعدة من تعرفون ، لا يسمحون لى أن أرسل برقية أو كتابا يحمل شكرا على من حمل من الاعمـال بدون اطلاعهم ، ويعدون انفرادى بمثل هـذا العمل جارحا لشعورهم ، ماسا بكرامتهم حتى كان من أمرهم أن أرسلوا الى خطابا يحتجون فيه على هـذا الانفراد • وفى عبارات جافية لا يوجهها متبوع لتابع • أنظن أن جمـاعة ضعفت الثقة بينهم الى هذا الحد يمكنهم أن يشتركوا فى عمل ؟ وان اشتركوا هل يمكن أن يقدر لهذا العمل نجاح ؟ كلا • انهم لم يتظاهروا بموافقتنا الا اتقاء لسخط الامة وتلطيفا لغضبها ، والا فانهم سيعملون فى السر على بث أفكارهم وترويج مقاصدهم والدعوة الى تأييد سيدهم الذى رأوا فيه المعين على الوصول الى غايتهم التى ينشدونها كما تعلمون ، ولقد رأيناهم يقابلون بوجوه هاشة بسامة كل خبر يدل على ضعف النهضة الوطنية والروح المعنوية وفتور الهمم وانحـلال القوى • ويعبسون للأخبار التى تدل على قوة روحها ، وكمال يقينهـا فى حسن الاستقبال •

ان نفوسـا هذه حالهـا يضر وجودها فى الافراد فمـا بالك بالقواد ؟ انى كثيرا ما ضغطت شعورى الشخصى وتسـامحت فى حقوقى الذاتية بل لم أحسب حسابا لهذه الحقوق • ولكنى لا أملك أن أتساهل فى حق عام عاهدت الامة على الاحتفاظ به ، فلا أستطيع أن أفرط فيه لعدو ولا لولى ولكنى أسكت اذا لم يضر السكوت به ، أما اذا رأيت منـــه خطرا فواجبى يدفعنى الى الجهر بالحق والله ولى العاقبة •

لا بد أن تكونوا قد علمتم أن اسم المـكباتى بك كان من بين العائدين ، ولكنه لم يعد ، انه من صفهم وعلى رأيهم ولكنه لم يكن مسـافرا معهم بل فى عزمه اللحـاق بهم ، وانما كتبوا اسمه مع أسمائهم تفخيما لشأنهم ولكى يعتزوا باضافة لون آخر الى لونهم ،

حتى لا يقال أن حزب الامة قد عاد الى بدايته وانتهى الى غايته ان الله لا يصلح عمل المفسدين » .

سعد زغلول

حاشية :

أضاف الرئيس الى هذا الخطاب حاشية كتبها بخطه وهذا نصها :

« أرجوك أن توافينى بجميع الاخبار ما جل منها وما قل . ولا تنتظر بالمهم منها قيام البريد ، بل أرجوك أن تسارع بارساله بالتلغراف وحساب النفقات على الوفد . وأنا الذى أدفعه اليك . فلا تكسل وانى أعتبر الاخبار بعدم وجود جديد خبرا . والسلام » .

سعد

الفصل السادس

سعد يعتزم أمرا

٢٨ من يناير سنة ١٩٢١ :

تسلم الرئيس صباح اليوم برقية بالشفرة أرسلها اليه مصطفى النحاس وقد جاء فيها : « ان الاعضاء العائدين قد نشروا بيانهم الموعود ذكروا فيه الخلاف تلميحا وأكدوا عدم الانقسام تصريحا وأن كل جماعة يقع فيها خلاف في الآراء ، وليس معنى ذلك أن كل خلاف فى الرأى يعتبر صدعا للوحدة وانقساما فى الجماعة ، أو خروجا على المبدأ أو ابتعادا عن الهدف الوطنى • ثم ختمت البرقية بالرجاء « المثلث » من مصطفى النحاس وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى ، أن ينشر الرئيس بيانا على الامة ينكر فيه كل انقسام ، ذلك لان بيان الاعضاء العائدين كان سالما وتأثيره طيبا فى الرأى العام فى مصر ، وأن المصلحة العليا للبلاد تقتضى العمل على ازالة كل خلاف وكل انقسام أملا فى ضم الصفوف » •

وغضب الرئيس من هذه البرقية غضبا شديدا • وأملى على برقية « مستعجلة » بأنه لا يرى رأيهم فى اصدار بيان بالمعنى الذى يريدونه •

وتلقى الرئيس أمس وأول أمس واليوم عددا غير قليل من البرقيات تهدف كلها الى اظهار الثقة فى شخصه والايمان بصحة خطته والتهنئة على ثباته ، ولعل هذه البرقيات كان لها بعض الشأن فى سخط الرئيس على نصيحة « الاعضاء الثلاثة » ورفضه لها ، كما كان لها أثر ظاهر فى عودته الى الهدوء والغبطة وقال :

« الحمد لله . ان الامة بخير ومتيقظة لكيد الـكائدين ، ولم نتأثر بختل المخادعين ولا بضعف الناصحين المتخاذلين)) .

الرئيس يفكر فى تعـديل اللائحة الداخلية للوفد

٢٩ من ينايرسنة ١٩٢١ :

فكر الرئيس فى أن ينشر على الأمة نداء هذا مطلعه :

« أشكر الأمة الكريمة التى وضعت ثقتها فىشخصى وهذهالثقة تحملنىمسئولية كبرى ، ولا يتأتى القيام بهذه المسئولية العظيمة من غير أن تكون مصحوبة « بحرية القول والعمـل » . فاعترض واصف غالى وعلى ماهر وسينوت حنـا على تخصيص ذكر الثقـة بشخص الرئيس لا بالوفد كهيئة ممثلة للأمة .

فغضب الرئيس وقال : « لا داعى الى هـذا النـداء اذن » ثم طواه ودهش الاعضاء الثلاثة وسكتوا . وكان سكوتهم عين الحكمة والصواب . ولا شك أن موضوع هذا الخلاف لايسمح بمناقشة ، ولا ينتهى بأية حجة يدلى بها أحد الفريقين ، وفى السكوت منجاة لكل صدام وعصمة من ظهور الخصام .

وبعد خروجهم شكا الى الرئيس من سلوكهم وانتقده فى مرارة ظاهرة فسألته : ماذا تقصد يا سيدى بعبارة ((من غير أن تكون مصحوبة بحرية القول والعمل ؟ » .

فقال الرئيس : لقد فكرت فى الايام الاخيرة فى ضرورة تعديل اللائحة الداخليـة للوفد على أسـاس أن العضو الذى يختلف مع الرئيس اختـلافا خطيرا أو كبيرا يقدم استقـالته ، فاذا امتنع جازت اقالته .

فسكت واستطرد الرئيس قائلا :

« لا يمكن انتظام العمل فى الوفد الا اذا تغير النظـام الخاص وأصبح من الممكن اخراج أى عضو يختلف مع الرئاسـة اختـلافا أساسيا شـديدا فاذا لم يكن كذلك استحال على العمـل مع قوم لا وفاء عندهم ، ولا حرص على المصلحة العامة » .

فآثرت استمرار السكوت ، فقـال الرئيس : « لماذا تسكت ، ولا تتكلم ؟ ان المسألة فى غاية الوضوح . وما من أحد يقول انه

اذا حصل خلاف شديد بين أحد الاعضاء والرئيس يخرج الرئيس ويبقى العضو . ولعلك لا تعلم أنهذا هو النظام المتبع فى جميع مجالس الوزراء في فرنسا وانجلترا وايطاليا وألمانيا » .

وهنا هبط السكوت عليه وعلى ، ولم يقطع هـذا السكوت الا برقية ثانية منالنحاس الى الرئيس أغضبته .. برقية وصلت من الأعضـاء الثلاثة وبامضـائهم وهى بالشفرة فسلمهـا الرئيس الى كالعادة لأحل رموزها ، وهذا نصها :

« ان الرأى العام فىالبلاد فى اضطراب شديد . ونرجوكم فى الحاح ألا تفعلوا شيئا يكون غيرقابل للاصلاح ، وأنترسلوا الينا ما ترونه وما تقترحونه قبل أن تنشروه مباشرة فى مصر » .

الامضاءات

النحاس . ويصا . عفيفى

فضـحك الرئيس فى سخرية ظاهرة وقال : « ما شـــاء الله يا سبحـان الله . هؤلاء الاعضـاء الثـلاثة يزيدون أن يقيموا من أنفسهم رقباء علينا » .

وفى المساء حضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنـا لزيارة الرئيس فأطلعهم على البرقية الرمزية الآنفة الذكر ، وكانتدهشة الرئيس عظيمة عندما رآهم يوافقون على مافيها من رجاء ، وكانت موافقتهم من غير شرط أو قيد أو أقل ملاحظة .

فلما لفتالرئيس أنظارهم الىأنه لا يجوز أنيقيم هؤلاء الاعضاء أنفسهم مقام الرقيب عليه وعلى اخوانهم الموجودين معه فى باريس

قال على ماهر : هذه ليست رقابة بل معاونة ، وهم فى مصر أدرى منا بما فيهـا من شعور عام وجو سياسى . وأيده فى ذلك واصف غالى وسينوت حنا .

الحالة العامة كما أراها وأتنبأ لها

٣٠ من يناير سنة ١٩٢١ :

الساعة السابعة صباحا ــ فى الايام الثلاثةالماضيةاستبدتالحالة العامة باحتكار كلأفكارى وكان تفكيرى فيها سطحيا حينا وعميقا حينا آخر ، وصحوت اليوم وقد تبلورت فى نفسى مشـاعر بارزة

وأصبح عقلى يقبلهـا قبوله للحقـائق الثابتة والافكار السليمـة الصحيحة فرأيت تسجيلها :

الشعور الاول : ان ميدان المعركة قد انتقل الى مصر ، وبعد أن كانت باريس ولنـدن هما قبلة الانظـار أصبحت القـاهرة قبـلة الانظار ومنـاط الآمال ، ففى القاهرة : عدلى والاغلبية من أعضاء الوفد ، وثلاثة من أنصار الرئيس (النحاس . وويصـا . وعفيفى) يريدون أن يقيموا من أنفسهم « رقيبـا » على الرئيس واخوانه فى باريس (على حد تعبير الرئيس) ، وفى مصر رأى عام وفى مصر وزارة توفيق نسيم تستعد للرحيل ، ووزارة بريـاسـة عدلى تستعد للظهور . والدعاية السياسية لعـدلى تنتشر وتتسع دائرتها يوما فيوما . وأعضاء الاغلبية الوفدية يؤيدونهـا مع كل من يقابلهم من الاهل والاصدقاء والزائرين . وهؤلاء يخرجون من مقابلتهم لينشروا ما سمعوا ، فالصراع بين سياسة عدلى وسياسة سعد قد اشتد وتفاقم .

الشعور الثانى : أن الرئيس سعد اصبح موجـودا فى باريس ليس معه الا أعضاء ثلاثة (على ماهر . وواصف غالى . وسينوت حنا) وهم يخالفونه فى بعض أفكاره واتجاهاته ورغباته .

الشعور الثالث : إن الرئيس يعانى أزمة نفسية حادة وهى فى نظرى أشبه ما تكون بأزماته النفسية الحادة التى عانى من ويلاتها ما عانى فى الفترة السابقة لمفاوضاته مع ملنر .

الشعور الرابع : ان بقاءنا فى باريس أصبح عبثا لا طائل تحته . فلا يمكن أن تدار معـركة فى مصر وقيادتها فى باريس ، ولابد للرئيس عاجلا أو آجلا من أن يقرر العودة الى مصر كمـا عاد المنشقون الخارجون عليه من اعضاء الوفد حينذاك ، وحينذاك فقط : يقابل خصومه وجها لوجه والغلبة والنصر له لا محاله بفضل شخصيته القوية السحرية ومقـدرته الخطابية . هذا فضلا عما لديه من أسلحة فتاكة هائلة : فصاحة دافقة وشجاعة فائقة ، ونشاط عجيب وايمان أعجب . فالحق فى جانبه وسياسته وأهدافه هى الاستقلال الذى ثارت الامة من أجله ، وعلقت عليه كل أمل وكل رجاء ، واما خصومه فليست لهم هذه الاسلحة وهم الخاسرون بلا شك وهو المنتصر لا محالة .

الشعور الخامس : ان العوامل الحاسمة التى ستخرج الموقف من ركوده الحالى وستدفع الرئيس دفعا الى اتخاذ قرار جديد هى فى نظـرى :

أولا : عندما يتولى عدلى باشا رياسة (الوزارة) فعلا ويبـدأ نشاطه الرسمى استعدادا للمفاوضة الرسمية .

ثانيا : ظهور تقرير ملنر وما يكشف عنه من نيات واتجاهات وغايات .

ثالثا : شعور الرئيس بعـدم جدوى بقائه فى باريس ، بينما المعارك الحاسمة تدور فى مصر بين أنصاره من غير قائد ، وخصومه بقيادة عدلى نفسه ، حينذاك تتقرر بصفة نهائية (العودة) الى مصـر .

هذه العوامل الثلاثة مجتمعة أو احدها منفردا ينطوى على قوة عاملة حاسمة فى وضع حد للحالة الراهنة ، والخروج من هـذا الركود المضطرب وتسيير الامور فى اتجاه جديد .

الشعور السادس : ان الخـروج والانشـقاق على الرئيس هو المصير الذى ينتظر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنـا وهذا الشعور عندى يقوم على أساسين أو اعتبارين :

الاول : ان هؤلاء الاعضاء الثلاثة الباقين مع الرئيس حتى الآن فى باريس لا يكادون يتفقون معه على شىء بل أنهم يكادون يخالفونه فى كل شىء .

الثانى : ان الرئيس اصبح شديد النفور منهم والسخط عليهم كما سجلت ذلك فى الاعتراف العشرين حيث قال الرئيس فيه : ان دوام هذا الحال من المحال . هذا وأشعر كذلك ان على ماهر وسينوت حنا سينضمان الى الاغلبية الوفدية المنشقة وأما واصف غالى فيسعتزل السياسة ويعود الى الفلسفة والادب .

الشعور السابع : ان الرئيس سعد سيجد فى نفسه الشجاعة (بعد ان يتركه بعض أعضاء الوفد) ان يختار وان يعين أعضـاء جددا يتوسم فيهم الاخلاص لشخصه ويركن اليهم فى العمـل والتعاون معهم باستمرار لخدمة قضـية الاستقلال ما فى ذلك شـك .

وبهذا ينفذ فكرته التى كانت تهدف الى تعديل اللائحة الداخلية للوفد تعديلا يجعل العضو الذى يختلف مع الرئيس اختلافا كبيرا يستقيل أو يقال . وان سعدا لقادر على ذلك كله لانه أسد مكافح لا يلين ولا يستكين ، وسمعته فوق متناول الناقدين ومكانة سعد

فى الامة لاتبت من رضوى ولأمنع من عقاب الجو ولا ترقى اليهـا سهام الحاقدين والهادمين والفاتكين ، ولو كانت مكانة سعد فى الامة قابلة للهدم والزوال لكانت بريطانيا اقدر على هدمها وازالتها، ولو كانت سمعة سعد قابلة للتشويه والتحطيم لاستطاعت الدعاية البريطانية الفنية الواسعة الانتشار أن تصل الى هذه الغاية ولو فى الاقطار العربية والهندية والصينية الخاضعة للنفوذ البريطانى، أو فى البلاد التى تفصلها عن مصر مئات أو آلاف من الاميال حيث لا يذكر اسم سعد الا مقرونا بالاعجاب والثناء والتقدير ، وهـذه بلاد لم تعرف فى سعد غير اسمه وموجز جهاده واهدافه السياسية فكيف ببلاد مثل مصر عرفت انه ابنها البار وزعيمها الشجاع المكافح المنافح لتحقيق اعز امانيها فى الخلاص من ذل الاستعمار والنهوض بها الى عز الاستقلال ؟

الشعور الثامن : ان الرئيس سعد اصبح شخصية عالمية ما فى ذلك شك فلن يتم اتفاق مع بريطانيا عن غير طريقه أو بغير موافقته، والمسألة فى ذلك واضحة وضوح الشمس فى رائعة النهار .

ان سعدا لن يقنع بما دون الاستقلال ولن يقبل ما يتعارض مع هذا الاستقلال ، وأن ثقته بنفسه وايمانه بقضية الاستقلال والغاء الحماية وانهاء الاستعمار البريطانى لمصر باتمـام جلاء القوات المحتلة للبلاد ، لارسخ فى أعماق عقله وقلبه وخلايا جسمه من أن يصرفه عنها جبروت المحتلين ومؤامـرات الحاقدين ودسائس الدساسين ، ومخالفـة المخالفين من اعـدائه وانصاره على السـواء .

ولا يعادل هذه الثقة بالنفوس ، وهذا الايمان بهذه الاهداف الوطنية العليا الا ثقته بولاء الشعب له ، والتفافه حوله فى عـزم ووعى ومثابرة بعد ثورته الكاملة الشاملة العارمة التى لم يسبق لها مثيل فى تاريخ مصر كله منذ عهد الفراعنة حتى الان، وما هى النتيجة الحتمية التى تترتب على ذلك كله ؟ هى باختصار ، ان كل ما يرفضه سعد من عروض الانجليز ويقبله غيره مرفوض من الامة حتما ، واذا زعم الزاعمون بأن ما يقبله غيره هو الاستقلال تساءل السائلون من المصريين : اذا كان ما تقولون صحيحا فلمـاذا لم يعرضه الانجليـز على سـعد ليرضى عنه ويبـاركه ويؤيده ؟ أم هـل قـدموه لعـدلى حبـا فى سواد عينيه ؟ ـ حينـذاك لن يسمح الشعب المصرى جوابا يمكن أن يرضى ويقنع ، وهذا منطق الشعب فى براءته وبساطته المفحمة .

ولهذا أشعر شعورا قويا بأن المفاوضات الرسمية التى سيجريها عدلى مع الحكومة البريطانية على أساس مشروع ملنر (وبدون اشراك سعد معه) مقضى عليها بالفشل المؤكد وليس يجوز فى عقل عاقل أن تسليم الانجليز لعدلى بالغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال مع استمرار سخط المصريين عليهم وشكهم فى نياتهم ورفضهم لاعمالهم ، ولو سلموا لسعد بذلك لاطمأن الناس الى صدقهم نتيجة اطمئنانهم الى الثقة بزعيمهم ، وبهذا ترضى مصر وينتهى كل خلاف وخصام بيننا وبينهم . ان المسألة مسألة ثقة ، وثقة الامة فى زعيمها سعد بلغت غاية الكمال .

استقالة ملنر !

٣١ من يناير سنة ١٩٢١ :

نشرت جرائد لندن اليوم أن لورد ملنر قدم استقالته من الوزارة ، وان استقالته قد قبلت وانه قد منح وسام (ربطة الساق) وهو أعلى وسام فى بريطانيا وذلك تقديرا لخدماته الممتازة لامته وللامبراطورية البريطانية . كما نشرت جريدة التيمس مقالة افتتاحية تفيض بالاعجاب والتقدير لعبقريته وجهوده التى ساعدت على حل الكثير من المشكلات الدولية العويصة لاسيما فى مفاوضاته مع سعد زغلول والوفد المصرى .

اسباب استقالة ملنر !

لاستقالة ملنر اسباب صحيحة أثبتها الواقع ، واسباب كاذبة من نسج الخيال .

أما الاسباب الصحيحة فقد نشرت فى لندن . وأما الاسباب الكاذبة فقد نشرت فى مصر .

ففى لندن : نشرت جريدة التيمس ان ملنر رجل ارهقه العمل المتصل والجهود المضنية التى بذلها فى مؤتمر الصلح بفرساي ولجانه المختلفة ، ثم فى اعمال لجنته الخصوصية التى سافرت الى مصر للبحث والتحقيق وانتهت بالمفاوضات الطويلة المملة مع الوفد المصرى فى لندن ، وأن ملنر فى أشد الحاجة الى الراحة والاستجمام لا سيما انه قد جاوز السابعة والستين من عمره .

ونشرت جريدة نيوز أوف ذى وورلد : ان ملنر قادم على مشروع زواج وقد تزوج ملنر فعلا أرملة صديقه لورد ادوارد سسل بعد استقالته . وسافر العروسان الى جنوب فرنسا لتمضية شهر العسل .

ونشرت الديلى ميل ان ملنر قرر اعتزال الحياة السياسية المضنية ذات المسئوليات الخطيرة المتعبة لمن فى مثل سنه، وسيكتفى فى المستقبل بالكتابة فى الجرائد ، الوقت بعد الوقت .

وهذه الانباء كلها صحيحة وقد أيدها الواقع واثبتت صحتها الايام .

أما فى القاهرة : فنشرت الجرائد أن خلافا خطيرا وقع بين ملنر وزملائه الوزراء رأوا أن ملنر جاوز الحد المقبول بتساهله أكثر مما ينبغى مع الوفد فى اثناء المفاوضات ، وان المشروع الذى قدمته اللجنة لا توافق عليه الحكومة البريطانية فى شكله الحالى لانطوائه على سخاء لمصر اكثر من اللازم .

وهذه المزاعم كلها هراء ومن نسج الخيال اذ لا يوجد فى الوزارة البريطانية كلها وزير واحد اشد ضراوة فى الاستعمار من ملنر نفسه ، ومع هذا نشرت هذه المزاعم فى مصر وكان أول من نشرتها جرائد عدلى المؤيدة لسياسته ولمشروع ملنر وذلك لايهام الناس أن المشروع فى خطر وان من الخير التمسك به حتى لاتعدله الحكومة البريطانية الى ما هو أسوأ . ولعل من المصادفات التى أيدت هذه المزاعم نبأ تعيين مستر ونستون تشرشل خلفا لملنر فى وزارة المستعمرات فى شهر فبراير سنة ١٩٢١ .

تصريح خطير لتشرشل !

وقبل تسلمه مهام هذا المنصب رسميا القى خطبة فى مأدبة اقيمت للورد ريدنج الذى عين حاكما عاما للهند تناول فيها المسألة المصرية واعتبرها من المسائل البريطانية الخاصة ، وصرح بان مصر جزء من الامبراطورية البريطانية ، كما أعرب عن أمله فى أن الصعاب القائمة من جانب مصر وأرلنده تتناقص بعد زمن وجيز، وان تتولى هاتان الامتان شئونهما الداخلية فى خلال السلام داخل الدائرة المرنة للامبراطورية البريطانية

احتجاج مصر على التصريح !

أثار هذا التصريح عاصفة من الاحتجاجات فى مصر ، واخذت بعض الجرائد المصرية فى سذاجة ظاهرة تمدح ملنر وتذم تشرشل وتظهر الاسى والاسف لاستقالة ملنر وخروجه من الميدان قبل أن يتم عمله ويقبل مشروعه وتجرى المفاوضات الرسمية بين مصر وبريطانيا الى نهايتها المرجوة ، وهكذا أصبح ملنر الاستعمارى القح أرحم وافضل من تلميذه الاستعمارى الصغير تشرشل فى نظر الجرائد المصرية المؤيدة لسياسة عدلى ولمشروع ملنر .

وهكذا اظهر فريق غير قليل من المصريين اهتمامهم وشغفهم بمشروع ملنر بعد أن كانوا يتظاهرون بمحاربته أو بعدم قبوله الا بعد تعديله بالتحفظات ، ولقد حزن الرئيس سعد لهذه الحال أشد الحزن وقال فى كمد : ((انها لفضيحة !!! ما أصغر عقولهم وما أضعف نفوسهم وما أخف أحلامهم، انهم يثيرون فى نفسى التقزز والاشمئزاز)) . ثم ارسل برقية احتجاج شديد على هذا التصريح الى رئيس الوزارة البريطانية .

الصراع المثلث

٢ من فبراير سنة ١٩٢١ :

ما أجمل باريس انها مسرفه فى الجمال حتى فى هذا اليوم الابيض : كل ما أراه اليوم بياض ناصع البياض فقد غطى الثلج ليلا جميع الشوارع والطرقات والشرفات ، وخرجت فى الثامنة صباحا سيرا من مسكنى الى محل عملى فى الشانزليزيه ، والثلج مازال يتساقط كالقطن المندوف وقبعات الرجال والنساء بيضاء بما حملت من الثلج الخفيف ، ومن عجب أن البرد لا يتزايد وانما يتناقص ذلك لان البرد يستنفد طاقته اللازمة وعنفه الشديد فى تحويل بخار الماء المعلق فى الهواء الى ثلج يتساقط ، فالبرد محتمل ومنعش .

فى الساعة التاسعة صباحا كنت مع الرئيس فى حجرة مكتبه فوجدته جالسا وسط أكوام من الجرائد المصرية يطالعها فى شغف ونهم ، فقضيت معه نصف ساعة نطالع هذه الجرائد فى صمت تام

من جانبه وجانبي ، ولاحظت أن المعركة ما زالت ناشبة دائرة حامية الوطيس في مصر بين معسكرات ثلاثة :

الاول : معسكر انصار عدلي ومؤيديه ومريديه من الخطباء والكاتبين .

الثاني : معسكر انصار الوفد ومؤيدي الرئيس من الكتاب المتحمسين .

الثالث : معسكر رجال الحزب الوطني المعادين ، ومن الكتاب الساخطين وفي طليعتهم أحمد وفيق المحامي .

هذه المعركة المثلثة الاركان ليست في الواقع الا مظهرا من مظاهر الصراع السياسي المحموم الذي تزيده حدة نفوس مستثارة بلوافح الغيظ المكتوم والتعصب الاصيل المكظوم وانعدام التسامح ، فهي في الواقع حرب أهلية يسيل فيها الحبر بدل الدماء وتنفجر فيها الحناجر بدل القنابل وتعصف فيها الاهواء بأقوال ، بعضها جد وبعضها هراء ، ثم ألقيت بما في يدي من جرائد ونظرت الى الرئيس فوجدته مازال يطالع في تقطيب ويستمر في المطالعة من غير تعليق أو تغضيب ، وبينما نحن في هذا السكوت الشامل دخل الدكتور حامد محمود ومعه خطاب بالانجليزية مع ترجمته بالعربية وهمس في أذن الرئيس وسلمه الورقتين فألقى الرئيس جانبا بالجريدة التي في يده وقال : (خطاب آخر من مستر بلنت ماذا فيه ؟)

خطاب هام من بلنت للرئيس

والتفت الى الرئيس وقال : هذا يا كامل خطاب مستر بلنت وعليك أن تنقح ترجمة حامد له .

وفيما يلي نص الخطاب بعد اعادة ترجمته .

عزيزي زغلول باشا ..

((تسلمت اليوم خطابا من لورد ملنر يرجوني فيه أن أكون شفيعه لديك مرة أخرى بفضل صداقتي الشخصية لك ولمصر والمصريين حتى لا يقيم العقبات في سبيل قيام وزارة برياسة عدلي وفي سبيل البدء في المفاوضات الرسمية بين ممثلي الحكومتين المصرية والبريطانية ويقول أن هذه المفاوضات يجب أن تبدأ قريبا ، ومن غير قيد أو شرط سابق . على أن يكون كل طرف حرا في أن يطلب ما يريد ويشترط في

المفاوضة ما يشاء ، ويؤكد أن التمسك بضرورة قبول التحفظات أولا وقبل كل شيء ولا سيما ضرورة النص على الغاء الحماية مقدما عبث لا طائل تحته بل فيه الضرر ولا خير فيه على الاطلاق ، اذ من شأنه أن يحبط كل الجهود التى بذلها ملنر معك فى تلك الشهور الطويلة بل قد يترتب عليه سقوط المشروع الذى تقترحه لجنة ملنر .

وانى يا عزيزى زغلول باشا ارى ان هذا الكلام معقول جدا . ولست أرى أى ضرر على القضية المصرية ، ولا أى احراج لك وللمصريين فى قبوله ، لهذا أرجوك مخلصا أن تعيد النظر وتطيله فى هذه المسألة اذ فى ذلك فوائد عملية لا يستهان بها .

هذا ولا اخفى عليك يا عزيزى زغلول باشا ان جملة وردت فى خطاب ملنر قد استرعت نظرى لانها تنم عن اغتباطه وسروره بالروح المعتدلة التى انتشرت بين اتباعك وانصارك داخل الوفد وخارجه ، ولا شك أن هذه الحقيقة من شأنها أن تساعدك على تعديل موقفك من التحفظات تعديلا يتفق مع الاغلبية العامة فى تأليف وزارة الثقة فى مصر برياسة عدلى باشا والبدء فى المفاوضات بغير قيد أو شرط ، ولا حاجة بى أن أؤكد لك أن الرأى الاخير سيكون دائما رأيك لانك زعيم مصر الذى لا ينازع ، وسيكون لرأيك الاخير الوزن كل الوزن .

هذا وقد جاء فى خطاب لورد ملنر كذلك أنه سيخرج من الوزارة بعد أيام ليستريح ، ولكن هذا الخروج لن يكون له أقل تأثير فى سير الحوادث على الوجه الذى رسمه حتى يتم ابرام المعاهدة بين مصر وبريطانيا على الاسس التى اقترحها ، والتى يعتقد صادقا أنها خير ما ينبغى اتباعه فى الوقت الحاضر . هذا وانى أبعث اليك يا صديقى زغلول باشا بأخلص تحياتى))

المخلص بلنت ٢٥ من يناير ١٩٢١

ثم سلمنى الرئيس ثلاثة خطابات أخرى من بلنت وقال : لا تتبادل الرأى فيها الآن وأرجو أن تعود الى فى الرابعة بعد الظهر .

برقيتان بالشفرة

عدت فى الساعة الرابعة بعد الظهر فوجدت الرئيس فى مكتبه وفى يده برقيتان بالشفرة ، وكلتاهما بامضاء مصطفى النحاس

وويصا واصف والدكتور حافظ عفيفى فقضيت حوالى الساعة فى فك رموزهما وترجمتهما الى العربية .

أما البرقية الاولى : فتحمل رجاء مكررا حارا الى الرئيس لكى ينشر كلمة كريمة طيبة عن أعضاء الوفد العائدين الى مصر لاسيما أن مسلكهم منذ عودتهم الى مصر لا غبار عليه مطلقا وعندهم كل الميل الى المسالمة والاتفاق .

والبرقية الثانية : تحمل نص العبارة التى نشرت فى جرائد مصر بامضاء هؤلاء الاعضاء الثلاثة : النحاس . وويصا وحافظ عفيفى وفيها ثناء على الاعضاء العائدين وتأكيد لروح التعاون والتضامن بين أعضاء الوفد جميعا .

الرئيس يغضب ويعتزم أمرا جللا

ما كاد الرئيس يطلع على هاتين البرقيتين حتى ثار غاضبا وتألم أشد الالم وقال فى مرارة ظاهرة :

((يا عجبا كل العجب انهم يعلمون منى تمام العلم كل التفصيلات ورأيى واضح ، ولا حول ولا قوة الا بالله)) .

ثم سكت فى هم ظاهر واستطرد : لست أدرى كيف يعاودون الكتابة الى فى هذا الموضوع المرة بعد المرة ، والكرة بعد الكرة ، ألا يقتنعون ؟ ألا يفهمون ؟

ثم استطرد قائلا : « لست ادرى والله ما الفائدة فى أن أعلن للناس ما يعتقد الناس عكسه . وكيف أكذب على الناس عامدا متعمدا وهم يعلمون الحقيقة .. ؟

ان الاعلان الذى يطلبونه منى يضر ولا ينفع و لاقيمة له على الاطلاق وسيضحك الانجليز منه ساخرين ، والشعب فى مصر سيندهش من أحوالنا الصبيانية فتضعف ثقته فى أقوالنا وتصريحاتنا بينما يظل المنشقون المخالفون على حالهم، فلن يعودوا الى رأينا ولن يعدلوا عن خطتهم بل لعلهم يتخذون من كلمتنا وسيلة لترويج بضاعتهم ، ودس الدسائس ضدنا)) .

وهنا سكت الرئيس طويلا ثم قال فى حزم وعزم :

((ان من الخير أن أعلن على الناس فصلهم واستقلالى بالعمل دونهم

بعد أن أنشر على الناس حقيقة أمرهم وما يهدفون اليه ، ان الظروف القاهرة ستضطرنى الى ذلك اضطرارا لان هذا هو السلوك الوحيد المستقيم الذى لا مندوحة عنه ولا سبيل الى تفاديه ، ان معاملتهم الخاصة والعامة معى قد اقنعتنى بما لا سبيل الى الشك فيه بأن الثقة بيننا قد اصبحت معدومة ميتة ومتى انعدمت الثقة بين العاملين استحال العمل المجدى واستحال التعاون .

انى لأسأل نفسى كل يوم ما الذى يضطرنى الى العمـــل مع اشـــخاص لا تتوافر الثقة بيني وبينهم ، وأهدافهم غير أهدافى : ما الذى يجمعنا الآن ؟ كيف أعلن اتحادى مع اناس يعملون ضدى وعلى مخالفتي ويسعون وراء غاية غير غايتى ؟ كيف أعلن الثقة فيمن انعدمت الثقة فيهم؟ هذا تكليف بما لا يحتمل ولا يستطاع ولا يطاق؟

انى لست ماجورا فى عمل ولا ساعيا وراء غاية ذاتية ، ولكن شعورا قويا قام بى نحو خدمة بلادى فجريت معه ونزلت على حكمه حتى تلغى الحماية ويتحقق الاستقلال .

ان هذا عهد كتبته على نفسى وساظل وفيا لهذا العهد ما حييت . فلماذا يطلب منى أن اسير ضد شعورى وأخرج على عهدى وأعمل بغير رايى ؟

كيف اتحمل الهوان ممن لا احترم لهم رأيا ولا انتظـر منهم فى العمل عونا ونفعا ، ولا اجد فى صحبتهم الا ضرا وشرا ؟ .

ان كانت الامة تريد منى أن أعمل مع انعدام الثقة واختـلاف الهدف وأن أوافق المخالفين ، فلتعلم الامة أنى عاجز عن تنفيذ رغبتها، والنزول على ارادتها فى هذا الشأن ، ولتبحث لها عن غيرى ليسعى بها الى غايتها ، أما أنا فبعد أن تحملت وتألمت مثل ما تألمت ، قد ضقت ذرعا وأصبحت لا أستطيع الصبر على ما أنا فيه ، لقد أنهك الخلف قوتى . وأضعف العناد صحتى ، وقد عزمت على أن أتخلص نهائيا مما ارسف فيه من القيود)) .

رد الرئيس على البرقيتين

عند هذا الحد من تدفق الرئيس دخل واصف غالى وسينوت حنا مكتب الرئيس فاطلعهما على البرقيتين الشفريتين وأظهر سخطه عليهما لاسيما الرجاء الحار الذى حملته البرقية الاولى ، وانتظر من

العضوين تعليقا أو تأييدا له ، ولكنهما سكتا فانفعل الرئيس وقال : ((لابد من الرد فورا)) • ثم أملى على ما يأتى لكى أرسله بالشفرة الى مصطفى النحاس :

((آسف أن أرفض رجاءكم ومسلك الاعضاء وبيانهم لايستدعيان منى اى رد ، فضلا عن أن لدى من الاسباب القوية ما يمنعنى من الاستجابة لرجائكم ، ولعل مقاله التيمس الافتتاحية المنشورة صباح اليوم تنوركم فقد فضحت كل سند عن العلاقة بين الاعضاء والرئيس)) •

ومقاله التيمس التى اشار اليها الرئيس فى هذه البرقية نشرت ما ترجمته حرفيا :

((ان زغلول باشا قد أصبح اليوم فى واد ، وأغلبية أعضاء الوفد فى واد آخر • المعسكران مختلفان كل الاختلاف والطرفان غير متفقين على أهم المسائل الاساسية ، وفى طليعة هذه المسائل موضوع المفاوضات الرسمية المقبلة ، والاساس الذى تقوم عليه الاهداف التى ترمى اليها)) •

سأل الرئيس العضوين عن رأيهما فى هذا الرد ، فسكت سينوت وقال واصف ((لا بأس به)) • وانصرفا ، ثم انصرفت لاعداده بالشفرة وأرسلته فى المساء •

تعليقى على خطاب بلنت

٣ فبراير ١٩٢١ : سألنى الرئيس هذا الصباح عما اذا كنت قرأت خطابات مستر بلنت التى سلمها الى أمس فقلت : قرأتها فى شغف واهتمام •

فقال الرئيس : وما هو أهم ما لفت نظرك فيها ؟

فأجبت : فقرة خطيرة وردت فى أحد هذه الخطابات وفيها يقول مستر بلنت : ((ورد الى اليوم خطاب من لورد ملنر وفيه يقول : « كنت أحب ألا يهتم زغلول باشا بمسألة ضرورة النص على الغاء الحماية ويتشبث به الى هذا الحد ، اذ يكفى أن تعتبر شروط المشروع ومواده الغاء للحماية وفى استطاعة زغلول باشا أن يقول لمواطنيه ذلك دون أن يعترض عليه أحد هنا أو هناك (أى فى انجلترا ومصر) هذا مع أن كثيرين من زملائه الذين يعملون معه ويسعون مثله الى

نفس الغاية وهي الاستقلال ، يحاولون اقناعه وأفهمامه بعدم ضرورة هذا التشبث وترك الموضوع للمعالجة في المفاوضات الرسمية المقبلة، ولكنهم لم يوفقوا معه حتى الآن واني لارجو منك يا عزيزي بلنت أن تستخدم مكانتك الرفيعة في نفس زغلول باشـــــا فتكتب اليه لكي يتساهل ويتفق مع زملائه على عدم الضرورة في النص على الغاء الحماية صراحة من الآن ، واني أعرف أن زغلول باشا يثق بك ثقة كبيرة وهو كثير التشكك في نيات كل وزير بريطاني وأن كان يثق بي شخصيا أكثر من ثقته في سائر الوزراء البريطانيين الآخرين ، واني مستعد أن أنفذ المشروع كما هو والحكومة البريطانية موافقة على ذلك تمام الموافقة • فاذا سقط هذا المشروع بعد ذلك فلن يكون ذلك الا بسبب العراقيل التي يقيمها زغلول باشا وحده في سبيل المفاوضـــات الرسمية وفي سبيل الاتفاق المنشود)) •

ثم قلت : ((هذه هي الفقرة الخطيرة التي لفتت نظري وأقنعتني اقتناعا تاما بأن ملنر يعلم كل العلم بالانقسام الموجود في الوفد ويعرف أسبابه وبواعثه ومداه فمن الذي أحاطه بكل دقائق الموقف الى هذا الحد غير عدلي العليم الخبير بالحالة داخل الوفد ؟ • لاشك عندي في أن تشبث ملنر في رفض طلباتك انما يرجع الى عرفانه بحقيقة الخلاف داخل الوفد)) •

وقعت كلماتي هذه على مسامع الرئيس أجمل وقع ، وكأني به قد شعر بالغبطة • ثم أخذ يهز راسه وعلى شفتيه ابتسامة خفيفة وقال في مرارة : ((ومع ذلك ترى النحاس وصاحبيه يريدون مني أن أستمر في العمل مع هؤلاء القوم وأغمض عيني عن الواقع الشائك الاليم ، كأن مجرد اغماض العين عن الحقائق يزيل الاشواك أو كأن الكلام الطيب الكاذب يمهد الطريق ويزيل الاخطار ويحقق الاحلام ، ان هذه سياسة النعامة)) •

ثم قلت للرئيس : في نفسي سؤال لا أعرف له جوابا • قال : ما هو ؟

قلت : لماذا لم تعقد جلسة للوفد يحضرها جميع الاعضاء قبل عودتهم الى مصر ، وتطلعهم على خطاب مستر بلنت هذا الذي يهتك المستور ولا تجدي معه مراوغة أو انكار ، انك لو فعلت هذا لكنت تخجلهم وتفجعهم أو توقظ ضمائرهم •

فقال الرئيس : سؤالك هذا يا كامل ليست له القيمة العملية التي تتصورها • ولا فائدة مطلقا في عقد اجتماع لمثل هذه المسألة ، لان

الاعضاء سوف يقولون ((وما شأننا نحن اذا كان ملنر قد عرف رأينا ورأيك فى مسألة معينة أو فى أى موضوع من الموضوعات ، اننا لم نذهب اليه ونخبره • ففيم اللوم والعتـــاب)) ، واذا قلت لهم أن صاحبكم عدلى هو الذى أخبره واطلعه على أسرار المداولات فى الوفد لانه الوحيد المطلع على هذه الاسرار ومتصل بملنر في الوقت عينه ، أجابوا : هذا شأن بينك وبين عدلى كلمه وحاسبة واعرف رايه، ولكن لاداعى الى عقد جلسة للوفد ينظر فيها فيما لا شأن له به ؟ ومن يدرى فقد يقولون أكثر من هذا • يقولون مثلا : ان لك رأيا فى مسائل معينة ولعدلى راى مخالف فى هذه المسائل ، وعدلى ليس عضوا فى الوفد حتى يلتزم بالتزامات الاعضاء ، فاذا سأله ملنر عن رأيه الخاص هل كان من الممكن أن يكتمه ولا يبوح به لملنر لانه مخالف لرأيك ؟ واذا سأله ملنر عن أى الرأيين : رأى عدلى أو رأى سعد يحظى بموافقة أغلبية أعضاء الوفد هل كان من الممكن أن يمتنع عدلى عن الاجابة بأن رأيه الخاص أرجح كفة من رأى سعد ؟ •

ثم استطرد الرئيس في تدفقة وكأنه يلقى كلاما محضرا أو يقرأ من ورقة مكتوبة: ولو أنى عاتبت عدلى أو وجهت اليه الاتهام لانكر الاتهام واستنكر العتاب ولاجابنى بأننى انما أحكم بالقرائن والشبهات وليس لدى دليل حاسم سوى سوء الظن والاستنتاج ، وما الذى يمنع ملنر من أن يكتب ما يشاء الى صاحبه بلنت أو غير بلنت ؟ .

ان المسألة يا كامل ليست بالبساطة التى تصورتها وليست لها فى الواقع أية فائدة عملية ، بل الضرر منها انها ستزيد العـــلاقات سوءا بينى وبين عدلى ان كان وراء سوئها الحالى متسع للزيادة)) •

أصغيت الى الرئيس وهو يتحدث فى سهولة ويسر ، ثم قلت عند انتهائه من كلامه لقد اقتنعت • ولكنك يا سيدى قد جاوزت حدود الاقناع ووصلت ببيانك الى حدود الاقحام • فابتسم وقال : هـــذا أسلوب جميل فى التعليق ••

حياة بلنت

٤ من فبراير سنة ١٩٢١ :

لقد لعب مستر بلنت دورا على أعظم جانب من الاهمية على مسرح العلاقات المصرية البريطانية ، وكان موضع الاحترام والتقدير من جميع

الزعماء المصريين قديما وحديثا . وأرى من واجبى أن ألخص حياته وبواعثه وأهدافه عرفانا بفضله وتنويها بذكره وتبيينا لمآثره وآثاره .

ولد (بلنت) فى سسكس فى ١٧ اغسطس عام ١٨٤٠ وكان والده ضابطا اشـــترك فى معركة الجزيرة ، واسرته ارستقراطية وغنيـــة ومحافظـــة .

فى سن ١٨ التحق بالسلك الدبلوماسى ســـكرتيرا فى الســـفارة البريطانية بأثينا ثم مدريد فباريس ثم البرتغال وسويسرا وأمريكا الجنوبية ، وقضى فى هذه الخدمات الدبلوماسية حوالى ١٢ سنة .

اعتزل خدمة الحكومة البريطانية عند زواجه من لادى آن حفيدة الشاعر المشهور بيرون .

فى ١٨٧٢ ورث بعد وفاة اخيه الاكبر ضيعة ضخمة فى مقاطعـــة سسكس واشتغل بالكتـــابة فى الصحف وبالتاليف شعرا ونثرا ، وبدأت تبرز مواهبه المتعددة الجوانب ، فاشتهر اســـمه كاتبا نابها وشاعرا مبدعا ومتحدثا بارع الحديث ، فكثر أصحابه المعجبون به .

أحب السياحة فزار استنبول والجزائر ومصر والعراق والجزيرة العربيـــة .

فى شتاء عام ١٨٧٦ كان أول لقاء بين بلنت ورجالات مصر فى ذلك الحين فشهد الثورة العرابية وصاحبها ، وكان يعطف على المطالب القومية المصرية اشد العطف ، كما استنكر بلسانه وقلمه فى الصحف السياسة البريطانية الاستعمارية أشد الاســـتنكار اذ رآها رأى العين تحيك المؤامرات وتلجأ الى كل أساليب الختل والكذب والخداع تمهيدا لتدخلها واحتلالها لمصر ، وكان صديقا حميما لعرابى والشيخ محمد عبده، وأجرى معهما أحاديث منوعة وعرف نواياهما وأهدافهما فأعجب بهما ، وأرسل رسالة ضافية الى جلادستون رئيس الوزراء البريطانية بخلاصة أحاديثه مع عرابى ، وقد اشترك معه فى وضـع هذه الرسالة الشيخ محمد عبده نفسه واطلع عليها عرابى قبـل ارسالها الى لندن ، وكان عمره فى ذلك الوقت ٤٢ سنة وعمر سعد زغلول ٢٢ سنة وقد تعرف به سعد فى منزل الشيخ محمد عبـده واعجب به .

ظل بلنت يعطف على قضية مصر طوال حياته وظل حزينا على مرور السنين بسبب احتلالها ، وقد ألف بلنت كتابا ضخما بعنوان (التـــاريخ السرى للاحتـــلال الانجليزى لمصر) وطبعه ونشره عام ١٩٠٧ .

وقد ضايق هذا الكتاب (بأسراره الخطيرة المكشوفة) الحكومة البريطانية حتى أنها حاولت مصادرته ومنع انتشاره بشراء كل النسخ المعروضة فى الاسواق حتى لا يطلع عليه النـــاس خارج بريطانيا .

وعندما فشلت ثورة عرابى واحتل الانجليز مصر عام ١٨٨٢ قام بلنت بنشاط كبير فى لندن للدفاع عنه ، فأختار المحامى الانجليزى القدير برودلى ليكون محامى عرابى فى أثناء محاكمته ، كما قابل رئيس الوزراء جلادستون وولى العهد وكثيرين من أعضاء البرلمان ، ولما فشل فى انقاذ عرابى من مخالب السياسة الاستعمارية ومخالب الخديو توفيق الذى كان يريد اعدام عرابى من فرط غيظه وحقده عليه ، نظم فى عرابى قصيدة طويلة بعنوان (الريح والعاصفة) .

ودرس بلنت (اللغة العربية) وأتقنها وأحب الادب العربى ، وكان يرى أن العرب هم ورثة مدنية عامرة بالبطولات والادب الحى الجميل .

ومما هو جدير بالذكر ان المحامى برودلى (بعد عشرة أيام من بدء محاكمة عرابى) أرسل برقية الى بلنت جاء فيها ان أزمـــة خطيرة قد ظهرت اذ علم من ثقة أن الخـــديو مصمم على شنق عرابى وأنه لن يرضى بأقل من ذلك عقوبة ، فهاج بلنت وماج وكتب مقالا ضافيا فى جريدة التيمس هاجم فيها الخديو واتهمه علنـــا بأنه سبب كل المتاعب ، كما اتهمه صراحة (بالرغبة) فى اعـــدام عرابى الوطنى المصرى ، فثار الرأى العام فى انجلترا حتى اضطرت الحكومة البريطانية أن تنصح الخديو الا يتدخل وأن يعدل نهائيا عن رغبته فى شنق عرابى فعدل كارها .

ولما صدر القرار بنفى عرابى الى جزيرة سيلان مع بعض صحبه هزت الاريحية بلنت الى السفر الى سيلان فى ٢٠ من اكتوبر عام ١٨٨٣ لزياره عرابى * (١)

واخيرا وليس هذا بالاقل اهمية من كل ما سبق ..

ما كاد بلنت يعلم بوصول سعد زغلول الى لندن لمفاوضة ملنر حتى أرسل اليه خطابا يعرض فيه خدماته ويقـــول أنه يكون سعيدا جدا أن يكون فى خدمة قضية مصر فى هـذه المرحلة وفى خدمة الوفد ورئيسه رغم شيخوخته وكثرة أمراضه (وكان بلنت فى الثمانين من عمره عام ١٩٢٠) ، فكان رد سعد على هذا الخطاب الرقيق الكريم أن سارع الى زيارته فى بيته الجميل فى مقاطعة سسكس وقد صحبت الرئيس فى هذه الزيارة .

سألت الزعيم سعد زغلول عقب عودتنا الى لنـدن عن مشاعره بعد هذه الزيارة ، فقال : ((هذا الرجل تحفة نادرة)) بين الانجليز وقد بلغ من نبله وشهامته أن تمرد على الظلم ومكائد الاســتعمار البريطانى فى مصر . من فرط حبه للحـرية والكرامة الانسانية وانصاف المصريين من بغى أبناء وطنه وطغيانهم ، وكان صديقا وفيا غاية الوفاء لعرابى ومصر وأبناء مصر ولا أعرف له هفوة واحدة فى صدق خدمته لنا ، انه رجل مثالى فى عصر ضاعت فيه المثاليات ، وأنا لا أعرف نبلا أعظم من نبله فى خدمة قضايا الضعفاء ضد الاقوياء وآية ذلك أنه تبنى قضايا التحرير فى مصر وايرلندة والهند)) .

---

(١) * ملاحظة : (كان الحكم قد صدر على عرابى وصحبه بالنفى فى ٣ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ وأخرجوا من مصر الى المنفى يوم ٢٧ من ديسمبر سنة ١٨٨٢ وعاد من المنفى فى سبتمبر سنة ١٩٠١ وكان يسكن فى شارع خيرت . فحضر بلنت الى مصر فورا لزيارة عرابى والاطمئنان على حاله فى أكتوبر سنة ١٩٠١ وظـــل يزوره يوميا طوال شهر كامل ومعه الشيخ محمد عبده ، وتوفى عرابى فى ٢٢ سبتمبر عام ١٩١١

وقد سجل عرابى رأيه فى بلنت اذ قال : ((هذا رجل عظيم كريم لم يدخر جهدا ولا مالا فى معاونته لى فى ساعة محنتى وحاجتى القصوى الى المعونة ، بعد أن تخلى عنى أصدقائى المصريون الذين كانوا يلازموننى ولا يتركوننى فى أيام اليسر)) .

وقد ظل بلنت الى آخر يوم فى حياته يشجع كل مصرى يقابله ويبارك كل مجهود يبذل لخلاص مصر من الاحتلال البريطانى الذى اعتبره وصمة فى جبين بريطانيا ومظهرا لحقارة السياسة البريطانية الاستعمارية المخاتلة المخادعة *

خطــاب من الرئيس الى النحاس

أملى على الرئيس ســعد صباح اليوم خطابا منــه الى مصطفى النحاس جاء فيه ما نصه :

((كنت أنتظر منكم أن تحيطونى علما من آن لآخر بتفصيلات الاحوال عندكم خصوصا ما يتعلق منها بقدوم أصحابنا فلم ترسلوا الا ذلك التلغراف الذى اجملتم فيه تلك الاحوال ، ولكنى الى الآن لم أعلم ما قالوه لكم فى الاجتماع الذى عقدتموه مع أعضاء الوفد ، ولا السبب الذى حمل القاعدين منكم على الاشتراك مع العائدين فى ذلك البلاغ ولم يطلب من القاعدين بيان وانما الذى كلف به العائدون كما لم أعلم السبب فى عدم الاجابة على بلاغى الذى نشرته الاخبار اذا كان معنى الاثنين واحدا ، ومرماهما واحدا . وكيف وافقتم انتم على هذا الخلاف وهل اعتقــدتم معهم ان العدليين الذين أشعلوا نار الخلاف بما كتبوه فى الجرائد خصوصا فى جريدة الافكار والاهرام ، كانوا يروجون سياسة الدخول فى المفاوضات على أساس المشروع حبا للوطن ورغبة فى الصالح العام كما ورد فى ذلك البلاغ ؟ هل اعتقدتم أن تلك المناقشات بريئة ان الامر خطير وستظهر الايام ما كان خافيا)) .

برقيـــة من النحاس

٦ من فبراير سنة ١٩٢١ :

فى الساعة السابعة صباحا جاءتنى اشارة تليفونية من الرئيس أن اذهب اليه فورا فى منزله ، وبعــد دقائق معــدودات خرجت

---

*تــوفى بلنت عـــام ١٩٢٢ وهو فى سن الثانية والثمانين . وقد قابل المصريون وفاته بالاسى والاسف والحزن الشديد. وكان أول اكليل من الورد والازهار وضع على قبره فى سسكس هو اكليل سعد زغلول زعيم مصر الذى عذبه الانجليز ونفوه أخيرا كما فعلوا مع عرابى الذى سبق أن حاربوه ونفوه من قبل الى جزيرة سيلان

مسرعا من حجرتى وذلك لانى تصورت ان الرئيس قد يكون مريضا وفى حاجة قصوى الى ولا معنى لاضاعة دقيقة واحدة ان أمكن . وجدت الرئيس فى حجرة مكتبه وكل ما هنالك ان تلغرافا بالشفرة وصله من النحاس سلمه الى لاحل رموزه ، ونصه كما يلى :

((لم يعمل أى عضو من العائدين حديثا بعد البلاغ الذى صدر ، والامة منتظرة بفارغ الصبر بلاغا منكم وعسى أن يكون قراركم النهائى سالما ومرضيا)) .

وما كاد الرئيس يطلع على هذه البرقية حتى أمر بحفظها وقال : ((هل تعلم ان عبد العزيز فهمى ولطفى السيد وحمد الباسل ومحمد على علوبة لا يكنون الحب لمصطفى النحاس .. انها الحقيقة الاليمة)) .

بريد من مصر

وصلت جرائد مصر الآن وأنا جالس مع الرئيس وتسلم معها بضعة خطابات منها اثنان من النحاس وفيهما وصف استقبال الاعضاء وما بذله من مجهود كبير ليمنع وقوع أية مظاهرات عدائية لهم ، وأن نقابة المحامين قررت عدم ارسال نائبين عنها لاستقبالهم بعد أن سبق أن قررت ذلك ، وأن النحاس وحافظ عفيفى وويصا واصف أرسلوا برقية لاسلكية الى ظهر المركب يرجون فيها الاعضاء بألا يدلوا بأى حديث أو تصريح عند وصولهم حتى يقابلوهم ، وليس فى الخطابين شىء مطلقا عما قاله الاعضاء لهم عند لقائهم ولا ما جرى فى اجتماعهم الذى انتهى باصدار بلاغهم .

هذا وقد لاحظ الرئيس ان جرائد (الامة والمحروسة والاهالى) طعنت فيه أشد الطعن كما نشرت برقيات زعمت انها وصلت اليها من أنحاء البلاد بسحب التوكيل منه وكتب أحمد وفيق المحامى (حزب وطنى) مقالا جاء فيه : ((ان سعد زغلول لم يتشبث بعدم الدخول فى المفاوضات المقبلة كدافع وطنى ، وانما لمجرد معاكسة عدلى الذى أظهر ملنر الميل اليه دونه)) .

سعد يقول : عودتى لمصر ضرورية !

٧ من فبراير سنة ١٩٢١ :

تناولت الشاى مع الرئيس اليوم ثم قال وعلى وجهه ابتسامة خفيفة ((عجبا !!! أن بعض جرائد مصر قد أخذت الآن تنهجم على والادهى من ذلك ان المدعو اسماعيل بك لبيب (من الحزب الوطنى) قد أرسل برقية الى مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية بأن الشعب المصرى لا يؤيدنى وبأنى لم اعد أمثل مصر ، وأن كل اتفاق معى لا قيمة له ولن تقبله مصر ، هكذا بلغت الحماقة والخيانة ببعض الناس ، وكأن الوطنية فى نظرهم هى أن يطعن بعضنا على بعض ، وأن نسقط كل زعيم يحوز ثقة الامة حتى لا يرتفع رأس وحتى تضيع كل ثقة . الثقة لابد من الثقة فهى سر نجاح الانجليز اذ تتوافر الثقة بين ابنائها ، ولا خير فى امة لا تحترم قادتها . تصححهم أن اخطأوا لا أن تقتلهم قتلا ، وأسفا على مصر ما دام فى بعض أبنائها هذا الطغام الحاقد الاعمى الذين لا يدركون انه ليس من السهل ايجاد الزعماء الاكفاء فى المراحل الحاسمة من مراحل التاريخ)) .

بهذه النغمات تحدث الزعيم ، ولكن سرعان ما انتفض اقوى ما يكون وقال : ((هؤلاء ليسوا هم الامة وانما هم انتهازيون لا فى العير ولا فى النفير ، ولا وزن لهم ولا تأثير ، وفطرة الشعب المصرى سليمة يمكن الاعتماد عليها . ثم قال :

((ان الحكمة والضرورة تقضيان بعودتى الى مصر لاتولى المعركة بنفسى بعد أن أعيد تنظيم الوفد من جديد . انها معركة ضارية قاسية . أنظر الى جرائد المتآمرين تجد الاهالى والمحروسة والمنبر ولا هم لها فى جميع مقالاتها الا مهاجمة الوفد ومحاولة اثبات تقصيره وهى تهدف من وراء ذلك كله الى اسقاط التوكيل عنه وفض الناس من حوله ، وهى فى كل ذلك لا تتعرض للانجليز بكلمة نقد واحدة .. ولا شك فى انها جرائد مأجورة من الانجليز الذين يغدقون عليها المصاريف السرية بسخاء واسراف . وللانجليز أسلحة مختلفة لمحاربة الشعوب ، فقد اتخذوا الوطن والمنبر ليمدحا كل ما عرضه الانجليز حتى التى تخدم الاستعمار البريطانى بشكل مكشوف لا ثقة للناس بها ، لذلك لجأ الانجليز الى نوع آخر من الجرائد ، وهى جرائد الحزب الوطنى .

انها جرائد تتطرف فى الوطنية وتطلب المخال السودان وملحقاته والصومال وزيلع بلا قيد ولا شرط وهى تمطر الوفد وابلا من التهم الباطلة وليس لها قصد فى ذلك التطرف والتظاهر بالوطنية الجامحة الا زعزعة ثقة الناس فى الوفد ورئيسه، ثم هى لا تتعرض للانجليز باى سوء أو نقد . لقد تتبعت كل ما كتبت فلم أجدها تعرضت ولا مرة واحدة للاعضاء العائدين بكلمة نقد ، وانما النقد الشديد محصور ومركز كله على سعد زغلول بغير أى داع او مبرر، ولكن عداءها السافر نحوى لا سيما وهم يرون ثقة الامة بشخصى ثقة فريدة معدومة النظير .

حتى جريدة الاهرام اصبحت مملوءة بكتابات العدليين وأنصار الاعضاء العائدين وتحبيذ مشروع ملنر ، أن عودتى أصبحت لازمة وانى لقادر على تحطيم كل هؤلاء الغادرين والمنحرفين)) .

سفر ثلاثة الى لندن فجأة

١٩ من فبراير سنة ١٩٢١ :

تقرر اليوم سفر على ماهر وسينوت حنا الى لندن ومعهما الدكتور حامد لان البرلمان سيفتح فى ١٥ منه ، ويحسن مقابلتهم لبعض أعضاء مجلس العموم من حزب العمال العاطفين على مصر لكى يضعوا اسئلة محددة لكشف الطريق عن نيات الحكومة البريطانية ازاء مصر فى ضوء تقرير ملنر الذى لم ينشر بعد .
وفى أثناء تناولى الشاى مع الرئيس سألته عن الحكمة فى ارسال سينوت حنا وهو لا يعرف الانجليز فابتسم وهز رأسه وقال :
((لا تنس أن لسينوت شهرة فى مصر من أيام مقالاته المشهورة)) .

هذا وقد وضع الرئيس مذكرة عن التحفظات المراد تعديل مشروع ملنر على أساسها وطلب منى أن أترجمها الى الانجليزية حتى يأخذها على ماهر معه .

١٢ من فبراير سنة ١٩٢١ :

سلمت الرئيس الترجمة الانجليزية للتحفظات فسلمها بدوره الى على ماهر ، وعند الانصراف فى الساعة الواحدة بعد الظهر رجانى أحمد نجيب أن أكلم الرئيس فى مسألة أذاعة خبر سفر على ماهر وسينوت بواسطة مراسل الاهرام لا الاخبار وأفهمنى أن

عملا كهذا قد يقتله. ويقتل الاخبار لا سيما أن الاهـــالى قالت انه سخر لخدمة الرئيس وأنه لا يجوز بعد التضحيات الكثيرة التى تحملها أن يعامل اليوم على هذه الصورة ، فضحكت وقلت لعـــل الرئيس أراد أن يثبت للاهالى أنك غير مسخر لخدمته وخـــدمة سياسته ، فكرر الرجاء . وفى المساء كلمت الرئيس فدهش كثيرا وقال : ((كيف عرف نجيب هـــذا الخبر بهذه السرعة)) ثم قال متعجبا ((لم يستطع أصـــحابنا كتم شىء ، ان الحقيقة هى أنى لا أريد أن أعلن عن سفرهم حتى لا تؤمل الامة أملا باطلا ، فتتساءل عن القصد من المهمة وعن نتيجتها بعد عودتهم الى باريس ، وأنى أشرت عليهم أن يسافروا بلا اعلان منى فى الاهرام أو الاخبار، ولكن ما الحيلة ، وقد تسرب الخبر ؟)) .

مهمة محمد محمود باشا فى أمريكا

١٣ من فبراير سنة ١٩٢١ :

علمت من الرئيس فى أثناء تناولى الشـــاى معه أن محمد محمود باشا كان قد ذهب الى أمريكا ومعه ٣٥ ألف جنيه من أموال الوفد، وبعد عودته قدم تقريرا للرئيس أوضح فيـــه أنه اتفق مع مستر فولك المحامى على أن يغلق مكتبـــه ويتخصص لخـــدمة القضية المصرية معه مقابل ألف جنيه فى الشهر .

وبعد أيام من وصوله الى باريس أراد محمد محمود أن يسافر الى انجلترا للدعاية هناك ، ولكن الرئيس رأى تأجيل النظر فى هذا الاقتراح فوافق أعضاء الوفد على ذلك .

١٤ من فبراير سنة ١٩٢١ :

سافر صبيحة اليوم على ماهر وسينوت حنـــا وحامد الى لندن وأرسل نجيب الى الاخبار برقية قال فيها : ان سفرهم كان بناء على دعوة خاصة من بعض أصدقائهم من أعضاء البرلمان الانجليزى .

تفتيش واستجواب

١٦ من فبراير سنة ١٩٢١ :

فى الساعة الواحدة من بعد الظهر عدت الى البانسيون للغداء كالعادة ، واذا بخطاب من الدكتور حامد محمود ينتظرنى وهـــو بتاريخ أمس ١٥ من فبراير وهو اليوم التالى لوصولهم الى لندن

فأسرعت الى فضه واذا بداخله خطاب خاص مغلق باسم الرئيس فحملته اليه بعد الظهر وفتحه ، فاذا مطلعه : ((عزيزى كامل)) فقال لى الرئيس هذا لك وأخذ يقرأه بصوت مسموع وعلمنا منه أن ثلاثتهم (على ماهر وسينوت وحامد) كانوا مراقبين أشد المراقبة على ظهر السفينة من (كاليه الى دوفر) . وما أن نزلوا الى شاطىء دوفر حتى تقدم اليهم موظف بريطانى وطلب منهم أن يتبعوه الى مكتبه ، وهناك أخذ فى استجوابهم : سأل الدكتور حامد عن سبب قدومه الى انجلترا وعلاقته بالوفد وما ينوى عمله ومدة الاقامة فيها ، ثم سأل على ماهر عن مهمته وعن المدة التى يريد قضاءها فى لندن ، ولما أجابه بأنه يريد التفتيش على مكتب الوفد فى لندن ومراجعة حساباته سأله عدة أسئلة فى هذا الموضوع ، ثم جاء دور سينوت خنا ووجهت اليه نفس الاسئلة وبعد ذلك فتش هذا الموظف الدكتور حامد تفتيشا دقيقا حتى بطانة ملابسه وقبعته ، كما فتشت أمتعتهم جميعا وعثر فيما عثر من أوراقهم على الترجمة الانجليزية للتحفظات وشرحها بقصد طبعها وتوزيعها على أعضاء البرلمان ، واستمر التفتيش طويلا حتى فاتتهم القطارات المخصصة لسفر الركاب من باخرة دوفر الى لندن .

واخيرا اضطر الموظف الى مصاحبتهم الى فندق ليمضوا فيه الليلة حتى يستشير لندن ، وفى صبيحة اليوم التالى (وكانوا يتناولون طعام الفطور ويتباحثون فى هل يعودون الى باريس فورا ويقيمون فى الفندق ليلة أخرى) حضر الموظف واعتذر لهم طويلا ، وفى أدب جم سمح لهم بالسفر الى لندن ، وانتظر على الرصيف حتى تحرك القطار بعد أن كرر الاعتذار ..

اطلع الرئيس على كل هذه التفصيلات وهو فى ذهول من هذه المعاملة الجافة الخشنة الوقحة ، واستاء منها أشد الاستياء وتطير لها كثيرا فى تشاؤم وانقباض . وقال فى دهشة : ((كيف علم الانجليز بسفرهم قبل وصولهم الى دوفر ؟)) .

فقلت يا سيدى ان دومانى قد ذهب بجوازات سفرهم الى القنصلية البريطانية وحصل منها على التأشيرات اللازمة لزيارة انجلترا ، فلا يستبعد أن يكون القنصل الانجليزى قد أبلغ حكومته بذلك ، بل لعله استأذن حكومته أولا قبل اعطائهم الفيزات اللازمة

فقال الرئيس : اذن نحن مراقبون هنا فى باريس وأصبحنا مشبوهين فى نظر الانجليز ؟ .

فقلت : أما المراقبة فمؤكدة . بدليل ما حدث من قرائنها ، ولا شك أن الحكومة البريطانيـــة تخشى من حركاتك وسكناتك لا سيما والبرلمان البريطاني على وشك الاجتماع ، وقد بدأت فعلا دورة انعقاده أمس وبدأت أسئلة الاعضاء تنهمر على الوزراء . ثم قلت : ((ولكن الذى لا أفهمه يا سيدى لماذا قال على ماهر انه يريد التفتيش على مكتب الوفد فى لنـــدن ومراجعة حساباته ولم يقل الثلاثة بايجاز أنهم قادمون للزيارة ، مجرد الزيارة وتمضية أجازة قصيرة فى لندن ؟)) .

فقال الرئيس باسما : ((المتهم يرتبك دائما وقل أن يقـــول الحقيقة ويرى فى غيرها منجاة له)) ..

تصريح رئيس الوزراء البريطانية فى مجلس العموم

١٧ من فبراير سنة ١٩٢١ :

أدلى رئيس الوزارة البريطانية فى مجلس العموم أمس ببيان جاء فيه ان حكومته لا تبت بقرار فى مسألة مصر الا بعد استشارة الحكومة المصرية ، فأرسل الزعيم خطابا ظهر اليوم الى على ماهر جاء فيه : ((أن أعضاء البرلمان لا شك يعـــرفون ان وزارة مصر لا تمثل اى جزء فى الامة ، ولا هى من الحزب ذى النفوذ فى البلاد ، وانها لا تعبر الا عن رأى أشخاصها وكلهم نكرات ولا وزن لهم فى البلاد)) .

وقصد الرئيس فى هذه العبارة أن يلفت على ماهر نظر بعض انصارنا من أعضاء البرلمان الى هذه الحقائق وان يسألوا فى ذلك حكومتهم .

برقية رئيس اللجنة المركزية للوفد الى رئيس الوزارة البريطانية :

١٨ من فبراير :

لاحظ الرئيس فى ضيق ظاهر ان محمود باشا سليمان رئيس لجنة الوفد المركزية فى مصر ارسل برقيـــة احتجـــاج الى رئيس الوزارة البريطانية على تصريحه الاخير ، كما سبق أن ارسل برقية احتجاج على تصريح تشرشل وزير المستعمرات الجـــديد ، فأملى على الرئيس خطابا موجها الى مصطفى النحاس جاء فيه :

((لاحظت مع الاسف ان رئيس اللجنة المركزية أرسل باسمه وعن أعضاء الوفد الموجودين فى مصر ، برقية الى لويد جوج رئيس الوزارة البريطانية ، وهى أول مرة تخاطب اللجنة المركزية سلطة أجنبية خارج مصر . وكانت خطتها من يوم تاليفها مراسلة الوفد بما يعن لها من الآراء والافكار ، وهو يتصرف فيها بحسب مايراه وذلك طبقـــا للائحـــة الوفد التى تشكلت بمقتضـــاها ، ولم يترتب على هذه الخطةمن يوم وضعها الا ما قدر لها من وحـــدة العمل وانتظام السير . ولم تبد من الامة (خصوصا فى هذه الايام) الا مايؤيدها ويؤكد صفة من يمثلها ، فلماذا اختارت فى هـــذه المرة طريقة غيرها ولا تتفق مع نظام العمل ؟

ان كان المقصود أن تحل اللجنة محل الوفد ورئيســها محل رئيسه فلا يكون ذلك الا بارادة الامة ، وما دامت هذه الارادة غير موجودة فلا يتاتى لى أن أتخلى عن المسئولية التى القيت علىعاتقى، واذا كنت قد سكت حتى الآن لعدم تاكدى من هذا القصد فانى لا أبيح لنفسى السكوت عنه اذا تكرر العمل وتاكد القصد والسلام))

توقيع

سعد زغلول

اذاعـة تقـرير ملنـر :

۱۹ من فبراير سنة ۱۹۲۱ :

نشر اليوم تقرير لجنة ملنر . ظهر في لندن بالانجليزية وظهر في القاهرة مترجما الى اللغة العربية . وفى المساء وصلت الينا نسخة بالانجليزية أرسلها الينا على ماهر بالطائرة من لنـــدن ، فكلفنى الرئيس أن أقوم بترجمة التقرير كله الى العربية بأسرع ما يمكن ولو أســـهر الليل كله ، وذلك حتى يطلع على ما فيه اذ لا يطيق الانتظار حتى ترد اليه الترجمة العربية الرسمية من القاهرة .

وبعد العشاء عدت الى شقة الرئيس كالعادة فى الساعةالتاسعة مساء بعد أن اشتريت في طريقي جريدة التيمس .

وقد وجدتها قد نشرت مقالة افتتاحية عن مصر وخلاصة موجزة من آراء لجنة ملنر الواردة فى التقرير .

سعد يقول انها حماية مقنعة

وقد ترجمت كل هذا شفويا للرئيس وهـو مصغ أتم اصغاء بلا سؤال منه أو استفسار ، فلمـا فرغت من الترجمـــة قال :

((يا عجبا !!! أيمكن ان يشك أى انسان فى أن هـذه حماية مدعمة مستوررة حينا • وعارية حينا آخر ؟ اشتراك فى الادارة الداخلية والخارجية ، وشئون التشريع وابقاء قوة عسكرية لها فى البلاد فى غير منطقة قنال السويس ، ثم موظفون بريطانيون يملأون الوزارات الحكومية ومصالحها واستخدام لكل وسائل النقل والمواصلات فى مصر ، وحمايتها مدة السلم والحرب ؟ فماذا عملنا بعـد كل جهودنا فى لندن ؟))

ولما اكفهر وجه الرئيس غضبا وسخطا وبعد صمت قليل طلب الى أن أنصرف فورا لاتصفح التقرير كله لكى أخبره فى الصباح بأهم ما ورد فيه من آراء ومقترحات خطيرة ، ثم أبدأ بالترجمة على وجه السرعة •

خرجت وأنا حائر مذهول كيف أقرأ هذا التقرير الطويل العريض المسهب لكى أكتشف أهم ما فيه مما أعتقد أنه يعنى الرئيس أن يعرفه فورا ؟ ثم كيف اترجمه فى أيام قـلائل والرئيس يريد على ما يظهر أن تتم الترجمة فى ساعات ؟ ان التقرير وثيقـة من أهم الوثائق وكل كلمة فيه موزونة بميزان الذهب،والسرعة فى الترجمة تضر ولا تنفع الا قليلا ، ومع ذلك سأفعل ما أستطيع ولا يكلف الله نفسا الا وسعها •

ويا عجبا مرة أخرى كما قالها الرئيس عند انتهائى من ترجمـة ما نشرته التيمس فقد رأيت ضوء الفجر يتسرب الى حجرة نومى وأنا أعدو فى قراءة التقرير عدوا وأطوى صفحاته طيا حتى وصلت الى ثلثه الاخير • ثم نظرت الى الساعة فاذا هى الخامسة صباحا ، ولم انم لحظة واحدة فقد نسيت النوم ونسيت نفسى ، ولم أذكر الا التقرير وواجبى ازاءه وازاء الرئيس وازاء وطنى مصر ، فلمـا رفعت عينى من التقرير لاستريح قليلا نظرت الى المرآة فاذا عيناى مختقنتان يكاد الدم يقطر منهما ، واذا برأسى يكاد ينفجر من شدة ما فيه من حرارة فغسلته بالماء البارد بلا فائدة ثم بللت منديلا بالماء البارد ووضعته على وجهى وعلى عينى عساه يتمكن بالتبخير من تخفيف ما أعانيه من حرارة كأنها حرارة حمى ضارية •

كنت فى اثناء قراءتى للتقرير ممسكا بقلم أحمر واضع علامة أو اشارة على كل كلمة أو عبارة أو فكرة أظن ان الرئيس يجب ان يعرفها اذ محال أن اتذكر كل ما قرأت ولكن هذه العلامات الحمراء تساعد الذاكرة على ما استوعبته فى المطالعـة السريعة حينا يحين وقت التلخيص للرئيس بلا افراط أو تفريط •.

انقضت ساعة كاملة وأنا منصرف الى عملية تخفيض حرارة رأسي واحمرار عيني بطريق التبخير ، ثم استأنفت القراءة السريعة الملهوفة حتى الساعة الثامنة صباحاً فحضر الفطور ولا أدرى كيف التهمته .

وفى الساعة التاسعة صباحاً كنت فى شقة الرئيس ، واذا هو جالس فى مكتبه ينتظرني بفارغ الصبر ، فحدثته عما اكتشفته فى هذا التقرير . واستغرق حديثي معه ساعتين كاملتين وهو مطرق لم ينظر الى وجهى مرة واحدة ليدرك مافى عيني من احمرار مسرف ودون أن يسأل كيف حملت ذاكرتى كل هذه البيانات والمعلومات، فلما فرغت ونظر الى الظهر اعجاباً واشفاقاً وتقديراً دمعت له عيناى، وطلب الى أن أذهب فوراً الى الفراش لاستريح قليلا ثم أبدأ فى الترجمة الحرفية لكل هذا التقرير وأن أعود اليه فى المساء بعد العشاء كالعادة ومعى ما ترجمته .

لا حاجة الى تسجيل كم دقيقة نمت واسترحت وكم ساعة ترجمت وأرهقت ، هذه أمور يصفها الخيال بالقصور ويعجز القلم عن ايفاء حقها فى الوصف والبيان ، ثم هى مسائل شخصية لا تهم أحداً غيرى فلأنصرف عنها الى ما هو أجدى وأقوم .

٢٠ من فبراير الى ٢٥ فبراير ١٩٢١ :

فى ستة أيام كاملة بنهارها ولياليها فرغت من ترجمة هذا التقرير العتيد . كل فقراته المهمة ترجمتها ترجمة حرفية دقيقة كاملة ، وما عداها وهو قليل لخصتها تلخيصاً يعطى فكرة دقيقة عنها . .

قرأ الرئيس الترجمة فى نهم وحماسة أولا بأول فلما فرغ وانتهى منها اشتد سخطه وألمه وضيقه بهذا التقرير فى كثير من فقراته وقال بصوت مرتفع ((هذا كذب كذب ، لم أتصور لحظة ان ملنر يمكن أن يهبط الى هذا الحضيض من الكذب والبهتان)) . . ولاذكر على سبيل المثال لا الحصر ما وصفه الرئيس بأنه تجرد من الصدق والامانة من عبارات التقرير :

١ ــ ان أعضاء الوفد عادوا الى مصر لاظهار ما فى المشروع من فوائد ومزايا ولحمل الناس على قبوله .

٢ ــ ان مبدأ ابقاء قوة عسكرية فى القطر المصرى مسلم به من الوفد ولم يبق الا تعيين مكانها .

٣ ـ ووصفه الوفد بأنه كان يسلم احيانا بعدالة الحجج الانجليزية ولكنه كان يخشى من حكم الناس عليه فى مصر ، وكان يخاف أن يتهم بالخروج عن توكيله .

برقية الرئيس الى مصطفى النحاس

ارسل الرئيس يوم ٢٤ من فبراير برقية الى مصطفى النحاس يطلب فيه :

((ان ينشر مشروع الوفد الاول لانه ابلغ رد على مفتريات تقرير لجنة ملنر فيما ينسبه الى الوفد من الرضا عن مشروعه لا سيما فيما يختص بمبدأ بقاء قوة عسكرية بريطانية فى مصر والعلاقات الخارجية والداخلية بين البلدين)) .

فورد الرد من النحاس يوم ٢٥ من فبراير جاء فيه :

((ان جميع أعضاء الوفد هنا يرون تأجيل النشر حتى يتم درس التقرير كله وكانت الموافقة بالاجماع على هذا الرأى)) .

ـ ما كاد الرئيس يطلع على هذه البرقية حتى ثار ثورة عالية خشيت أن يصاب بعدها بمكروه .

وفيما يلى ابرز ما ورد فى تقرير ملنر عما دارت بشأنه المفاوضات واستطالت عدة جلسات ، لاهميتها ، وهى :

١ ـ سياسة بريطانيا ازاء السودان .
٢ ـ رأى ملنر فى زيارة المندوبين الاربعة لمصر .
٣ ـ مصر والتمثيل السياسى .

ملنر والسودان

فقد جاء فى التقرير عن موضوع السودان ما نصه :

((يجمل بنا فى هذا المقام أن نورد بالايجاز الاسباب التى نرى أنها تقضى باستحالة تسوية مسألة السودان على المبادىء التى يراد تسوية المسألة المصرية عليها ، واشير فى الوقت نفسه الى الخطة العامة التى يلوح لنا انها اصلح من سواها لسد حاجات السودان الحالية فنقول :

((ان الاكثرية الكبرى من أهل مصر متجانسة بالنسبةالىسواها واما السودان فمقسوم بين العــرب والسود وفى كل من هــذين الجنسين الكبيرين أجناس وقبائل يختلف بعضها عن بعض اختلافا عظيما ويضاد بعضها بعضا كثيرا . أما عرب السودان فيتكلمون باللغة التى يتكلم بها أهل مصر وتجمع بينهم جامعــة الدين . والاسلام آخذ فى الانتشار فى السودان حتى بين الاجنــاس غير العربية من أهله ، وهذه المؤثرات تلطف ما بين أهالى البلدين من التضاد والتنازع ولكنها لا تقوى عليه بعد ما زادت ذكريات ســوء الحكم المصرى الماضى قوة وشدة)) .

((أما الروابط السياسية التى ربطت السودان بمصر فى فترات مختلفة من الزمان الماضى فكانت دائما روابط واهية ، فان الفاتحين المصريين اجتاحوا أقساما من السودان بل السودان كله ، ولكن مصر لم تخضع السودانقط اخضــاعا حقيقيا ولا أدغمته فيهــا وجعلته بعضا منها بمعنى من المعانى ، وكان فتحها له فى القرن الماضى نكبة كبيرة على البلدين معا وانتهى أمره بفتنة المهدى التى قلبت السلطة المصرية راسا على عقب فى أوائل العقد الثانى من ذلك القرن ، ولم يبق للسلطة المصرية اثر فى السودان مدة أكثر من عشر سنوات الا فى مقاطعة صغيرة حول سواكن، فاضطرت بريطانيا العظمى من جراء ذلك الفشل أن تجرد عدة حملات انفقت عليها اموالا طائلة لنجدة الحاميات المصرية والدفاع عن مصر التى كانت عرضة لسيل عصابات المهــدى الجارفة ، واستلمت الايــدى البريطانية زمام حكومة السودانفعلا منذ فتحت القواتالبريطانية والمصرية البلاد بقيادة قواد بريطانيين فى سنتى ١٨٩٦ — ١٨٩٨ وبات السودان تحت الحماية البريطانية المصرية فى سنة ١٨٩٩ لان الحاكم العــام وان كان يعينه ســلطان (وســابقا خديو) مصر فالحكومة البريطانية هى التى ترشحه ، وكل مديرى المديريات وكبار الموظفين هم من البريطانيين فتقدم السودان تقدما عجيبــا ماديا وأدبيا تحت رعاية الحكومةالمنظمة هذا النظاملاننا اذا حسبنا حساب كل ما تقضيه بساطة هذه القضية وهى ادخال المبادىء الاولية لحكومة منظمة متمدنة الى بلاد أهلها لا يزالون فى أول عهد السذاجة ، حكمنا بأن النجاح العظيم الذى نجحته بلاد السودان فى المدة الطويلة التى كان فيها السير رجنلد ونجت حاكما عاما عليها يعد أمجد صفحة فى تاريخ الحكم البريطانى على الشعوب المتأخرة .. أما الحكومة الحالية فمقبولة ومحبوبة عند أهل السودان ، والسلام والتقدم مخيمان على تلك البلاد الا فيما ندر)) .

((غير انه وان تكن مصر والسودان بلدين متمايزين أحدهما عن الآخر وارتقاؤهما يكون على منهاجين مختلفين ، فلمصر مع ذلك مصلحة عظيمة جداً فى السودان وهى ان النيل الذى يتوقف عليه وجود مصر وكيانها يجرى مسافة مئات الاميال فى بلاد السودان ، فمن أهم الامور لمصر منع أى تحويل لماء النيـــل يمكن أن يقلل مساحة أراضيها الزراعية الحالية أو أن يمنعها من اصلاح أراضيها التى تبلغ مساحتها حوالى مليونى فدان وتصير قابلة للزراعة اذا خزن ماء النيل وزاد ما يرد منه للرى عما هو عليه الآن . وقد كانت كمية المياه التى يأخذها السودان رأسا من النيل قليلة حتى الآن ، ولكن كلما زاد عدد سكان السودان احتاجت بلادهم الى ماء أكثر لاجل تقـــدمها ، وقد يفضى ذلك الى التضـــارب بين مصالحهم ومصالح أهل مصر ، ولكن الامل وطيد أنه اذا حفظت مياه النيل جيداً ووزعت كذلك ، كفت لرى كل الاطيان التى يمكن أن تحتاج الى الرى سواء كانت فى مصر أو فى الســـــودان . ولكن التحكم فى مياه النيل وضبطها للرى مسألة فى أعظم مكان من الاهمية والقضايا التى تنطوى تحت ذلك فنية كانت أو غير فنية صعبة ومعقدة جداً بحيث يقتضى فى رأينا تعيين لجنة دائمة من خبيرين من الطبقة الاولى وأيضا من رجال ينوبون عن كل البلدان التى لها علاقة بهذا الامر وهى مصر والسودان وأوغندا لتحل كل المسائل التى لها مساس بالتحكم فى ماء النيل وضبطه ولتضمن توزيع الماء بالقسط .

ولتجاور مصر والسـودان ولاشتراكهما فى المصلحة فى النيل يحسن أن تكون بينها رابطة سياسية على الدوام ، ولكن هـــذه الرابطة لا يمكن أن تكون صورتها خضوع السودان لمصر ، فبـــلاد السودان قابلة للتقدم والارتقاء حسب مقتضى أوصافها واحتياجاتها مستقلة بنفسها ويحق لها أن تكون كذلك أيضـــا ، ولم يحـــن الوقت بعد لتعيين الحالة السياسية التى تكون عليها فى آخر الامر ويكفيها لقضاء أغراضها فى الوقت الحاضر الحالة التى عينت لها باتفاق سنة ١٨٩٩ بين بريطانيا العظمى ومصر حيث ينص على الصلة السياسية اللازمة بين مصر والسودان من دون تأخـــير السودان عن الترقى والتقدم مستقلا عن مصر .

والضرورة تقضى الآن بأن يكون السـودان كله تحت سلطة واحدة عليـا ولكن لا يستحسن أن ينحصر الحكم كله فى حكومة مركزية ، بل الواجب القاء مقاليد ادارته بقدر الامكان الى حكام

من الوطنيين حيثما وجدوا تحت المراقبة البريطانية نظرا لاتساع أرجائه واختلاف طباع أهله وأخلاقهم ، فالحكومة البيروقراطيه المركزية لا تلائم السودان على الاطلاق وانما تلائمه اللامركزية واستخدام العناصر الوطنية حيث يستطاع لقضاء الاعمال الادارية البسيطة التى تحتاج اليها البلاد فى الحالة التى هى عليها من التقدم لان ذلك يقلل نفقاتها ويزيد فى كفاءة رجالها وحسن ادارتها . والموظفون الآن من أهل البلاد لا يزالون قليلى العدد بجانب الذين يؤتى بهم من مصر وهؤلاء لا يحبون الخدمة فى السودان ، ولكن هذه الصعوبة ستذلل كلما تقدم التعليم فى السودان وزاد عدد الذين يصيرون كفاءا من أهله لتقلد الوظائف الرسمية . والواجب فى الوقت عينه الانتباه الكلى الى أمر التعليم حتى لا يرتكب فيه الخطأ الذى ارتكب فى مصر بادخال نظام اليها لا يؤهل التلامذة لعمل يذكر سوى الاعمال الكتابية والوظائف الادارية الصغيرة وتخريج جمهور كبير يفوق الحاجة من الذين تطمح أبصارهم الى الاستخدام فى الحكومة . فليس فى السودان مجال لجيش من صغار المستخدمين ولذلك يجب أن يوجه التعليم بحيث يربى فى السودانيين القابلية والميل الى الاعمال الاخرى كالزراعة والصناعة والتجارة والهندسة اذ حاجة تلك البلاد الآن هى الى الترقى المادى ، وفى وسعها الاستغناء عن نظام ادارى على غاية من الاتقان ..

ان القواعد العسكرية التى لا تزال تستخدم فى السودان كبيرة جدا . نعم ان وجود جيش كبير فى تلك البلاد كان لازما لاتمام فتحها ولاستتباب السكون فيها ، ولكنا نرى ان الزمان قد حان لاعادة النظر فى مسألة القوات العسكرية فى البلاد وتنظيمها وتخفيف العبء المالى الواقع على عاتق مصر من بقائها هناك . ثم أن وظيفتى الحاكم العام على السودان والقائد العام للجيش المصرى لا تزالان مجتمعتين فى شخص واحد ، وكانت الاسباب التى تقتضى ذلك وجيهة فى الماضى ولكن لا يمكن الدفاع عنه اذا أريد أن يكون كذلك دائما ، ولذلك يجب تعيين حاكم عام ملكى عند سنوح أول فرصة .

ويقال بالاجمال أن الغرض الذى ترمى اليه السياسة البريطانية يجب أن يكون اخلاء جانب مصر من كل مسئولية مالية للسودان وتقرير العلاقات بين البلدين فى المستقبل على قاعدة تضمن ارتقاء السودان ارتقاء مستقبلا ومصالح مصر

الحيوية فى ماء النيل . فلمصر حق لا ينازع فيه فى الحصول على ايراد كاف مضمون من الماء لرى اراضيها الزراعية الحالية ، وعلى نصيب عادل من كل زيادة فى ايراد الماء يتيسر للبراعة الهندسية أن تأتى بها ، فاذا صرحت بريطانيا العظمى رسميا باعترافها بهذا الحق وانها عاقدة النية على المحافظة عليه فى كل حال ، سكنت بذلك روع المصريين وخففت عنهم القلق المستحوذ عليهم من هذا القبيل • ورأينا ان هذا التصريح يفى بالغرض المقصود اذا تم فى الوقت الحاضر)) .

حول زيارة المندوبين الاربعة لمصر

أما ماسجله ملنر فى تقريره عن زيارة المندوبين الاربعة لمصر وبيان مهمتهم فنصه كما يلى :

((بعد انتهاء المناقشات التى أسفرت عن مشروع ١٨ اغسطس سافر زغلول باشا وسائر رجال الوفد وعدلى باشا أيضا من لندن الى باريس ، ثم سافر فى الحال اربعة من أعضاء الوفد وهم (محمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك وعبد اللطيف المكباتى بك وعلى ماهر بك الى مصر طبقا لما تم الاتفاق عليه لكى يحصلوا من مواطنيهم على تأييد المشروع • وكانت خلاصة هذا المشروع قد وصلت الى الجرائد مع بعض الاخطاء الطفيفة فى تفصيلها ، وقد قوبلت خلاصة المشروع هذه فى مصر بعبارات الرضا والاستحسان

وحوالى ذلك الحين نشر فى مصر بيان طويل من زغلول باشا نوه فيه بصفة الوفد النيابية التى يمثل فيها الامة وبما لقيه من تأييدها ، واشار الى المساعى التى بذلها الوفد لعرض القضية المصرية على مؤتمر الصلح وعلى العالم كله ، مدعيا أنهم اكتسبوا شيئا كثيرا من الميل والعطف فى البلاد الاجنبية .

ثم استطرد تقرير لجنة ملنر الى مقاطعة الشعب لاعضائها بسبب اصرارها على بقاء الحماية ، وماجرى بعد ذلك حتى أفضى الامر الى زيارة الوفد المصرى للندن والمناقشات التى جرت فيها . وأعلن فى الختام ان الاقتراحات التى نشأت عن تلك المناقشات ستعرض على الامة على يد رسل منتدبين لذلك ، فاذا قوبل المشروع بالاستحسان عين ممثلون للمفاوضة فى عقد معاهدة على القاعدة المقترحة)) .

بريطانيا والتمثيل السياسى

وأوضح ملنر فى تقريره موقف بريطانيا من الموضوع الثالث الخاص بالتمثيل السياسى كما يلى :

((كنا ولا نزال نرى من المبادىء الاساسية أن تكون علاقات مصر الخارجية تحت ادارة بريطانيا العظمى بوجه عام وجميع عقلاء المصريين يدركون عظم قيمة الضمان الذى ينالونه من محالفة بريطانيا العظمى لهم مهما كانت ميولهم شديدة الى الحركة الوطنية .. واضح أنه لا يمكن أن ينتظر من بريطانيا العظمى أن تحمل على عاتقها مسئولية الدفاع عن سلامة مصر واستقلالها من جميع الاخطار اذا تركت مصر وشأنها فى اتباع السياسة الخاصة بها ولو كانت ضارة بالسياسة البريطانية وغير مطابقة لها ، وهذه أولية لم ينازعها فيها أحد من المصريين الذين كنا نناقشهم ، بل كلهم كانوا مستعدين انهم عند عقد معاهدة المحالفة يعطون كل الضمانات اللازمة لمنع مصر من كل عمل يمكن أن تعمله اذا كان يوقع بريطانيا العظمى فى ارتباك ، ولم يقع بيننا وبينهم خلاف فى الرأى فى هذه النقطة عند المناقشة .

واستطرد فقال : المسألة الحقيقية التى كانت موضع الاخذ والرد لم تكن : هل يجوز أن تكون مصر حرة فى اختيار سياسة أجنبية مستقلة عن بريطانيا العظمى اذ لا خلاف فى أن موافقتنا على هذه المسألة ضرب من المحال ، وانما كانت هل يتضمن هذا المبدأ وجوب أن تبقى ادارة جميع علاقاتها الخارجية فى أيد بريطانية ؟ ، هذه المسألة كنا قد اتفقنا فيها على قرار نهائى قبل أن نناقش المصريين فيها . وهذا القرار هو أن تقتصر السيطرة البريطانية على علاقات مصر السياسية . وأما مصالح مصر التجارية وسواها من مصالحها الخارجية غير السياسية فالافضل تركها فى أيدى المصريين ، وهذه المصالح كثيرة وعددها آخذ فى الازدياد ، فاتساع نطاق التجارة والمواصلات وازدياد عدد المصريين الذين يسافرون الآن الى البلدان الخارجية ويقيمون فيها وخصوصا فى غرب أوروبا ، والعلاقات العديدة التى تحصل لهم هناك تحتاج هذه كلها الى حماية رسمية ، فاذا ظل سفراء بريطانيا العظمى وقناصلها يرعون مصالح جميع المصريين خارج بلادهم ثقلت أعباء ذلك جدا عليهم ، ولذلك رأينا فى بادىء الامر أن تعيين مصر لممثلين لها فى الخارج يكون عين الصواب ولكن الذى

كنا نقصده فى الاصل هو أن تكون صفة هؤلاء الممثلين صفة قنصلية فقط لا سياسية . فلما دارت المناقشة فى لندن بيننا وبين المصريين عدلنا رأينا فى هذه النقطة بعد تردد وتمنع مع جانبنا ، ذلك لان المصريين أجمعوا على أن انكار الصفة السياسية مع الممثلين المصريين يفسد فكرة المحالفة ويحمل أبناء وطنهم على رفض التسوية التى كنا نفكر فيها . ثم رأينا نحن انهم مصيبون فيما يقولون لاننا أدركنا ونحن فى مصر ان المصريين جميعهم والسلطان ووزراءه فى جملتهم يرغبون فى ان تمثل بلادهم سياسيا فى الخارج مهما اختلفت آراؤهم فى المسائل الاخرى . وكانوا كلهم ممتعضين من الغائنا منصب وزير الخارجية المصرى عند اعلاننا الحماية وتسليمنا زمام وزارة الخارجية الى المعتمد السياسى البريطانى . وكذلك كانوا كلهم يرجون أنه متى آن الاوان لتسوية العلاقات بين بريطانيا العظمى ومصر تسوية دائمة يعين وزير مصرى فى وزارة الخارجية المصرية ويتلقى ممثلو مصر فى البلدان الخارجية اعتمادهم من حاكم مصر رأسا . وكانوا يلحون على هذا المبدأ أيضا بعد زوال السيادة العثمانية أن الذين ترسلهم مصر الى البلدان الاجنبية ليمثلوها فيها تكون لهم الصفة السياسية التى تكون لممثلى الدول الاجنبية فى مصر .

فلذلك لم يخامرنا ريب فى أن أعضاء الوفد المصرى كانوا يعبرون عن رأى بلادهم كلها فى هذه المسألة .. كانوا يقولون لنا قولا صريحا باتا أننا اذا لم نوافقهم على هذه النقطة فلا أقل أمل فى تسوية العلاقات بطريق الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر فى المستقبل . واما اذا اعترفنا بها لمصر أرضينا المصريين ارضاء تاما بمراعاة عزة نفوسهم ، فيسهل ذلك قبول سائر شروطنا . وتساءلوا قائلين : لماذا أنتم حانقون ؟ فقد اعترفتم ان لمصر مصالح كثيرة خاصة بها فى البلاد الاجنبية يحسن المصريون رعايتها أكثر مما يحسنها غيرهم . ولا مزية لبريطانيا العظمى من الضن بالصفة السياسية على الذين يعينون للاعتناء بتلك المصالح لانهم لا يستطيعون أن يعملوا عملا يضر بالمصالح البريطانية أو يناقض السياسة البريطانية ما لم يخرقوا المعاهدة التى تم الاتفاق عليها . هذا فضلا عن ان عدد الممثلين السياسيين الذين يمثلون مصر فى الخارج سيكون قليلا جدا لان مصر لا تروم أن يكون لها ممثلون منهم الا فى بلدان قليلة اذ لا يسعها أن تقوم بنفقات كثيرة ، وفيما عدا ذلك ستوكل مصر بريطانيا العظمى برعاية مصالحها وكفى بذلك دليلا على متانة العلاقات وحسنها بين البلدين .

فلم يســعنا الا الشعور بقوة هذه الحجج الوجيهة ومع ذلك فالامر واضح وقد قلناه لهم وأكدناه على مسامعهم وهو أنه متى وجد ممثلون سياسيون من المصريين ولو فى قليل من عواصم أوروبا .. ووجد ممثلون سياسيون من الاجانب فى مصر انفسح بذلك المجال لدسائس يمكن أن تكون عواقبها وخيمة ، لان قلة وجود أعمال يعملونها ضمن الدائرة السياسية قد يغريهم بتعدى حدود وظائفهم حتى لايقال انهم لا يجدون شغلا يشغلهم . ولكن رجال الوفد لم يسلموا بأنه يخشى فى حدوث أمر كهذا بل كان رأيهم ان المصريين يرتضون ويسرون بالمركز الذى نالته مصر بعقد المعاهدة فيكونون آخر من يوافق على دسائس يمكن أن تفتح للاجانب سبيل التدخل فى شئون بلادهم . وان أعظم ضمان يقينــا شر هــذه الدسائس هو ان المصريين يوافقون من صميم افئدتهم على محالفة يعترف فيها بحالتهم القومية وكرامتهم الوطنية ، هــذه هى الادلة والبراهين التى حملتنا على إعادة النظر فى مركزنا ازاء مســألة الصفة السياسية مع علمنا تمام العلم كما قلنا للوفــد صريحا ان تساهلنا فى هذا الامر قد يلقى الرعب المقلق فى دوائر الرأى العــام البريطانى يخشى منه ان يمنع الشعب البريطانى من قبول الاتفاق برمته . واذا بنينا حكمنا على ما نشأ عنه فى الانتقاد والاقوال الدالة على عدم الرضي عنه فى دوائر كثيرة اتضح اننا أصبنا ولم نخطىء فى توقعنا له المعارضــة الشديدة ، ومع دفعه ذلك فنحن لا نزال نرى كفة الحجج الراجحة هى فى جانبه بلا مشاحة . لانه ما دام الجفاء والخلاف ضاربين اطنابهما بين بريطــانيا العظمى ومصر . فنحن نظل معرضين لعداوة المصريين لنا فى البلاد الاجنبية .. فالجمعيات التى انشئت لنشر الدعوة ضد انجلتــرا تنشرها بجد واجتهاد منذ أعوام فى سويسرا وفرنسا وايطاليا والمانيا .

ولا علاج لذلك الا باعادة علاقات الوداد . ونحن نعد السياسة التى أوضحناها هنا كفيلة بتحقيق ذلك فاذا تمت لنا هذه النتيجة ، فاعطاء الصفة السياسية لممثلى مصر فى الخارج نافع لنا لا محالة لانه اذا بقى قوم من المصريين غير راضين بالمصالحة وبقوا مصرين على إدامة الدعوة ضدنا كما هو المنتظر اضطر الممثلون الرسميون المصريون أن يسعوا فى كبح جماحهم وابقائهم عند حــدهم اذ لايسع معتمــدا مصريا الا الاعراض عن كل عمل يعمله ابناء وطنه ضد حليفة مصر والنفور منه والا قصر فى الواجب عليه وتعرض للعزل من منصبه))

الحكم فى قضية عبد الرحمن فهمى

وفى ٢٥ فبراير كذلك علمنا مما نشرته جـريدة التيمس ان الحكم فى قضية عبد الرحمن فهمى بك قد صدر أمس وهو يقضى بعقوبه ١٥ سنة أشغالا شاقة بعد أن كان الحكم عليه بالاعـدام ، ولاحظ الرئيس ان صدور الحكم فى نفس الوقت الذى ظهر فيه تقرير ملنر ذو مغزى كبير ، لقد بدأت المحاكمة فى أثناء المفاوضات فى لندن وكانت المفاوضات مهددة بالقطع بعد أن تعثرت فى أزمة حادة . فكانت المحاكمة جزءا من سياسة الارهاب للامة وللوفد .

والآن يظهر التقرير فى نفس الوقت الذى يصـدر فيه الحكم الظالم القاسى ، وهذا التوقيت العجيب ملاحظ فيـه كذلك أن يكون استمرارا لسياسة الارهاب والتحذير معا ..

ولعله يهدف فيما يهدف اليه الى حمل الوفد والامة على الطاعة والاتفاق والاستسلام بدل المعارضة والمقاومة والاستنكار ، وكأن لسان حال الانجليز يقول (يا أيها الناس اذا أردتم الخلاص مما انتم فيه من كرب وظلم وعسف وارهاق ، فما عليكم الا أن تقبلوا مشروع اللجنة) .

لقـد ثار الرئيس فى سخط وألم وانفعال ليس الى وصفه من سبيل وقال : (ان الحكم ظلم وقسوة هائلة ولا يستند الى دليل ، وليس له من سبب سوى مجرد الإنتقام والتشريد والارهاب لطلاب الاستقلال فى مصر)

هذا وقد ارسل الرئيس برقيـة الى على ماهر فى لندن كى يطلع بعض انصار الوفد من اعضـاء مجلس العموم على حقائق هذه القضية وخفاياها وما انطوت عليه من ظلم صارخ حتى يحرجوا حكومتهم ويكشفوا سوءاتها ويفضحوها أمام شعبها وامام العالم .

خطاب من حافظ عفيفى الى الرئيس !

ولما عدت للرئيس بعد العشاء ابلغنى أنه تلقى خطابا من الدكتور حافظ عفيفى جاء فيه : (انه من رأى الرئيس وسياسته ، وانه معه قلبا وقالبا) . ولكنه ختم خطابه بسؤال ماكر اذ تساءل عن الخطة العملية الواجب اتبـاعها الآن بعد أن وقف الوفد هـذه الوقفة الحاسمة .

ثم ابتسم الرئيس ساخرا وقال :

((لماذا لا يفكر حضرته ويقترح علينا ما هداه اليه عقله الرجيح اذا كان يؤمن حقا بوجوب اتباع سياستي ؟؟ انه يعلم تمام العلم ان مشروع ملنر في ذمتي واعتقادي مشروع حماية . فلا يمكن لي مطلقا أن احسنه للامة باية طريقة . وليس امامنا الآن من طريقة عملية بعد رفضه ، الا استمرار الكفاح واستئناف الثورة والجهاد بالطرق السلمية وغير السلمية . المشروعة وغير المشروعة ، ومحاربة كل من يتصدى لتاييد الحماية ومشروعها الجديد ، واستمرار الاحتجاج على بقائها في كل فرصة وكل مناسبة وغير مناسبة ، ثم التشنيع المستمر على الاستعمار البريطاني لبلادنا في الداخل والخارج ، في الداخل للاثارة المستمرة ، وفي الخارج لايقاظ الضمير الدولي على مخازي الانجليز في مصر والتنكيل برجالاتها الوطنيين .

هذا هو برنامجي ومنهاجي حتى ياتي الله بالفرج ، ولا يجوز مطلقا أن نسمح لليأس ان يتسرب الى قلوبنا ولا للضعف أن يتسلل الى نفوسنا ، كما لا يجوز أن ننسى أهدافنا العليا وهي الحرية والاستقلال والجلاء التام عن البلاد .

ولابد أن ياتي يوم يعلو فيه الحق على الباطل ، هذه سنة الله وسنة الطبيعة ودرس التاريخ وليس العجز يعد على الامم ، وانما العار كل العار ان تضع الامة غل الاستعباد في عنقها ، وان تقبل المهانة في استسلام وان تذل نفسها برضائها لعزة الاجنبي)) .

عودة الثلاثة من لندن

في ٢٦ من فبراير : عاد من لندن الى باريس على ماهر وسينوت حنا والدكتور حامد محمود وقد استقبلتهم في المحطة نيابة عن الرئيس ، أو بعبارة أدق بناء على تكليف من الرئيس

وفي المساء وصلت النسخة العربية الرسمية لترجمة التقرير أرسلها مصطفى النحاس مع خطاب رجاه فيه ألا يتعجل بابداء رأي في التقرير حتى يتمكن اعضاء الوفد من دراسته وتبادل الرأي معه. أما الاعضاء الثلاثة فكان معهم تقرير ملنر بالانجليزية .

مصادمة عنيفه مع على ماهر

٢٧ من فبراير : أعد الرئيس بيانا ليرسله الى النحاس بخصوص تقرير ملنر وكلفني بدعوة الاعضاء الموجودين في باريس للاجتماع به في مقر الوفد ، وهم على ماهر وسينوت حنا وواصف غالي .

وما كاد الرئيس يفرغ من تلاوة بيانه حتى انبرى على ماهر بالكلام ورجا فى الحاح تأجيل ارساله يومين أو ثلاثة حتى يرد من مصر شيء جديد . فقال الرئيس : ((وما الذى يعنى أن يكون بيـــانى برأيى تحت نظـــر الاعضــــاء فى مصر حتى يكون قرارهم فى ضوء بيانى بالموافقة أو المعارضة او التعديل ؟)) فأجاب على ماهر : (انتظار يوم او يومين خير من العجلة حتى نتم نحن أيضـــا دراســـة التقرير) ، فانفعل الرئيس وقال غاضـــبا : ((ليس من المعقول او المقبول أن تمنعونى عن العمل وتشلونى حتى تفوت الفرصـــة المناسبة . لقد مضت تسعة أيام على ظهـور التقرير ولم يخبرنى أحد فى مصر برأيه ، فأنا فى حل أن أتصرف بما أراه ، لا سيما ان جريدة التيمس نشرت اليوم كلمة لمراسلها فى مصر زعم فيها حسن استقبال الناس للتقرير واغتباط السياسيين المصريين به فلابد أن أبدى رأيى)) .

فكرر على ماهر رجـــــاءه فى هـدوء وأدب جم فازداد الرئيس انفعالا وصدمه بصراحته المعهودة : ((ما هذا يا على بك ؟ يظهر أن ما قاله عبد العزيز فهمى عنك صحيح من انك هنا لمنعى عن العمل)) فتألم على ماهر واهتز الى اعماقه حتى أشفقت عليه من هول الصدمة وقال : (لا يا باشا ، هذه قسوة) ثم وقف وهم بالخروج ، فدعاه الرئيس ان يعود ويجلس . فعاد وأطاع وجلس وقال : (افعل ما تريد يا باشا فليس لى رأى بعـــد اليوم) . فرأى الرئيس تأجيل الجلسة الى الغـــد ودعانا جميعا لتناول الشاى معه فى منزله الساعة الرابعة بعد الظهر .

لم يحضر على ماهر لتناول الشاى بعد الظهر واعتذر عنه سينوت حنا بحجة انه متوعك اثر نوبة عصبية اصابته أسالت دموعه بالبكاء بمناسبة الحكم القاسى على عبد الرحمن بك فهمى ، فاظهر الرئيس الاشفاق عليه ، واستبعد جدا أن هذا هو السبب .

برقية الرئيس الى النحاس برأيه فى التقرير !

٢٨ من فبراير : ارسل الرئيس صباحا برقية الى النحاس وكلفنى ان اتولى ارسالها بالتلغراف المستعجل جاء فيها : (ان التقرير خيب كل آمال ، وكشف نيات الانجليز ازاء مصر ، وهو يخول بريطانيا المراقبة فى الداخل والخارج يديرها مندوب سام مستند الى قوة

عسكرية موجودة فى البلاد ، وهو ما لا نقبله بحال من الاحوال وسبق أن رفضناها أكثر من مرة) .

وحوالى الظهـــر حضر واصف غالى وسينوت حنا فأطلعهما الرئيس على البرقية ووافقا عليها ، وكلفنى الرئيس بمخابرة على ماهر بعد الظهر للسؤال عنه وهو فى فندق كلاردج فقابلته بعد الغداء مباشرة وهو متأثر غاية التأثر ويريد العودة الى مصر فطيبت خاطره وابلغته ان الرئيس يحبه ويقدره ويعتبره من أخلص الناس اليه ، فاستراح قليـــلا .

رأى سعد فى عبد العزيز فهمى !

وردت برقية من على الشمسى يقول فيها ان عبد العزيز فهمى نشر مقالة فى الاهرام انتقد فيها التقرير وجاء فيها أنه يمهد لحماية فى شكل جديد فتعجب الرئيس غاية التعجب وقال : ((ان عبد العزيز هذا قال عن مشروع ملنر فى لندن انه (استقلال ونص) . ثم رفض اقتراح الرئيس بمقارنته بمشروع ملنر الاول . وهنـــا سكت الرئيس قليلا ثم قال : ما رأيت رجلا فى حياتى مثل عبد العزيز فهمى انه رجل غرار ومغرور . كذاب فى صورة صادق ، وجبان فى صورة شجاع . ومغرور فى متواضع . وحقود فى راض وطامع فى قانع، وسفيه فى صريح ، وأنانى فى وطنى ، ومن يدرى لعل انتقاده للمشروع الآن هذا رغبة فى كسب ثقة الناس ليعبث بهـــا فيما بعد وليستخدمها فى مآرب اخرى)) .

برقية النحاس عن مشروع تاليف وفد رسمى !

أول مارس :

كنت فى مكتبى فى مركز الوفد فى الساعة الثامنة صباحا واذا بالرئيس يكلمنى بنفسه تلفونيا من بيته ويرجونى أن اذهب اليه فورا . وبعد دقائق كنت معه فأعطانى برقية بالشفرة من مصطفى النحاس لاحلها وتتلخص فى أن مظلوم باشا تحادث مع على الشمسى واخبره بأن السلطان كلفـــه بان يكون رئيس الوفـــد الرسمى للمفاوضة ، وانه انتخب معه رشدى باشا وعدلى باشا وتوفيق نسيم باشا ومحمد سعيد باشا ويوسف وهبه باشا واسماعيل سرى باشا ، وان مظلوم اقترح على السلطان اسم سـعد باشا فقبل ويرجو الا يرى الرئيس مانعا فى القبول ، هنا انفجر الرئيس بالضحك حتى أغرورقت عيناه ثم قال ساخرا (كتر خيرك يا مظلوم

والله ما نستناش) • وختم النحاس برقيته بعبـــارة ، أنه علم أن الغاء الحماية سيتم فى المفاوضات الرسمية •

سكت الرئيس قليلا وتجهم ثم قال لى : (هل زال الحياء من هذا العالم أو هذه لوثة أصابت هؤلاء النـــاس فى مصر ؟ رجال من أسوأ الناس صفات ، يجمعون فى شكل وفد للبت فى مصـــائر البلاد ، ليس فيهم رجل واحد وطنى رشيد ، انهم ما بين منشىء للحماية أو مجند لها ، أو مؤيد للانجليز أو هو صنيعة لهم ،انهم جميعا خونة ومجرمون وأنا أربأ بنفسى أن أجلس معهم فى وليمة ، فما بالك بالاشتراك معهم فى أى عمل يمس البلاد ؟ ما هذا الهراء وهذا التخريف ؟) ••

مصـــــادمة مع المكباتى !

٢ من مارس :

كلفنى الرئيس بدعوة الاعضاء الثلاثة لمقابلته فى مقر الوفد ، فحضر على ماهر وواصف غالى وسينوت حنا قبل وصول الرئيس بدقائق ، ثم حضر المكباتى على غير انتظار وبغير دعوة ودخــل قاعة الجلسة ، ولم تمض دقائق حتى وقع صـــدام عنيف بينه وبين الرئيس •

قال المكباتى فى جد ظاهر (ان الحالة تستدعى التفكير والعمل المفيد كوضع حـــد لانقسام الامة ، وانى أرى ضرورة الاسراع بدعوة الاعضاء الذين سافروا الى مصر ليعودا الى باريس فورا) •

فأجاب الرئيس ساخرا : (أى انقسام فى الامة تعنى ، ليس فى الامة انقسام مطلقا ، أما عن العائدين فلا تتكلم عنهم ، وتكلم انت عن نفسك وأحوالك بصراحة) •

المكباتى : أنت تحاول أن تستفزنى وتثيرنى بدل أن تعمل على توحيد الصفوف •

الرئيس : اسمع انا أصارحك بانى لا استطيع أن أعمل معـــك لانى لا أثق بك •

المكباتى : (قال مرتبكا مضطربا) لا يا باشا الثقة موجـــودة والحمد لله •

الرئيس : كلا انها غير موجودة وكذلك تنكر الواقع الملموس •

المكباتى : أنا ما جئت اليـــوم لأهان ، وليس لدى أى ميـــل للمصادمة معـــك •

الرئيس : انا لا أهدف الى اهانتــك وانما أنا أقرر الحقيقة الواقعة الملموسة فاذا كنت مصرا على انكارها فأجبنى لماذا سـافر أصحابك فجاة بعد أن تصافحنا ؟

المكباتى : سافروا لانك لم تقبل رأيهم فى تأييد عدلى .

الرئيس : انا لا يمكننى مطلقا أن أخالف ضميرى وعقيدتى .

المكباتى : وانا أيضا لا أخالف ضميرى وعقيدتى .

الرئيس : حسن جـــدا أنا ما طلبت منك أن تخالفهما ولكنك أنت الذى تطالبنى بمخالتهما . اذا كان ضميرى وعقيدتى عكس ضميرك وعقيدتك فليس من المعقول أن نعمل معا ، واذا عملنا فليس للعمل ذرة من أمل فى النجاح .

فوقف المكباتى وانصرف غاضبا هائجا وانتهت جلسة الوفـد فى هذا الجو المكهرب .

وبعد الظهر عدت الى الرئيس فى منزله ، وفى أثناء تنـاولى الشاى معه قال لى :

((لقد شهدت ما حدث فى جلسة الصـــباح فما رأيك فيه ؟ فقلت يا سيدى : هذا المكباتى رجل شاذ وهو مستهتر معتز بغناه، وقد اثبت اليوم غباءه بحضوره من غير دعوة وبعد مقاطعةطويلة لك ، ثم بتقديم اقتراح سخيف لا يمكن أن يقبل .

الرئيس : علام احتمل هذا الرجل ، ليست فيه صفة واحدة تحب فلا هو كاتب قدير يحتاج الى قلمه ، ولا هو مفـكر يحتاج الى رأيه ، ولا هو مؤدب يؤنس اليه . وانما هو جاهل وسخيف ومتكبر لا عمل له الا ان يحاول تعليم الناس الوطنية وهو مجرد منها ، ان فى عبد العزيز فهمى ولطفى السيد مواهب ومزايا يحتاج اليها الانسان ، وقد يغفر لهما بعض ضعفهما أو مخازيهما ،ولكن هذا المكباتى خلو من كل فضـــيلة وكل موهبة وكل مزية ، انه زارنى مع العائدين موهما انه عائد معهم ، ثم بقى فى باريس ، وارسلوا برقية الى مصر بعودتهم وذكروا اسمه ضمن أسمائهم لبيان كثرتهم ورغبة فى التأثير بانهم الاغلبية ، وارتكب غير ذلك من الاساءات ولم يعتذر مرة ولم يتأسف)) .

وهنا حضر زائر فرنسى فخرجت الى مكتبى .

خطاب وبرقية بقرار الحكومة البريطانية

٣ من مارس :

وصل خطاب الى الرئيس من الدكتور حامد جاء فيه : (أنه علم من مستر رامزى ماكدونالد ان الحكومة البريطانية قررت الغاء الحماية وانها أرسلت فى ٢٦ من فبراير دعوة الى السلطان بواسطة اللنبى لكى يؤلف وفدا رسميا لمفاوضتها ، والوصول الى اتفاق يحقق المطالب المصرية ويضمن المصالح البريطانية ، وسيعلن الغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية ، وذلك لتسهيل الدخول فى المفاوضات واثباتا لحسن نية الحكومة البريطانية) .

ثم وصل تلغراف مطول الى الرئيس من مصطفى النحاس وهو يحمل نص خطاب اللنبى الى السلطان وقرار الحكومة الانجليزية الذى يقضى لاول مرة باعتبار الحماية علاقة غير مرضية بين مصر وبريطانيا ، وامتاز خطاب اللنبى بهذه الجملة وهى (ان الحكومة البريطانية اظهرت حسن النية بقبولها التساهل فى أمر الغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية) .

وفيما يلى نص هذا الخطاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

معالى صاحب العظمة السلطان ـ سراى عابدين ..

((يا صاحب العظمة ، لم اتأخر عن ابلاغ حكومة جلالته الرأى الذى أبديتموه مرارا عن ضرورة وصول الحكومة الى قرار فى موضوع اقتراحات لورد ملنر يتفق مع أمانى مصر والشعب المصرى . تلك الامانى التى اشتهر عطف عظمتكم عليها ، ويسرنى أن أبلغكم قرار حكومتى ، وانى متأكد ان هذا القرار يطابق رأى عظمتكم ويسهل المهمة العظيمة الشأن التى عهد فيها الى عظمتكم : وهى تعيين وفد رسمى لاجل الشروع فى تبادل الآراء مع حكومة جلالته فيما يختص بالاتفاق المنوى عقده ، وانى أود بصفة خاصة أن أوجه نظر عظمتكم الى روح حسن النية الذى أظهرته حكومتى بقبولها التساهل فى أمر الغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية ، وستقدرون عظمتكم ان هذا التساهل الكبير دليل على الاهمية التى تعلقها حكومتى على اقامة علاقاتها مع الشعب المصرى على أساس ودى ودائم وهذا نص قرار حكومتى الذى كلفت بابلاغه الى عظمتكم :

((ان حكومة جلالة الملك بعد درس الاقتراحات التى اقترحها لورد ملنر استنتجت ان نظام الحماية لا يكون علاقة مرضية تبقى فيها مصر تجاه بريطانيا العظمى ، ومع أن حكومة جلالته لم تتوصل بعد الى قرارات نهائية فيما يختص باقتراحات لورد ملنر ، فانها ترغب فى الشروع فى تبادل الآراء فى هذه الاقتراحات مع وفد يعينه عظمة السلطان للوصول اذا أمكن الى ابدال الحماية بعلاقة تضمن المصالح الخصوصية التى لبريطانيا العظمى وتمكنها من تقديم الضمانات الكافية للدول الاجنبية ، وتطابق الامانى المشروعة لمصر والشعب المصرى ..

وانى أغتنم هذه الفرصة فأكرر لعظمتكم تأكيد احترامى الفائق)) ..

((اللنبى))

رأى سعد فى التبليغ البريطانى

٥ من مارس :

حضر الرئيس الى مركز الوفد فى الساعة العاشرة صباحا وكنت قد اتصلت تليفونيا بالاعضاء الثلاثة فحضروا مبكرين فى الساعة التاسعة والنصف وحدثتهم بما علمت بنبأ قرب الغاء الحماية قبل المفاوضات الرسمية فلما تم الاجتماع كلفنى الرئيس بتلاوة وترجمة نص التبليغ البريطانى ، واستمرت المناقشة وتبادل الرأى فيه ساعة كاملة ثم أملى على الرئيس مشروع برقية لارسلها فورا الى النحاس فى مصر وهذا نصها :

((فى التبليغ البريطانى معنى عظيم الاهمية وهو الحكم على الحماية بالفشل وقرب الانتهاء ، ولكنه فيما عدا ذلك لم يات بجديد ولم يخرج عما جاء فى التقرير ولا فيما صدر به ملنر مشروعه الاول الذى رفضه الوفد ، ومع ذلك أصبح الدخول فى المفاوضات بناء على هذا التصريح لا يعتبر قبولا للحماية ، ولكن الهدف مازال قائما وهو تحقيق اغراضها فى العلاقة الجديدة التى يراد الوصول اليها . والرأى عندنا ان نتيجة المفاوضات المقبلة ستتوقف على صفات المفاوضين)) .

وافق الاعضاء الثلاثة على هذه البرقيــة بالاجماع ، وخرجت مسرعا لارسالها .

٦ من مارس :

املى على الرئيس الخطاب الى مصطفى النحاس تفســـيرا لما اوجزه فى برقيته السابقة :

((.. ان هذا التبليغ البريطانى يراد به خداع المصريين وايهامهم بفائدة ما لا نفع فيه ، ويحاول استمالتهم بعد وقت الى الرضا ، لا أقول بما لا ينفعهم فيــــه ، بل بما يضرهم ، أنه تضمن عــدم الرضــا عن الحمــــاية ، ولكنه لم يعبــين الجهة غير الراضية ، والاسلوب يدل على أنها الجهة الانجليزية لانى اذا قلت ان الشىء الفلانى غير مرض قصدت بذلك أنه ليس وافيا بالغرض المقصـــود منه ، ويحتمل أن يكون المعنى منه انه غير مرض للطرفين كما نشرت التيمس ، ويحتمل كذلك أن يكون المراد به الجهة المصرية كما تدل عليه الظروف ، على ان هذا الابهام فى ذاته يقلل كثيرا من أهميته ، ولا يجعل للمصريين فيه نصيب الا بنسبة واحد الى ثلاثة ، وكذلك تضمن ان هذه الحماية لا ينبغى دوامها ، ولكنه لم يعلن مع ذلك الغاءها وقال باستبدالها ، وهذا الاستبدال يكون فى شكل علاقة جديدة تضمن مصالح انجلترا وتمكن الحكومة البريطانية من تقديم الضمانات اللازمة للدولة الأجنبية . واذا راجعت تقرير ملنر وجدت شرح هاتين النقطتين بما نتأكد منه ان ذلك مضر كل الضرر بالمصريين ان هذا الاســـتبدال ليس جـــديدا بل كثيرا ماعرضت علينا صيغه المختلفة وهو ما صدر به ملنر أول مشروع قدمه للوفد ورفضناه رفضا باتا . أما ماتضمنه خطاب اللنبى للسلطان فلا يمكن أن يكون له معنى أزيد من معنى التصريح أو القرار ، بل يمكنني أن أذهب أبعد من ذلك وأقول بأنه سد كل باب للامل فى الغاء الحماية الغاء صريحا يجعله غاية النجاح فى المفاوضات المقبلة . ولايمكن أن يكون اللنبى قد قصد فى خطابه أكثر من الاستبدال الذى ذكرته حكومته . نعم ان المفاوضات صارت بهذا التبليغ حرة فى أساسها ولا يعد الدخول فيها قبولا للحماية ولا لمشروع ملنر ، ولكنه يعد قبـــولا للاغراض التى تعينت لها وهى ضمان المصالح الانجليزية ، ويمكنها من تقديم الضمانات للدول الاجنبية للمحافظـــة على مصالحها ، فالمفاوضون المصريون لا يمكنهم اذا دخلوا المفاوضات على هـــذا

الاساس الا أن يعطوا انجلترا حقوقا تمكنها من ضمانة هذه المصالح .. وهذه المسألة من أهم المسائل لان انجلترا اذا نالت من المصريين حق حمايتها لهذه المصالح على طريقة ملنر تكون قد ملكت حق التدخل فى كل شئون مصر بحكم أن هذه المصالح متشابكة بمصالح المصريين وشافعة كل الشفوع فيها ، ولهذا أرى ان الموقف دقيق جدا ويستوجب أشد الحذر والسلام)) ..

سعد زغلول

روح التردد والهزيمة فى نظر الرئيس

٧ من مارس :

قال لى الرئيس فى حديثه معى أثناء تناول الشاى ما خلاصته :

((ان العائدين من أعضاء الوفد عدلى وكل أنصار عدلى من صحفيين وكتاب فى الصحف ، ينشرون فى مصر روح الهزيمة والتردد يوما بعد يوم اذ يقولون وينشرون ويكررون القول والنشر بضرورة الاتفاق مع انجلترا الآن وعدم تضييع هذه الفرصة لان بريطانيا قوية غاية القوة ومصر ضعيفة غاية الضعف وليس لها اى عون أو سند فى الخارج ، ثم يردفون هذا كله بالدفاع عن أنفسهم خشية اتهام الناس لهم بالسعى وراء المنافع العاجلة على حساب الوطن وقضية البلاد . فيقولون انهم لا يريدون أية وزارة ولا اى منصب ولا أى مكسب ، وانما يصرحون بما يعتقدون انه فى مصلحة مصر الضعيفة المسكينة البائسة .. الى آخر هذا الهراء)) .

فسألت الرئيس : وهل تظن ان لمثل هذه الدعاية تأثيرا فى نفوس بعض الناس الى حد أن يحملهم على الانضمام اليهم ؟ .

فاجاب الرئيس على الفور : ((من غير شك .. هذه دعاية مسمومة وسيتأثر بها كثيرون ، لان هذا الايحاء المستمر بضعف مصر والمصريين وقوة بريطانيا وجبروتها وفقدان العون والنصير ، كل ذلك يؤثر فى النفوس الميالة بطبعها الى الضعف والتشاؤم . ولذلك فانى افكر جديا فى العودة الى مصر ، لان المعركة كلها قد انحصرت الآن داخل مصر فلا معنى لبقائنا هنا فى باريس ولا يمكن ان ادير معركة بالبرقيات الموجزة الغالية الثمن او الرسائل المطولة التى لا يقرؤها الا أصحابها ومن حولهم من الاصدقاء . ما هكذا يكون الكفاح ولا هكذا تدار المعارك .

برقية شفرية من النحاس وويصا واصف وحافظ عفيفى

٨ من مارس :

وردت فى المساء برقية مطولة بالشفرة وهى بامضاء النحاس وويصا وحافظ عفيفى يقولون فيها ، بانهم لم ينشروا برقية الرئيس لانها غير وافية فى نظرهم ويرجون منه أن يصدر بلاغا او بيانا بتلغراف مستعجل بشأن التبليغ البريطاني لان فى البلاد تيارات مختلفة ، فريق يرى وجوب الدخول فى المفاوضات الرسمية بأى شكل ، وفريق يرى وجوب وقوف الوفد على الحياد مع العطف والتشجيع للمتفاوضين ، وفريق يرى وجوب استمرار الوفد وحده بالقيام بالمفاوضات الرسميه أسوة بالمفاوضات الماضية مع ملنر وان الاعضاء الثلاثة هم من الفريق الاخير وهم يناشدون الرئيس أن يعيد الوحدة ويدعو أعضاءه للعودة الى باريس .

وانتهت البرقية برجاء الرئيس أن يسرع ببيان رأيه تفصيلا فى كل ما يشغل بال الناس فى مصر .

هنا أطرق الرئيس قليلا ثم قال : (علام هذه السرعة وهذه الهرولة وهذا الالحاح ، ان الوفد لم يدع للمفاوضات حتى يشترط لها شروطها ويتخذ الخطوات اللازمة للنهوض بأعبائها والدعوة موجهة للسلطان ، والسلطان لم يتخذ بعد أية خطوة .. ان أمرهم لعجيب)) .

ثم سألنى : ((متى أرسلنا البرقية ومتى ارسلنا الخطاب الذى يبين الرأى تفصيلا فى التبليغ البريطانى ؟ فقلت : أرسلت البرقية فى الخامس من مارس والخطاب فى اليوم التالى مباشرة أى منذ يومين ، ولا يصل الى مصطفى النحاس الا بعد خمسة أيام اخرى .

فقال : حسن .. لا داعى للعجلة)) .

بيان للرئيس (أرسل الى النحاس) :

٩ من مارس :

عدت الى الرئيس فى الصباح فوجدته أعد بيانا لارساله الى النحاس لاذاعته فورا ، وكلفنى بدعوة الاعضاء فدعوتهم وتلا عليهم البيان الآتى فوافقوا عليه ما عدا على ماهر ونصه كما يلى :

((ليس فى التصريح الصادر من الحكومة البريطانية بالدعوة الى المفاوضات الرسمية للوصول الى استبدال علاقة الحماية بعلاقة

اخرى ان أمكن ، ما يشجع الوفد على تأييدها ، فقد اغفل الكلام عن التحفظات التى أبت الإمة الدخول فى اية مفاوضات رسمية قبل قبولها . نعم انه أعلن عدم الرضا عن الحماية ولزوم انتهــائها ، ولكنه لم يجعل الغاية من هذا الانتهاء الغاءها بالنســـبة لجميع العلاقات الدولية ، بل مجرد استبدالها بالنسبة لما يختص بعلاقة مصر ببريطانيا فقط ، وهو بهذا المعنى ليس بجديد ولا مفيد . فقد كان هذا أول عبارة صدرت بها لجنةملنر مشروعها الاول ورآه الوفد غير صالح للقبول فرفضه ، وذلك ما يرمى اليــه المشروع الاخير كما صرح به ملنر فى الخلاصة العامة فى تقريره تصريحا له يترك للشك مجالا فى انه استبدال لنص الحماية مع استبقاء معناها وجميع أركانها ، ومن هذا يتبين أن غاية ما تصل اليه المفاوضات الرسمية ان نجحت ، هى البداية التى رفضت ، وهذا الاستبدال سبق أن أجمع الكل على استهجانه . ولهذه الاعتبــــارات يرى الوفد ان الامة لا يمكن أن تؤيد هذه المفـــاوضات ولا أن تعتبر المتفاوضين الذين يتعينون لغاية هذا الاستبدال ، نوابا عنها ، فهم لا يمثلونها وانما يمثلون السلطة التى تمثل الحماية القهرية للبلاد))

برقيـــــة ورد

١١ من مارس :

وردت برقية للزعيم سعد من على الشمسى هذا نصها :

((ان جميع أعضاء الوفد العائدين يريدون السفر اليكم فى باريس ما عدا عبد العزيز فهمى الذى لا تساعده صحته على السفر معهم .. والجميع هنا يرجونكم اظهار العطف والترحيب بقدومهم اليكم وبعودة الوفد الى سابق اتحاده ووحدته ويستحسنون أن يعلن الرئيس أنه لا يعارض الوفـــد الرسمى اذا كان مكونا تكوينــــا سليما)) .

امتعض الزعيم من هذه البرقية وأملى على ردا بالفرنســـية وكلفنى بارسالة فورا وهذا نصه :

((متأسف لعدم قدرتى على مشاركتكم فى أية فكرة من الافكار التى احتواها تلغرافكم)) .

برقية شفرية من الرئيس الى النحاس

١٢ من مارس :

املى على الرئيس برقيـة مستعجلة لارسـالها الى النحاس بالشفرة وهذا نصها :

((أرجو أن تنشروا فى أنحاء البلاد وبكل الوسائل المختلفة البيان الذى أرسلته اليكم لانه هو خطة الوفد ورأيه ، والتأخر فى نشره الى ما بعد تكوين الوفد الرسمى قد يكون عرضة لسوء التأويل ، وان بيانا فى المعنى الذى اقترحتموه لا أقره ولا فائدة فيه ، ثم انه قد يساعد المتفاوضين الآخرين الذين لا خير فيهم)) .

حولت هذه البرقية الى (الشفرة) ونزلت مسرعا لارسـالها وكانت الساعة قد بلغت الخامسة بعد الظهر . فاعتـذر عامل التلغراف من قبولها قائلا بأن عنده تعليمات رسمية من ليلة أمس بالا يقبل برقيات شفرية ترسل الى مصر ، وان كل البرقيات يجب أن تكون مكشوفة منذ اليوم . فعدت الى الرئيس وابلغته ما حدث فبهت مذهولا ، ثم هز رأسه وقال مبتسما فى سـخرية ظاهرة : ((انهم يريدون الغاء الحماية والاعتراف بالاستقلال ، أليست هذه عظات لمن يمكن أن يتعظ ويريد أن يواجه الحقيقة الكالحة مواجهة صريحة فى شجاعة !))

وفى هذه اللحظة دخل واصف غالى وعلى ماهر وسينوت حنـا فأخبرهم الرئيس بالمنع الجديد فدهشوا وذهلوا مثله بل أكثر منه .. وقال واصف : ((أنا لا أفهم هذا الشذوذ فى وقت السلم ، لو كنا فى وقت الحرب لسلمنا به)) . فقال الرئيس : ((ان الاحكام العرفية البريطانية مازالت مبسوطة على مصر وفى ظلالها الثقيلة يفعلون ما يشاءون ، ولكن العجيب أن تنزل على رأيهم حـكومة فرنسا القومية الحرة بلا حياء)) .

الرقابة تمنع برقيات سعد

١٤ من مارس :

وردت برقية من النحاس بأن الرقيب أصدر الاوامر الى الصحف بألا تنشر أى شىء يرد من الرئيس من الآن فصاعدا ..

استقالة وزارة توفيق نسيم

١٥ من مارس سنة ١٩٢١ :

وصلت برقية من النحاس تحمل أنباء استقالة وزارة نسيم البغيضة وان عدلى يكن باشا كلفه السلطان بتاليف الوزارة الجديدة كما كان منتظرا وسيتم تاليفها الرسمى غدا ، وقامت مظاهرات تهتف للرئيس والوفد .

تاليف وزارة عدلى باشا

١٧ مارس :

صدرت المراسيم الخاصة بتاليف وزارة عدلى وهى مكونة من (عدلى رئيسا وحسين رشدى باشا نائبا للرئيس ، وعبد الخالق ثروت باشا وزيرا للداخلية ، واسماعيل صدقى باشا وزيرا للمالية وأحمد زيور باشا وزيرا للمواصلات ، وجعفر والى باشا وزيرا للمعارف ، وأحمد مدحت يكن باشا وزيرا للاوقاف ومحمد شفيق باشا وزيرا للاشغال والحربية ونجيب بطرس غالى باشا وزيرا للزراعة وعبد الفتاح يحيى باشا وزيرا للحقانية .

واذاع عدلى برنامج وزارته وبواعثه واهدافه من تاليفها وجاء فيه ما نصه :

((ان الوزارة ستجعل نصب عينيها فى المهمة السياسية التى ستقوم بها لتحديد العلاقات الجديدة بين بريطانيا العظمى وبين مصر ، الوصول الى اتفاق لا يجعل محلا للشك فى استقلال مصر ، وستجرى فى هذه المهمة متشعبة بما تتوق اليه البلاد ، ومسترشدة بما رسمته ارادة الامة ، وستدعو الوفد المصرى الذى يرأسه سعد زغلول باشا الى الاشتراك فى العمل لتحقيق هذا الفرض . ومما يوجب الارتياح ان تصريح الحكومة البريطانية بأن المفاوضات ستجرى على أساس الغاء الحماية من شأنه أن يسهل مهمة الوزارة من هذه الوجهة ، فان ذلك التصريح الذى يدل على حسن استعداد بريطانيا العظمى مما يدعو الى الامل بأن المفاوضات التى ستحصل بهذه الروح ستفضى الى اتفاق محقق للامانى

الوطنية ويكون فاتحة عصر جديد بين البلدين شعاره المودة وتبادل الثقة ، وسيكون للامة على لسان الممثلين لها فى الجمعية الوطنية القول الفصل فى هذا الاتفاق ، وبما أن هذه الجمعية ستكون ايضا بمثابة جمعية تأسيسية فان الوزارة ستاخذ على عاتقها تحضير مشروع دستور موافق للمبادىء الحديثة للانظمة الدستورية ، وستحاط الانتخابات لهذه الجمعية بكل الضمانات التى تكفل تمام حريتها وتنظمه بكيفية تحقيق راى الامة تمثيلا صحيحا ، وفى هذا المقام تعرب الوزارة عن اعتقادها بأن الظروف الحاضرة تبرر الاسراع فى الرجوع الى النظام العادى ، وبأنها ستتمكن بفضل نفوذ عظمتكم من رفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة فى القريب العاجل ، وانا نعتمد على حكمة الامة فى تسهيل هذا العمل الذى يحقق نجاحه أعز أمانى الوزارة .

وانا لندرك حق الادراك ما تحتـــاجه البلاد من الاصلاحات الكبرى بيد أننا لتمسكنا باشتراك الامة فى وضعها ، نمتنع عن كل تغيير جوهرى قبل تنفيذ النظام النيابى الجديد، على اننـــا بتأييد عظمتكم لنا سنعنى بادارة أمور البلاد وننشط بها فى خـــير الطرق واصلحها للمحافظة على مرافقها ولتوسيع نطاق رقيها ، وستكون المسألة الاقتصادية الحاضرة موضوع اهتمامنا العظيم . هذا وان الوزارة لعلى يقين من أن هذا المنهاج يوافق المقاصد التى ما زالت عظمتكم تصبون اليها لخير رعاياها ، وهى مع ما تشعر به من عبء المسئولية الملقاة على عاتقها ، تأمل الوصول بمهمتها الى النجاح المنشود ، معتزة بعطف وتعضيد عظمتكم ، ومعتمدة على ثقة البلاد ، وانى لعظمتكم العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الامين)) .

عدلى يكن

برقية من عدلى الى الرئيس

١٨ من مارس :

تســـلم الرئيس برقية من عدلى رئيس الوزارة الجـــديدة تحمل تحياته ورجاءه الى الرئيس فى كسب معونته الودية لتحقيق الغرض المشترك الذى فصله فى برنامج تأليف وزارته، فرد الرئيس عليها ((بالشكر وتمنى له كل توفيق فى تحقيق قبول التحفظات حتى يؤيده)) .

وبرقية من حافظ رمضان الى الرئيس

١٩ من مارس :

تسلم الرئيس برقية من حافظ بك رمضـــان رئيس الحزب الوطنى قال فيها ان الوزارة الجديدة عرضت عليه أن يكون فيها واحدا عن الحزب الوطني ، فرفض الحزب وطلب من الرئيس رأيه فى ذلك ..

فعقب الرئيس قائلا : ((ان الحزب لم يفعل الا ما ينطبق على مبادئه)) .

ثم ضحك وقال : ((لا اظن هذا صحيحا ، واذا كانوا لم يطلبوا الى الوفد نفسه فكيف يطلبون ذلك من الحزب الوطنى)) .

خطاب من عدلى لسعد

٢١ من مارس ١٩٢١ :

تسلم الرئيس خطابا رقيقا من عدلى باشا وبرقية برنامجالوزارة السياسى الذى قدم الى السلطان يوم تأليفها (وقد سجلته هنـــا بتاريخ ١٧ مارس) وما كاد الرئيس يتم قراءته حتى قال :

((هذا بيان مكتوب بدهاء سياسى بارع وان عدلى لم يرتبط فيه بشيء قط . خذ مثلا قوله ((والوزارة ستتمكن بفضل نفـــوذ عظمتكم من رفع الاحكام العسكرية والغاء الرقابة)) ، وهو كلام لا ينم عن وعد أو تعهد برفعها ولا بالغائها)) .

ثم أخذ يملى كلمة لارسالها الى عدلى مطلعها :

((بيانكم بديع فى أسلوب بليغ يشف عن رغبتكم فى التمشى مع ارادة الامة وتحقيق مطلبها من الاستقلال وأنتم أعلم الناس بأنها لا تريد الاستقلال تاما اى استقلالا دوليا وصريحا ، وقد استقر رأينا على العودة الى مصر . لتبادل الآراء فى عملية انتخاب اعضاء الوفد الرسمى)) ..

وهنا دخل واصف غالى وسينوت حنـــا فطلب الى أن أتلو عليهما ما أملاه على فلما فرغت سكت واصف وقال سـينوت ان واصف كتب كلمة فى هذا الموضوع فطلب الرئيس أن يسمعها وهى:

((قرانا باهتمام بالغ بيانكم الممتع ، وانكم لتعلمون ان البلاد لا تريد الا الغاء الحماية الغاء صريحا لا غامضا ، ودوليا لا خاصا بين مصر وبريطانيا وحدهما ، والاعتراف بالاستقلال التام ، وان الغاء المراقبة ورفع الاحكام العرفية يجب أن يتم أولا قبل الانتخابات، ولكن قبل البدء فى المفاوضات الرسمية ولا شك ان الامة بفضل ثباتها وايمانها قد وصلت الى ما وصلت اليه من تأليف وزارة سياسية تعلن احترامها لارادة الامة ، على أن يكون مفهوما ان الاغلبية من عضوية الوفد الرسمى تكون من أعضاء الوفد المصرى وأن تكون الرئاسة له)) .

وعقب الرئيس على هذا قائلا : ((لا يا واصف انا اميل الى كلمتى الموجزة التى مطلعها رقيق وفيها أهم نقطة فى كلمتك وهى ((الاستقلال الدولى)) ..

وهنا طلب الى الرئيس ان اكلف جورج دومانى بترجمة كلمة الرئيس الى الفرنسية ثم أرسلت البرقية الى عدلى فى المساء كما ارسلت صورة منها الى النحاس لنشرها .

٢٢ من مارس :

وردت برقية من النحاس جاء فيها ان الرقيب منع نشر رد الرئيس على برقية عدلى ..

واخيرا تمت اجراءات العودة لمصر

٢٣ من مارس :

منذ عشرة أيام تقريبا استقر راى الرئيس نهائيا على ضرورة العودة الى مصر بعد ان ثبت له أن المقام فى باريس أصبح عبثا بل شرا من العبث . فكلف دومانى بشراء التذاكر اللازمة للسفر برا وبحرا قبل آخر هذا الشهر ، واليوم عاد دومانى ومعه كل التذاكر اللازمة وبهذا تقررت مواعيد السفر كما يأتى :

السفر من باريس يوم ٢٩ مارس الساعة السابعة والنصف .

الوصول الى تريستا يوم ٣٠ مارس الساعة ١٢ ظهرا .

الوصول الى الاسكندرية يوم ٤ ابريل (ومبيت ليلة واحدة)

الوصول الى القاهرة يوم ٥ ابريل .

وفى أثناء تناول الشاى مع الرئيس الساعة ٢٠ر٤ بعد الظهر قال لى : ان عدد الحقائب له ولحـــرمه ١٤ حقيبه وصـــندوقان يحتويان على كتبه وأوراقه ومذكراته ، وأنه يخشى ضياع شيء منها فى زحمة الاستقبال أو فى الجمرك ، ولذلك يرى أن أسافر أنا قبله ببضعة أيام ومعى كل هذه الحقائب والصندوقان وأسلمها جميعا الى سعيد زغلول فى منزل الرئيس عقب وصولى الى القاهرة .

فرحبت بهذا الرأى واتخذت الاجراءات لتغيير تذاكر سفرى الذى تقرر أن يكون يوم ٢٥ مارس وأبرقت الى مصطفى النحاس بمواعيد سفر الرئيس من باريس الى الاسكندرية مع زملائه أعضاء الوفد .

وحوالى الساعة ١٢ ظهـــرا دخلت على الزعيم مســتأذنا فى الانصراف حتى أتمكن من اعداد حقائبى بمناسبة ســفرى غدا صباحا ، فطلب الى الانتظار لاتناول الغداء معـــه ومع السيدة الجليلة حرمه ، وكدت أعتذر لولا حياء غلبنى أن أخالفه ســاعة الفراق ، وقال لى فى اثناء الغداء متلطفا ، ((أنا اهتــديت الى صيغة جديدة بسيطة يفهمها كل انسان فى مسألة الغــاء الحماية وسأعلنها فى مصر لاول مرة)) سأقول تنتهى الحماية التى أعلنت سنة ١٩١٤ وأن يعترف باستقلال مصر فى الداخل والخارج .

انها صيغة بسيطة واضحة يفهمها رجل الشارع، فاذا قبلت حل كل اشكال ، وكفى الله المؤمنين القتال ، ولكن هيهات هيهات !))

وفى الساعة الثالثة بعد الظهر ودعت الزعيم والسيدة الجليلة حرمه فى تأثر شديد ، وانصرفت .. لنتقابل مرة أخرى فى مصر ان شاء الله .

فى انتظــار دخول الزعيم

وأمضيت فى الاسكندرية ثلاثة أيام للاستجمام انتظارا لمقــدم الزعيم غدا واستعدادا لان أكون أول صاعد على البــاخرة للقائد والتحدث اليه بأهم ما رأيت وما سمعت فى مصر ، وذلك بناء على طلبه منى قبيل سفرى من باريس ، كما سيصعد الاستاذ مصطفى النحاس السكرتير العام للوفد وفتح الله بركات باشا اللذان وصلا اليوم الى الاسكندرية .

وفى اليومين الاخيرين لاحظت هنا ظاهرتين يلفتان النظر ..

الظاهرة الاولى : اختفاء الانكليز مدنيين وجنودا من شوارع الاسكندرية ، اما المدنيون منهم فقد عادوا أكثر هم الى القاهرة مسرعين، واما الجنود والضباط فقد اختفوا من الميادين والشوارع والحدائق وانسحبوا الى ثكناتهم فعادوا الى قواعدهم سالمين ، فازدادت الاسكندرية روعة وجمالا وجلالا بهذا الجلاء المبكر للمحتلين واستراحت عيون المصريين .

والظاهرة الثانية : ازدياد مطرد في عدد سكان الاسكندرية بسبب كثرة الوافدين اليها ليكونوا فى استقبال الزعيم يوم وصوله، وقد علمت ان جميع القطارات قد نقلت الى الاسكندرية الاف الوافدين من القاهرة والوجه القبلى ومديريات الوجه البحرى حتى ازدحمت المقاهى والمطاعم والشوراع والحدائق ، كما شاهدت كثيرين ينامون على الكراسى فى المقاهى وفى الحدائق العامة ، ولولا ان الاستاذ مصطفى النحاس قد فطن الى ذلك الزحام الهائل لما حجز سلفا أربعة فنادق كبرى بأسماء البارزين من القادمين وكان فى طليعتهم اعضاء اللجنة المركزية للوفد وأعضاء الجمعية التشريعية وأعضاء مجالس المديريات والبلديات وممثلو نقابات المحامين والاطباء والمعلمين وغيرهم .

حسبى الآن أن اذكر بعض أسماء البارزين الذين نزلوا فى فندق ريجينا ((وندسور الآن)) حيث كنت أشغل غرفة بثلاثة سراير لى ولصديقى أحمد أمين واخى حسين كامل سليم ، وحجرات مثلها يشغلها الاساتذة عباس العقاد وابراهيم المازنى وأمين يوسف وطاهر اللوزى وبهى الدين بركات وصبرى أبو علم ويوسف الجندى وسلامة ميخائيل وفخرى عبد النور ومرقص حنا ومكرم عبيد والدكتور نجيب اسكندر وراغب اسكندر ونجيب الغرابلى وتوفيق دياب وعلى الشمسى وصادق حسنين وعبد الرحمن الرافعى وأمين الرافعى وسلامة موسى وعبد الخالق مدكور وغيرهم وغيرهم .

تجديد البيعة للزعيم

ما معنى هذا كله ؟ ما مغزاه ؟ ما السر فيه ؟

لا سر هناك ولا خفاء ، فالشعب المصرى بايجاز أراد أن يجدد البيعة للزعيم سعد زغلول .

لقد سبق أن سجلت فى مذكراتى التى طبعت ونشرت فى كتابى الثانى ((أن الخلاف بين سعد وأعضاء الاغلبية قد استعصى على كل حل ، فالزعيم والاقلية متمسكون بمبدأ الاستقلال التام لا يحيدون عنه قيد أنملة ، وأن أعضاء الاغلبية يقولون أنهم كانوا على هذا المبدأ كذلك حتى رأوا تغير الظروف والاحوال وانسداد كل المنافذ والابواب فى سبيل تحقيق هذه الغاية ، وانهم لذلك اعتقدوا بأن الخير هو فى قبولهم مشروع ملنر الذى هو دون الاستقلال)) .

وقلت فى مذكراتى : ((ان هذه أزمة حادة ولا مخرج لها الا بأن ينقسم الوفد علنا وفى صراحة تامة ثم يلجأ كل فريق الى الاحتكام الى الامة فى عملية استفتاء عام ، وأنه ليس أخطر من وضع الورق على الجدار المشقق المتهدم لستر شقوقه وتغطية هدمه)) .

ثم ختمت رأيى هذا قائلا : ((لابد من مواجهة الازمات بروح ايجابية فعالة لايجاد الحلول الحاسمة لها بدل التستر عليها بروح سلبية والا عشنا نخرج من أزمة الى أزمة ، ومن عذاب الى عذاب ، وهذه حالة لا تطاق)) .

والآن يتحقق الاستفتاء وتتجلى الحقائق الحاسمة .

سبق أن عاد عدلى الى مصر ليؤلف وزارة جديدة ، فلم يستقبله الا عشرات من أنصاره ومريديه والطامعين فيه وبفضل مساعدة الزعيم له بعد أن تم الصلح بينه وبين عدلى قبيل سفر عدلى من باريس .

ثم عاد أعضاء الاغلبية الوفدية المعتزون بأغلبيتهم ، فلم يستقبلهم احد الا أقرب المؤيدين لهم من ذويهم وأهلهم ، وقد حاصرهم الصحفيون وبعض المتعلمين من المصريين ، حاصروهم بالاسئلة المحرجة لماذا عدتم ؟ ماذا وراءكم ؟ وأين الزعيم ؟ هل أنتم راجعون اليه مرة ثانية فى باريس ؟ وما الى ذلك من الاسئلة مما هو أشد احراجا وازعاجا وتضييقا للخناق ، وكان عليهم أن يجيبوا بما وسعتهم الحيلة واللباقة وقوة الخيال أكثر من اعتمادهم على الصدق والصراحة والامانة والتعبير الصحيح عن واقع الحال

واخيرا، وما أدراك ما أخيرا !! يصل الزعيم سعد زغلول عائدا الى الوطن بعد غيبة طويلة فيقابله الشعب كله .. لقد جاء عن بكرة أبيه ليستقبله استقبالا منقطع النظير فى تاريخ هذه البلاد .

هل هناك استفتاء أعجب واكمل واشمل من هذا الاســـــتفتاء الحافل ؟ أليست هذه هى البيعة التى قل أن يكون لها شبيه أو نظــير ؟.

نعم انها البيعة الكبرى ..

الفهـــرس

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية ٢٢٦٩ / ٧٦
الترقيم الدولى – ١٦ – ٧٠٤١ ـ ٩٧٧ ISBN

(مطابع الاخبار – ٢٦٢ – ٢٦٣ / ٧٦)

مارس ١٩٧٦





هـــذا الكتاب

هذا ثالث كتاب للمؤلف في سلسلة تاريخية متصلة الحلقـــات ·

الكتاب الاول : « ثورة ١٩١٩ كما عشتها وعرفتها »

والكتاب الثاني : تناول « صراع ســـعد زغلول في أوربا » وجهاده بعد خروجه من المنفى والمفاوضات التي دارت بين الزعيم والوفد من جهة ، وملنر واجنته من جهة أخرى ·

وهذا الكتاب الثالث: يتناول أحداثا مثيرة وتطورات خطيرة بعيدة المدى ، عميقة الآثار ··

● خصومات ومصادمات عنيفة بين سعد وعـدلي قبيل عودة عدلي الى مصر ··

● خصومات ومشاحنات ومصادمات أشد عنفـــا بين سعد وأغلبية أعضاء الوفـد . ثم عودة هـــذه الاغلبيـــــة الى مصر في غضب ظاهر وخصـومات استحالت معها كل محاولة للعمل .

● ظهور تقرير ملنر واثاره الوبيلة ·

● تأليف وزارة مصرية برياســة عـدلي ، وتباين المشاعر وتبلبل الافكار في مصر .

● اضطرار الزعيم الى العـــودة الى مصر حيث انتقل ميدان الصراع وبدأت المعارك الجديدة ··

يجد القارىء كل التفصـــيلات المثيرة المذهـلة في هذا الكتاب ·